ديوان

أبي القاسم الشابي

قدّم له وشرحه

الأستاذ أحمد حسن بسج

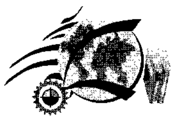
منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الرابعة
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0806-9



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أبو القاسم الشابي، شاعر تونس في النصف الأول من القرن العشرين، عاش في زمن، كانت فيه بلاد المغرب العربي تعاني أثقال الاحتلال الأوروبي، وتغوص في بحور الظلم والجهل والتخلف، على كل صعيد. وقف الشابي إزاء ذلك كله، موقف الرافض للاحتلال، المتمرّد على رموزه وأدواته، داعياً إلى مقاومته. وفي الوقت نفسه يتمرّد على كل شكل من أشكال الجمود، في الميادين المختلفة، سواء في المجتمع أو في الأدب والفكر، فيطرح طرائق جديدة وجريئة في التفكير والتعبير، تتناول الأساليب والموضوعات، ولم يقصد في ذلك أن يتنكر للقديم، لكنه أراد لأهل الفكر والأدب أن لا يتوقفوا عند مجموعة من القوالب والأنظمة والمعاني الموروثة، فلا يتجاوزونها. كما ودعا إلى التعمُّق في معالجة الظواهر المختلفة، لتنفذ المعالجات إلى ماوراء الماديّات والمحسوسات، وصولاً إلى المدلولات المعنوية بارتباطاتها الروحية والإنسانية والجمالية. إلّا أنّه وصل في انتقاداته إلى حد التجريح بأبناء شعبه، إذ اتهمهم بالجهل والجبن والخضوع، مع العلم أن الغاية من انتقاداته أساساً، كانت تهدف إلى تقويم المجتمع بالكشف عن عيوبه، وإثارته ضد الاحتلال، فلم يكن التجريح غاية ولا هدفاً. وقد ذهب، في بعض قصائده، أبعد من ذلك، إلى حد مخاطبة الله عز وجل بطريقة غير لائقة، فيها تهكم واستخفاف فألفت نظر القرّاء الأعزاء إلى توخي الحذر.

هذا الديوان، الذي نضعه اليوم، بين يدي القارىء الكريم، هو جماع ما جادت به قريحة أبي القاسم الشابي في سِني عمره القصير. والديوان من حيث المحتوى، يمثّل مجمل آراء الشاعر وخلاصة مذهبه في القضايا الإنسانية العامة، وهو أيضاً، نتيجة لتجربة الشاعر مع الناس والمجتمع والاحتلال، ولا ننسى تجربته مع ذاته، مع مرضه وآلامه، وما أصيب به من نكبات ليس أقلها وفاة أبيه الذي كان يجد فيه سنداً قوياً عند الشدائد.

ويدور ما قمتُ به، بأن اعتمدت ديوان الشاعر الأصلي، الذي كان سمّاه «أغاني الحياة»، فأضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي كان الشابي نفسه قد استبعدها، عندما أعدّ ديوانه للطبع قبيل وفاته، فضلاً عما كان زاده عليه محمد الأمين الشابي، عندما نشر الديوان، لأول مرة سنة ١٩٥٤ م، وقد ذكرت تلك القصائد بأسمائها في غير هذا الموضع. وقد أشرت إلى ما

أضفته، كل في موضعه. ومن الجدير بالذكر أن هذه الزيادات، بمعظمها مأخوذ من كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»، لصديق الشابي، زين العابدين السَّنوسي، وكان معجباً بشعر الشابي، وقد نشر بعض أشعاره في صحيفته «العالم الأدبي» التي انشأها سنة ١٩٢٥ م. أما الكتاب المذكور آنفاً، فقد نُشر سنة ١٩٢٧ م، وتضمن طائفة كبرى من أشعار الشابي. وعلاوة على ما ذكرت، فإن بعض الزيادات يُعزى إلى جريدة «النهضة» التونسية، عِلماً أن مجلة «أبولّو» المصرية كانت نشرت بعض قصائد للشابي في حياته.

وبعد، فإني راعيت، في إخراج هذا الديوان الترتيب الألفبائي للقصائد، باعتبار قافية البيت الأول من القصيدة، ثم فسَّرت من الكلمات ما رأيته ضرورياً من أجل تقريب المعنى، كما وضبطت ما يلزم من الحروف والكلمات، فضلاً عن ذكر البحر العروضي لكل مقطوعة، مع الفصل بين الشطرين المتداخلين حيث لزم الأمر.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وُفِّقت، في ما بذلته من جهد، لينال عملي هذا القبول والرضا. وإن كنت قصَّرْت أو أخطأت، فعذراً أيها القارىء العزيز، وأدعو الله أن يلهمني الصواب، ويوفِّقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

والحمد لله وحده

أحمد حسن بَسَج

السبت ٨ صفر ١٤١٥ هجرية

الموافق ١٦ تمّوز ١٩٩٤ رومية

أبو القاسم الشابي

مولده ونشأته:

ولد أبو القاسم في ٢٤ شباط فبراير من سنة ١٩٠٩ م، في بلدة الشابّة، وهي من ضواحي توزر[١].

وكان والده الشيخ محمد بن بلْقاسم الشابي، الذي يتحدّر من أسرة الشابية، قد تخرّج في الجامع الأزهر، بعد دراسة سبع سنوات، في أوائل القرن العشرين، ثم التحق بجامع الزيتونة في تونس، ونال في نهاية المطاف ما كان يُسمّى شهادة التطويع[٢]، ويعيّن قاضياً شرعياً متنقّلاً في المناطق التونسية. في هذه الأثناء كان أبو القاسم حديث عهد في هذه الدنيا، يتنقل برفقة والديه حيث يستقر بهما المقام، فلم ينعم في قضاء سنوات طفولته في بلدته التي ولد فيها.

ومما يُذكر أنه لم يأت لزيارة هذه البلدة إلا مرتين حيث قضى نحواً من ثلاثة أشهر[٣]، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية أتى فيها بعد ذلك زائراً. ومن الجدير بالذكر أن جولة هذه الأسرة استغرقت عشرين سنة في بلاد تونسية مختلفة فمن قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان. وهذه البلاد تفصل بينها المسافات الطوال جغرافياً، كما أنها تتمايز بمناخاتها وعاداتها ولهجات أبنائها أيضاً، فزغوان مثلاً منطقة جبلية، ورأس الجبل غنية بالبساتين، وقابس ذاتُ مناخ حار، بينما تتساقط الثلوج في تالة، والناس في قابس يعتمدون على صيد الأسماك، بينما، تعتبر الزراعة والفلاحة في مجاز الباب المورد الرئيسي للسكان هناك، وتبعاً لهذا كله تختلف الطبائع والعادات...

دراسته:

تلقى أبو القاسم دروسه الأولى على يد والده بالدرجة الأولى، ثم أرسله إلى الكتّاب[٤] في بلدة قابس، وفي الثانية عشرة من عمره، قدم[٥] إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ/١٩٢٠ م،

---

(١) تعتبر توزر من أكبر بلاد الجريد في جنوب تونس، وتُعرف بأشجار النخيل.

(٢) هي شهادة إنهاء الدروس في جامع الزيتونة.

(٣) أغاني الحياة: ٩.

(٤) أبو القاسم الشابي. عبد المجيد الحر: ٥٥.

(٥) أغاني الحياة: ١٠.

حيث التحق بجامع الزيتونة للدراسة، حيث تهيّأت له الفرصة الحقيقية من أجل التحصيل العلمي وخصوصاً العلوم الدينية، فقضى سبع سنوات يدرس ويطالع، ويخالط المثقفين وأهل العلم، ولكنّه كان لا يخفي تبرُّمه وتضجّره من إقامته في مكان لا تلقى فيه أفكاره القبول والرضا. ومع ذلك فقد «كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية»، إلا أنه اطلع على آداب الغرب من خلال ما كانت تنشره الدور العربية من تلك الآداب والحضارات.

وفي سنة ١٩٢٧ م وفي شهر يونيو/حزيران نال الشابي شهادة التطويع حيث أنهى دروسه في جامع الزيتونة. وفي العام التالي ١٩٢٨ م انتسب إلى المدرسة التونسية للحقوق ونال إجازتها سنة ١٩٣٠ م.

نشاطه الأدبي أثناء دراسته:

ذكرنا أن الشابي جمع ثقافة واسعة عربية من جهة، وغربية عن طريقة ما قرأه من ترجمات ونقول عن الآداب الغربية، لذلك تفتحت قرائحه الشعرية في سن مبكرة في حدود الثانية عشرة من عمره ومما يروى[١] في ذلك أن قصيدة «يا حب» التي نظمها سنة ١٩٢٣ م كانت من أوائل شعره. وكتب في الصفحة الأدبية لجريدة النهضة، كل اثنين، سنة ١٩٤٢ هـ/١٩٢٦ م. وظهر شعره مطبوعاً ضمن كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»[٢]، سنة ١٣٤٤ هـ/١٩٢٧ م. وفي السنة ذاتها ألقى محاضرة في نادي قدماء الصادقية عنوانها: «الخيال الشعري عند العرب»، كانت مادة الكتاب الذي حمل العنوان نفسه فيما بعد.

وكان يساهم في شعره بتلك الفترة في مساندة حركات التجديد، وبعث حركة المسلمين، وعمل على مناصرة حركة تحرير المرأة، ومما يجدر ذكره، دعوته إلى التجديد في الأدب من خلال «الخيال الشعري عند العرب»، مما جعله يتعرض إلى حملة شعواء، شنها عليه ناقدوه وخصوم التجديد، ولكن وقوف والده إلى جانبه في كثير من آرائه في التحرير والتجديد، أكسبه قوة في الاستمرار والصمود أمام معارضيه. ولكن هذا الوالد سرعان ما يقع فريسة للمرض، ويداهمه الموت سنة ١٩٢٩ م، وهو في الخمسين من عمره، وقد رافقه الشابي من زغوان إلى مسقط رأسه توزر.

رتّبت عليه هذه الفاجعة أعباء جديدة عائلية كبيرة، خصوصاً وأن نفسه العالية أبت عليه أن يقف أمام أبواب ذوي السلطة والنافذين، فرضي بالبساطة، واقتنع بالمقسوم له، هو وأسرته

---

(١) أغاني الحياة: ١٠.

(٢) أغاني الحياة: ١٠.

في توزر. ومما قيل[1] في هذا: «كنا نرى في نفسه الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه».

مرضه وزواجه:

أصيب أبو القاسم بداء تضخم القلب، في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره، وقد نهاه الأطباء عن بذل أي جهد فكري أو جسدي ومع ذلك لم يتوقف عن عمله شعراً ونثراً، مما زاد في خطورة وضعه.

أما زواجه، فإنه، وبناء على رغبة والده، وبعد استشارة الطبيب[2] أقدم على الزواج سنة ١٩٢٩ م، قبيل وفاة والده بقليل، ولكن حالته بعد الزواج لم تتحسن، بل على العكس ازدادت سوءاً خصوصاً وأنه كان يُرهق نفسه أكثر مما يطيق قلبه المتعب، فتكاثرت بعد سنة ١٩٣٠ م النوبات القلبية الحادة، ومع أنّ عدة أطباء أشرفوا على معالجته، ومنه الطبيب الفرنسي «كالو»، فلم يسفر كل ذلك عن أي فائدة تُذكر، عِلماً أنه أخذ بنصائحهم بعد ذلك في قضاء الوقت في المصايف والمنتجعات سنة ١٩٣٢ م، وكان رزق بولده البكر[3]. وفي سنة ١٩٣٣ م، اضطر بعد اشتداد المرض أن يلازم الفراش ويمتنع عن الكتابة والقراءة، ثم انتقل إلى مكان يُدعى «حامة توزر» حيث يوجد فيها عين ماء حار يستشفى بها من بعض الأمراض.

وفاته:

اشتد عليه المرض سنة ١٩٣٤ م، فتوجه إلى تونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطالي في ٢٦ أغسطس آب بقي فيها حتى توفي سحر يوم ٩ تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٣٤ م، ونقل جثمانه إلى بلده توزر حيث دفن فيها.

آثاره[4]:

تعود شهرة الشابي إلى ديوانه بالدرجة الأولى، ثم إلى كتابه الموسوم «الخيال الشعري عند العرب». ولكن بالإضافة إلى هذين الأثرين الكبيرين، فإن للشابي أعمالاً أخرى نذكر منها:

١ ـ قصة الهجرة النبوية، وقد نشرتها مجلة العالم في تونس.

---

(١) أغاني الحياة: ١١، عن مجلة العالم الأدبي شعبان ١٣٥٣ هـ/ نوفمبر ١٩٣٤ م.

(٢) هو الدكتور محمد الماطري النّطاسي.

(٣) ورزق بمولود آخر بعد ذلك. أبو القاسم الشابي: حياته وأدبه: زين العابدين السنوسي: ٢٧. ومما يذكره السنوسي أن الشابي كان سعيداً في زواجه، وقد يكون ذلك من باب امتداح زوجة الشابي التي وصفها بالفاضلة، ولكن الشابي ومن خلال شعره ظل يحمل في قلبه ذكرى الفتاة الأولى التي أحبها وأخلص لها وماتت وهي صبيّة.

(٤) أبو القاسم الشابي ـ عبد المجيد الحر: ٦٥.

٢ ـ «في المقبرة» وهي رواية.
٣ ـ «السكير» وهي مسرحية.
٤ ـ مجموعة رسائل، توجّه بها إلى أصدقائه ومنهم: البشروش، والحليوي، وأبو شادي، وإبراهيم ناجي وعلي ناصر، وآخرون.
٥ ـ «مذكرات» بدأ بتدوينها سنة ١٩٣٠.
٦ ـ الأدب العربي في العصر الحاضر، وهي دراسة أدبية قصيرة قدّم بها ديوان «الينبوع» للشاعر أبي شادي.
٧ ـ «شعراء المغرب»، دراسة أعدها ليلقيها في النادي الأدبي، ولم يلقها فتركت مخطوطة.
٨ ـ «جميل بثينة» وقصص أخرى.
٩ ـ «صفحات دامية».
١٠ ـ مقالات مختلفة.

ديوانه:

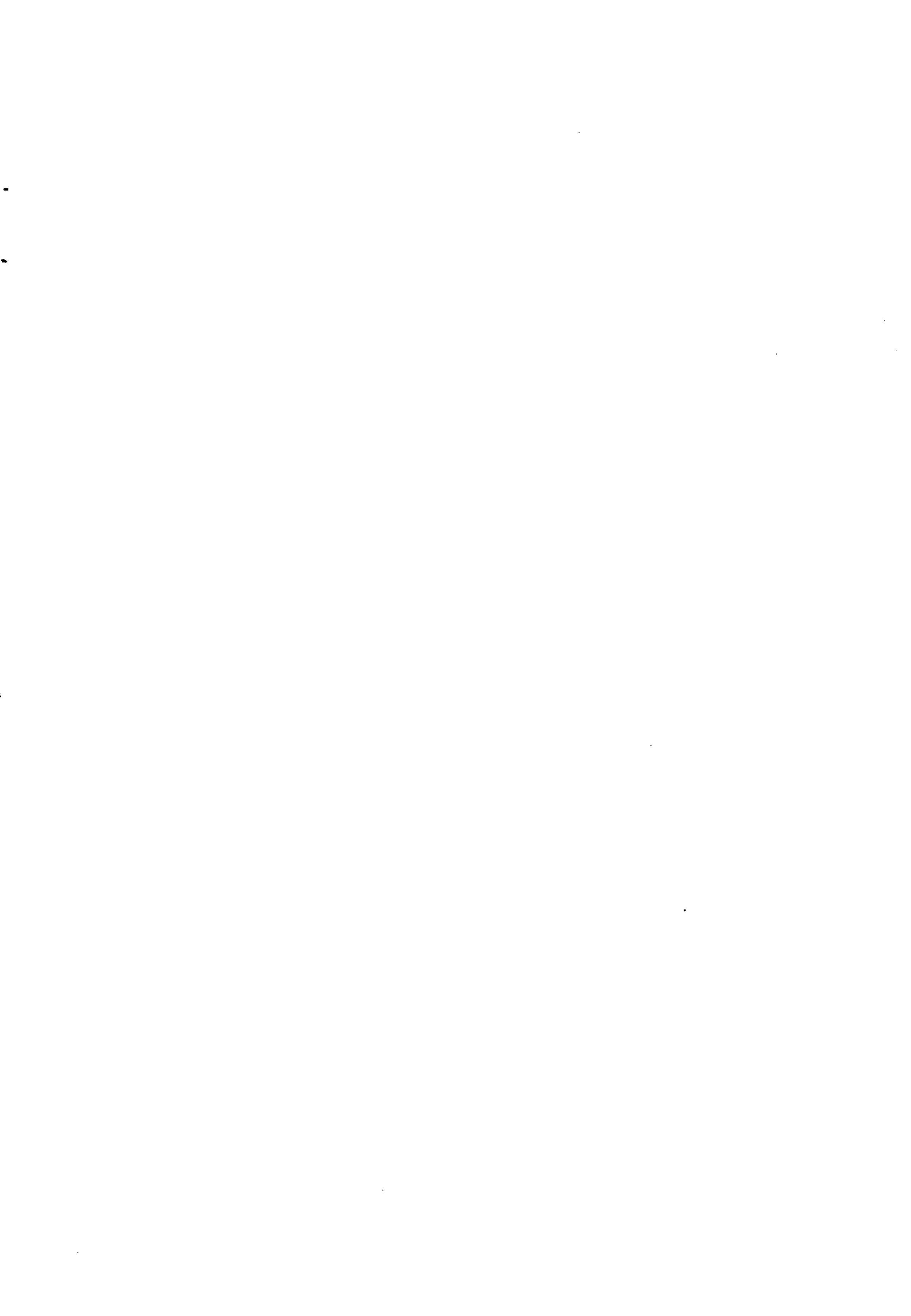
جمع الشابي ديوانه في صيف ١٩٣٤ م وسماه «أغاني الحياة» وقد رتّبه بنفسه، واختار ما يريد من القصائد وأهمل البعض الآخر، وكان يعدُّه بذلك للطبع، ولكن الموت منعه من ذلك، فتولى أخوه محمد الأمين الشابي تلك المهمة فنشر الديوان بإشراف أحمد زكي أبو شادي سنة ١٩٥٤ م. وتميّزت تلك الطبعة بأنها التزمت الترتيب الذي كان ارتضاه الشاعر نفسه لقصائده، فلم يَطرأ أي تعديل على الديوان، إلا بإضافة بعض قصائد لم يثبتها الشاعر. وهي: «نظرة في الحياة»، «أنشودة الرعد»، «في الظلام»، «أيها الليل»، «شعري»، «أيها الحب»، «أغنية الأحزان»، «جدول الحب».

شعره وأغراضه:

ليست العملية الشعرية عند الشابي عملية فنية مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في إيصال مبادئه الثورية إلى مجتمعه، فهو يريد لأمته أن تهب من رقدتها، يريد أن يشهد نهاية الظلم في بلاده، فكان يتغنى بالحياة وبجمالها من أجل ترغيب الآخرين في أن يتوجهوا إلى ذواتهم أولاً فيصلحون من أنفسهم، ثم يتأملون الطبيعة التي يلفت أنظارهم إلى جمالاتها، ليدركوا أهمية الحياة وبالتالي أهمية الحرية. وبالمقدار الذي يتحرّق فيه الشاعر ويتألم من أجل الآخرين، رأينا أن الاستجابة لدعواته لم تكن بالحجم الذي أراده، من هنا كانت ردود الفعل عنده عنيفة أحياناً فينهال على الخاملين والكسالى بالتقريع، وينصرف عنهم متوجهاً إلى الطبيعة بكليته، متأثراً بالرومنطيقيين، لعله يجد راحة لنفسه المتمرِّدة، ففي الغاب الذي توجه إليه، عودة إلى الفِطرة، وعالم الغاب بالمفهوم الرومنطيقي عالم خيالي عاطفي، والحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغربة، وهو بين أهله وقومه، هذا

الإحساس، يتطور مع مرور الزمن إلى ملل ويأس واشمئزاز من الذين يتمسكون بأعراف بالية لا يُقرّها عقل ولا تتوافق مع الدين. إذاً، جعل الشابي من الشعر منطلقاً ليعبّر عن ذاته وما يعتلج فيها من هموم، سواء ما يدور منها حول هذه الذات، أو ما يتعلق بالآخرين.

أما طريقته في النظم، فإنها تقوم على أسس ومنطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما: عمق المعاني، وسهولة الألفاظ. فالمعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة، ليِّنة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتي مُشعَّة، تتداخل من خلالها المحسوسات، مما يقرِّب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبَه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم باللفظة المفردة وبالمعنى العميق، فقد جاء بأوزان شعرية رشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخّى الشاعر أن يقدم معانيه عبرها، وهي موسيقى انسيابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتطربه حيناً، وتثيره حيناً آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفلات والتحلل من كل قيد! لذلك، نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل، والمتقارب، ومجزوء الكامل، والمنسرح والخفيف، وكلها أوزان تخدم أغراض الشاعر وتتلاءم مع طبيعة شعره، في التعبير عن موضوعاته التي أشرنا إليها.



قافية الهمزة

نشيد الجبّار[1]

أو هكذا غنّى بْرُومِيثْيُوس

[من الكامل]

سَأعيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأعْداءِ ... كالنَّسْرِ فوقَ القِمَّةِ الشَّمَّاءِ[2]

أرنو إلى الشَّمْسِ المضيئةِ.. هازئاً ... بالسُّحْبِ، والأمطارِ، والأنْواءِ[3]

لا أرمقُ الظِّلَّ الكئيبَ.. ولا أرى ... ما في قرارِ الهُوَّةِ السَّوداءِ[4]

وأسيرُ في دُنيا المشاعرِ، حالماً، ... غرِداً - وتلكَ سعادةُ الشُّعَراءِ

أُصغي لموسيقى الحياةِ، وَوَحْيِها ... وأذيبُ رُوحَ الكونِ في إنشائي

وأُصيخُ للصّوتِ الإلهيِّ، الَّذي ... يُحيي بقلبي مَيِّتَ الأصْداءِ[5]

وأقولُ للقَدرِ الَّذي لا ينثني ... عَنْ حَرْبِ آمالي بِكُلِّ بَلاءِ:

«لا يُطْفِئُ اللَّهبَ المؤجَّجَ في دمي ... موجُ الأسى، وعواصفُ الأرزاءِ»[6]

«فاهدمْ فؤادي ما استطعتَ، فإنَّهُ ... سيكون مثلَ الصَّخْرة الصَّمَّاءِ»

«لا يعرفُ الشَّكْوى الذليلَة والبكا، ... وضراعَةَ الأطفالِ والضّعفاءِ»[7]

«ويعيشُ جبَّارا، يحدِّق دائماً ... بالفجر.. بالفجرِ الجميلِ، النَّائي»[8]

---

(١) نظمها في ٢٧ شعبان ١٣٥٢ هـ/١٥ ديسمبر/ كانون أول ١٩٣٣ م.

(٢) الداء: المرض. القمة الشمّاء: القمة العالية الشامخة.

(٣) أرنو، من الرُّنو: إدامة النظر بسكون الطّرف. الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب.

(٤) أرمُقه: ألحظه لحظاً خفيفاً. الهُوّة: ما انهبط من الأرض.

(٥) أصيخ: أستمع. الأصداء: جمع الصدى: الجسد من الآدمي بعد موته، أو الرجل اللطيف الجسد.

(٦) الأرزاء: جمع الرُّزء: المصيبة.

(٧) الضراعة: الاستكانة والخضوع.

(٨) النائي: البعيد.

«إملأْ طريقي بالمخاوفِ، والدُّجى، وزوابعِ الأشواكِ، والحصباءِ»[١]
«وانشرْ عليه الرُّعب، وانثرْ فوقه رُجُمَ الرَّدى، وصواعِقَ البأساءِ»[٢]
«سأظلُّ أمشي رغْمَ ذلك، عازفاً قيثارتي، مترنِّماً بغنائي»
«أمشي بروحٍ حالمٍ، متوهِّجٍ في ظُلمةِ الآلامِ والأدواءِ»[٣]
«النُّور في قلبي وبينَ جوانحي فَعَلامَ أخشى السَّيرَ في الظلماءِ»![٤]
«إنِّي أنا النَّايُ الذي لا تنتهي أنغامُهُ، ما دامَ في الأحياءِ»[٥]
«وأنا الخِضَمُّ الرحْبُ، ليس تزيدُهُ إلا حياةً سَطْوةُ الأنواءِ»[٦]
«أمَّا إذا خمدت حياتي، وانقضى عُمُري، وأخرسَتِ المنيَّةُ نائي»[٧]
«وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي قد عاشَ مِثْلَ الشُّعْلةِ الحمراءِ»[٨]
«فأنا السَّعيد بأنَّني متحوِّلٌ عَنْ عَالمِ الآثام، والبغضاءِ»[٩]
«لأذوبَ في فجر الجمالِ السرمديِّ وأرتوي من مَنْهَلِ الأضواءِ»[١٠]
وأقولُ للجَمْعِ الَّذينَ تجشَّموا هَدْمي وودُّوا لو يخرُّ بنائي[١١]
ورأوْا على الأشواك ظلِّيَ هامِداً فتخيَّلوا أني قضيْتُ ذَمائي[١٢]
وغدوْا يَشُبُّون اللَّهيبَ بكلِّ ما وجدوا. . ، ليشْوُوا فوقَه أشلائي[١٣]
ومضَوْا يُمُدُّونَ الخُوَانَ، ليأكلوا لحمي، ويرتشفوا عليه دِمائي[١٤]
إنِّي أقول ـ لَهُمْ ـ ووجهي مُشْرِقٌ وعلى شفاهي بَسْمَةُ استهزاءِ
«إنَّ المعاوِلَ لا تَهُدُّ مناكبي والنَّارَ لا تأتي على أعضائي»

---

(١) الدُّجى: ظلمة الليل. الحصباء: الحصى، الواحدة: حَصَبَة.
(٢) الردى: الهلاك. الرُّجُم: النجوم التي يُرجم بها، وحجارة تُنصب على القبر، أو هي العلامة.
(٣) الأدواء: جمع الداء: المرض.
(٤) الجوانح: جمع الجانحة: الضلع تحت الترائب مما يلي الصدر.
(٥) الناي: من آلات الموسيقى.
(٦) الخِضَمّ: السيِّد الحمول المعطاء، والبحر. الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب.
(٧) خمدت النار: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها. خمدت حياتي: انتهت. نائي، يعني نوئي.
(٨) خبا: سكن وطفىء.
(٩) الآثام: جمع الإثم: الذَّنْب. قوله: عالم الآثام، يعني عالمه الحاضر في الدنيا.
(١٠) السرمد: الدائم. المنهل: المورد والتمشرب.
(١١) تجشَّموا: تكلَّفوا.
(١٢) الذَّماء: بقية النفس.
(١٣) الأشلاء: جمع الشِّلو: العضو.
(١٤) الخوان: ما يؤكل عليه الطعام. يرتشف: يمتص.

«فارموا إلى النّار الحشائشَ . . ، والعبوا يا مَعْشَرَ الأطفالِ تحتَ سَمائي»
«وإذا تمرّدتِ العَواصفُ، وانتشى بالهولِ قلْبُ القبّةِ الزّرقاءِ»[1]
«ورأيتموني طائراً، مترنّماً فوقَ الزّوابعِ، في الفَضاءِ النّائي»[2]
«فارموا على ظلّي الحجارةَ، واختفوا خَوْفَ الرِّياحِ الْهوجِ والأنواءِ . .»[3]
«وهناكَ، في أمنِ البيوتِ، تطارحوا غَثَّ الحديثِ، وميِّتَ الآراءِ»[4]
«وترنّموا ـ ما شئتمُ ـ بِشَتائمي وتجاهَرُوا ـ ما شئتمُ ـ بِعِدائي»
«أمّا أنا فأُجيبكمْ مِنْ فوقكمْ والشّمسُ والشّمسُ والشّفقُ الجميل إزائي :»
«مَنْ جاشَ بالوحي المقدّسِ قلبُه لم يحتفلْ بِحِجارةِ الفلتاءِ»[5]

أيّها الحبُّ[6]

[من الخفيف]

أيُّها الحُبُّ أنْتَ سِرُّ بَلائي وَهُمُومي، وَرَوْعَتي، وَعَنائي[7]
وَنُحولي، وَأدْمُعي، وَعَذابي وَسُقامي، وَلَوْعَتي، وَشَقائي

* * *

أيُّها الحُبُّ! أنْتَ سِرُّ وُجُودي وَحَياتي، وَعِزَّتي وَإبائي
وَشُعاعي مَا بَيْنَ دَيْجُورِ دَهْري وَأليفي، وَقُرَّتي، وَرَجائي[8]
يَا سُلافَ الفُؤادِ! يا سُمَّ نَفْسي في حَياتي يَا شِدَّتي! يَا رَخائي![9]
أَلَهيبٌ يَثُورُ في رَوْضَةِ النَّفْسِ فَيَطْغَى، أمْ أنْتَ نُورُ السَّماءِ؟

* * *

---

(1) انتشى: سَكِر. الهول: المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه. القبّة الزرقاء، يعني السماء.
(2) الزوابع: جمع الزوبعة: الإعصار. النائي: البعيد.
(3) هُوج: جمع هوجاء. الريح الهوجاء: الريح تقلع البيوت. الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب، ويريد بالأنواء ما يثقله.
تطارحوا الحديث: تبادلوه، غث الحديث: الفاسد منه.
يُقال: جاش الوادي: زَخَر. جاشت العين: فاضت. الفلتة: الفجأة.
(6) نظمها في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٢ هـ/ غرة أوت ـ أغسطس آب ١٩٢٤ م.
(7) العناء: المشقة.
(8) الديجور: الظلام. أليفي: صاحبي. قُرَّة العين: جرجير الماء.
(9) السلافة والسُّلاف: الخمرة، أو أولها والخالص منها.

أيُّها الحُبُّ قَدْ جَرَعْتُ بِكَ الحُزْ نَ كُؤُوساً، وما اقْتَنَصْتُ ابْتِغائي
فَبِحَقِّ الجَمالِ، يَا أيُّها الحُ بُّ حَنَانَيكَ بي! وَهَوِّن بَلائي[1]
لَيْتَ شِعْرِي! يَا أيُّها الحُبُّ، قُلْ لي: مِنْ ظَلامٍ خُلِقْتَ، أمْ مِنْ ضِيَاءِ؟

(١) حنانيك، أي: تحنن عليَّ مرة بعد مرة وحناناً بعد حنان.

قافية الباء

يا شعر[1]

[من الكامل]

يَـا شِـعْـرُ أنْـتَ فَـمُ الـشُّـعُـ ـورِ، وَصَـرْخَـةُ الـرُّوحِ الـكَئِيبْ
يَـا شِـعْـرُ أنْـتَ صَـدَى نَـحِـيـ ـبِ الـقَلْبِ، والـصَّبِّ الـغَـرِيبْ[2]

* * *

يَـا شِـعْـرُ أنْـتَ مَـدَامِـعٌ عَـلِقَـتْ بِـأَهْـدَابِ الحَـيَـاةْ
يَـا شِـعْـرُ أنـتَ دَمٌ، تَـفَـجَّـ ـرَ مِـنْ كُـلُومِ الـكَـائِـنَـاتْ

* * *

يَـا شِـعْـرُ! قَـلْـبِي - مِـثْـلَمَا تـدري - شَـقِـيٌّ، مُـظْلِمُ
فِـيـهِ الجِـرَاحُ، الـنُّـجْـلُ، يَـقْـ ـطُرُ مِـن مَـغَـاوِرِهـا الـدَّمُ[3]

* * *

جَمَدَتْ عَـلَى شَـفَـتَـيْـهِ أَرْ زَاءُ الحَـيَـاةِ الـعَـابِـسَـةْ[4]
فَـهُـوَ الـتَّـعِـيسُ، يُـذِيـبُـهُ نَـوْحُ الـقُـلُوبِ الـبَـائِـسَـةْ

* * *

أَبـداً يَـنـوحُ بِـحُـرْقَـةٍ، بَـيْـنَ الأَمَـانِي الهَـاوِيَـةْ

---

(١) نظمها في ١٤ رجب ١٣٤٥ هـ/ ١٨ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٧ م.
(٢) الصَّدى: ما يسمعه المصوِّت في الجبل أو في غيره. الصَّب: المشتاق العاشق.
(٣) النُّجل: جمع النجلاء: الواسعة. المغاور: جمع المغارة: القعر. كُلوم: جمع كَلْم: جُرح.
(٤) الأرزاء: جمع الرُّزء: المصيبة.

كالبُلْبُلِ الغِرِّيدِ مَا بينَ الزُّهورِ الذَّاوِيهْ[1]

* * *

كمْ قَدْ نَصحْتُـهُ بأنْ يَسْلُو، وكَمْ عَزَّيْتُهُ
فأبى، ومَا أصغَى إلى قَوْلِي، فَمَا أجْدَيْتُهُ[2]

* * *

كَمْ قُلْتُ: «صبراً يا فُؤَادُ! ألا تَكُفُّ عَنِ النَّحِيبْ؟»
«فإذا تَجَلَّدَتِ الحَيَاةُ تَبَدَّدَتْ شُعَلُ اللَّهِيبْ»[3]

* * *

«يَا قَلْبُ»! «لا تجزعْ أمامَ تَصَلُّبِ الدَّهْرِ الهَصُورْ»[4]
«فإذا صَرَخْتَ توجُّعاً هَزَأَتْ بِصَرختِكَ الدُّهُورْ»

* * *

«يَا قَلْبُ! لا تَسْخَطْ عَلَى الأَيَّامِ، فالزَّهْرُ البَدِيعْ»
«يُصْغِي لِضَجَّاتِ العَوَاصفِ قَبْلَ أنْغَامِ الرَّبِيعْ»

* * *

«يا قَلْبُ! لا تَقْنعْ بِشَوْكِ اليَأْسِ مِنْ بَينِ الزُّهُورْ»
«فَوَراءَ أوْجَاعِ الحَيَاةِ عُذُوبَةُ الأَمَلِ الجَسُورْ»[5]

* * *

«يا قَلْبُ! لا تَسْكُبْ دُمُوعَكَ بالفَضَاءِ فَتَنْدَمِ»
«فَعَلَى ابتساماتِ الفَضَاءِ قَسَاوَةُ المُتَهَكِّمِ»

* * *

لكِنْ قَلْبي وَهْوَ مُخْضَلُّ الجوانبِ بالدُّمُوعْ[6]

---

(١) الزهور الذاوية: الزهور الذابلة.

(٢) أجديته: أعطيته. والجدَا: العطية.

(٣) الجَلَد: الأرض الصُّلبة. قوله: تجلّدت الحياة، يعني اشتدت وتقوّت.

(٤) الهَصُور: الذي يهصر، أي: يميل ويدفع ويكسر.

(٥) الجسور: الشجاع الضخم.

(٦) مخضلّ: مبتلّ.

جَاشَتْ بِهِ الأَحْزَانُ، إذْ طَفَحَتْ بِهَا تِلْكَ الصُّدُوعْ[1]

* * *

يَبْكِي عَلَى الحُلْمِ البَعِيـ ـدِ بِلَوْعَةٍ، لا تَنْجَلي
غَرِداً، كَصَدَّاحِ الهَوَا تِفِ في الفَلا، وَيَقُولُ لي:[2]

* * *

«طَهِّرْ كُلُومَكَ بِالدُّمُو عِ، وَخَلِّهَا، وَسَبِيلَهَا»[3]
«إنَّ المَدَامِعَ لا تَضِيـ ـعُ حَقِيرَهَا وَجَلِيلَهَا»

* * *

«فَمِنَ المَدَامِعِ ما تَدَفَّـ ـعَ جَارِفاً حَسَكَ الحَيَاةْ»[4]
«يَرْمِي لِهَاوِيَةِ الوُجُو دِ بِكُلِّ ما يَبْني الطُّغَاةْ».

* * *

«وَمِنَ المَدَامِعِ مَا تَأَلَّـ ـقَ في الغَيَاهِبِ كَالنُّجُومْ»[5]
«وَمِنَ المَدَامِعِ مَا أَرا حَ النَّفْسَ مِنْ عبءِ الهُمُومْ»

* * *

فَارْحَمْ تَعَاسَتَهُ، ونُحْ مَعَهُ عَلَى أحْلاَمِهِ
فَلَقَدْ قَضَى الحُلْمُ البَدِيـ ـعُ عَلَى لَظَى آلاَمِهِ[6]

* * *

يَا شِعْرُ! يَا وَحْيَ الوُجُو دِ الحَيِّ، يَا لُغَةَ المَلاَيِكْ[7]
غَرِّدْ، فَأيَّامِي أنَا تَبْكِي عَلَى إيقَاعِ نَايِكْ[8]

---

(١) جاش: غلى، جاشت العين: فاضت. الصُّدوع: جمع الصَّدع: الشق.
(٢) صَدَح الطائر: رفع صوته بغناء. الهواتف: جمع الهاتف: ما تسمع صوته. الفلا والفلاة: القفر، أو المفازة لا ماء فيها.
(٣) الكُلوم: جمع الكَلْم: الجرح.
(٤) الحَسَك: نبات له شوك، والحَسَك: العداوة والحقد. ويريد: كل مصاعب الحياة، المادية والمعنوية.
(٥) الغياهب: جمع الغَيهب: الظلمة. تألَّق: التمع.
(٦) اللظى: النار، أو لهبها.
(٧) الملايك، أي: الملائكة.
(٨) الناي: من الآلات الموسيقية.

رَدِّدْ عَلَى سَمْعِ الدُّجَى أَنَّاتِ قَلْبِي الوَاهِيَهْ[1]
واسْكُبْ بأَجْفَانِ الزُّهُو رِ دُمُوعَ قلبي الدَّامِيَهْ

* * *

فَلَعَلَّ قَلْبَ اللَّيلِ أَرْ حَمُ بالقُلُوبِ البَاكِيَةْ
ولَعَلَّ جَفْنَ الزَهرِ احْ فَظُ للدُّمُوعِ الجَارِيَهْ

* * *

كَمْ حَرَّكَتْ كَفُّ الأسَى أَوْتَارَ ذَيَّاكَ الحَنِينْ
فَتَهَامَلَتْ أَحْزَانُ قَلْـ بِي فِي أَغَارِيدِ الأَنِينْ[2]

* * *

فَلَكَمْ أرِقْتُ مَدَامِعِي، حَتَّى تَقَرَّحَتِ الجُفُونْ
ثُمَّ التَفَتُّ، فَلَمْ اجِدْ قَلْباً يُقَاسِمُنِي الشُّجُونْ

* * *

فَعَسَى يَكُونُ اللَّيلُ أَرْ حَمَ، فَهْوَ مِثْلِي يندُبُ
وَعَسَى يَصُونُ الزَّهْرُ دَمْـ عِي، فَهْوَ مثلي يَسْكُبُ

* * *

قَدْ قَنَّعَتْ كَفُّ المَسَا ءِ الموتَ بالصَّمْتِ الرَّهِيبْ،
فَغَدا كأعْمَاقِ الكُهُو فِ، بِلا ضَجِيجٍ أو وَجِيبْ[3]

* * *

يَأتِي بأجْنِحَةِ السُّكُو نِ، كأنَّهُ اللَّيلُ البَهِيمْ
لكِنَّ طَيْفَ الموتِ قَا سٍ، والدُّجى طَيفٌ رَحِيمْ

* * *

مَا لِلمَنِيَّةِ لا تَرِ قُّ على الحَيَاةِ النَّائِحَهْ؟

---

(١) الدجى: ظلمة الليل. أنّات: جمع أنّة من الأنين. الواهية: الضعيفة.
(٢) تهاملت، وانهملت، أي: فاضت. وانهملت السماء: دام مطرها في سكون.
(٣) الوجيب: الخفقان.

سِيَّانِ أفئدةٌ، تَئِـ ـنُّ، أوِ القُلُوبُ الصَّادِحَةْ[1]

* * *

يَا شِعْرًا! هَلْ خُلِقَ المَنُو نُ بلا شعورٍ كالجَمَادْ؟
لا رَعْشَةٌ تَعْرُو يديْـ ـهِ إذَا تَمَلَّقَهُ الفُؤَادْ؟[2]

* * *

أرأيتَ أزْهَارَ الرَّبيـ ـعِ، وَقَدْ ذَوَتْ أوراقُهَا[3]
فَهَرَتْ إلى صَدْرِ الثَّرا بِ، وَقَدْ قَضَتْ أشْوَاقُهَا؟[4]

* * *

أرأيتَ شُحْرورَ الفلا، مُتَرَنِّمًا بَيْنَ الغُصُونْ[5]
جَمَدَ النَّشِيدُ بِصَدْرِهِ، لَمَّا رأى طَيْفَ المَنُونْ؟[6]

* * *

فَقَضَى، وَقَدْ غَاضَتْ أغَا رِيدُ الحَيَاةِ الطَّاهِرَةْ[7]
وَهَوى مِنَ الأغْصَانِ، مَا بَيْنَ الزُّهُورِ البَاسِرَةْ؟[8]

* * *

أرأيتَ أمَّ الطِّفْلِ تَبْـ ـكِي ذَلكَ الطِّفْلَ الوَحِيدْ
لَمَّا تَنَاوَلَهُ، بِعُنْفٍ، سا عِدُ المَوتِ الشَّدِيدْ؟

* * *

أسَمِعْتَ نَوْحَ العَاشِقِ الـ ـوَلْهَانِ، مَا بينَ القُبُورْ

---

(١) سِيَّان: مِثلان، الصادح: الذي يرفع صوته بغناء.
(٢) تملّقه: تودد إليه. قوله: تعرو يديه، أي تغشاهما.
(٣) ذَوَت: ذبلت.
(٤) هَرَتْ: في الأصل هَرَّتْ فخففها الشاعر. هَرَّت وهَرَت، يعني: يبست وتنفشّت. وقد تكون مخففة من قولهم: هرأه البرد إذا قتله.
(٥) الشحرور: طائر. الفلا والفلاة: القفر، والمفازة لا ماء فيها.
(٦) الطّيف: الخيال الطائف في المنام. المنون: الدهر، والموت.
(٧) قضى، أي: هلك. غاض الماء: نقص وقلّ.
(٨) هوى: سقط. الباسرة، من البَسْر: ابتداء الشيء.

يَبْكِي حَبِيبَتَهُ؟ فَيَا لِمَصَارِعِ المَوتِ الجَسُورْ![1]

* * *

طَفَحَتْ بأعْمَاقِ الوُجُو دِ سَكِينَةُ الصَّبْرِ الجَلِيدْ[2]
لَمَّا رَأى عَذْلَ الحَيَا ةِ يَضُمُّه اللَّحدُ الكَنُودْ[3]

* * *

فَتَدَفَّقَتْ لَحْناً، يُرَدِّ دُهُ على سَمْعِ الدُّهُورْ
صَوتُ الحياةِ بِضَجَّةٍ...، تَسْعَى على شَفَةِ البُحُورْ

* * *

يا شِعْرُ! انتَ نَشِيدُ أمْ واجِ الخِضَمِّ السَّاحِرةْ[4]
النَّاصِعَاتِ، البَاسِمَا تِ، الرَّاقِصَاتِ، الطَّاهِرةْ

* * *

السَّافِراتِ، الصَّادِحَا مَعَ الحياةِ إلى الأبدْ؟[5]
كَعَرائِسِ الأمَلِ الضَّحُو كِ، يَمِسْنَ مَا طَالَ الأمَدْ[6]

* * *

هَا إنَّ أزْهَارَ الرَّبِيـ ـعِ تَبَسَّمَتْ أكْمَامُهَا
تَرنُو إلى الشَّفَقِ البَعِيـ ـدِ، تَغُرُّهَا أحْلامُهَا[7]

* * *

فِي صَدْرِهَا أملٌ، يحدِّ قُ نَحْوَ هاتِيكَ النُّجُومْ
لكِنَّهُ أملٌ، سَتُلْحِدُه جَبَابِرَةُ الوُجُومْ[8]

---

(١) الجسور: الشجاع الضخم.
(٢) طفح: امتلأ وارتفع. الجليد، أي: الشديد.
(٣) اللحد: القبر. الكنود: الكافر بالنعمة.
(٤) الخضمّ: البحر.
(٥) الصادحات: الرافعات الصوت بغناء. السافرات: المسافرات. أو المشرقات المضيئات. يُقال: سَفَر الصبحُ: أضاء وأشرق.
(٦) يمسن: يتمايلن، يتبخترن.
(٧) رنا، من الرُّنو وهو إدامة النظر بسكون الطّرف.
(٨) تلحده: تدفنه، تضعه في اللحد أي القبر. جبابرة: جمع جبّار. الوجوم: العبوس. والسكوت على غيظ.

فَلَسَوْفَ تُغْمِضُ جَفْنَهَا، عَنْ كُلِّ أضواءِ الحياة
حَيْثُ الظَّلامُ مُخَيِّمٌ في جوِّ ذَيَّاكَ السُّبَاتْ

* * *

هَا إنها هَمَسَتْ بِآ ذانِ الحَياةِ غَرِيدَهَا
قَتَلَتْ عَصَافِيرُ الصَّبَا حِ صُدَاحَهَا وَنَشِيدَهَا[1]

* * *

يا شِعْرُ! أنْتَ نَشِيدُ هَا تيكَ الزُّهُورِ البَاسِمَهْ
يَا لَيْتَني مِثْلُ الزُّهو رِ، بلا حَيَاةٍ وَاجِمَهْ

* * *

إنَّ الحَيَاةَ كئيبةٌ، مَغْمُورَةٌ بِدُمُوعِهَا!!
والشَّمسُ أضْجَرَهَا الأسى، في صَحْوِهَا وَهُجُوعِهَا

* * *

فَتَجَرَّعَتْ كَاساً دِهَا قاً، مِنْ مُشَعْشَعَةِ الشَّفَقْ[2]
فَتَمَايَلَتْ، سَكْرَى إلى كَهْفِ الحَيَاةِ.. وَلَمْ تُفِقْ

* * *

يا شِعْرُ! أنتَ نَحِيبُهَا لَمَّا هوَتْ لِسُبَاتِها[3]
يا شِعْرُ أنتَ صُدَاحُهَا، في مَوْتِهَا وَحَيَاتِهَا

* * *

أنْظُرْ إلى شَفَقِ السَّمَا ءِ، يَفيضُ عَنْ تِلْكَ الجِبَالْ
بِشُعَاعِهِ الخَلّابِ، يَغْ مُرُهَا بِبَسْمَاتِ الجَمَالْ

* * *

فَيُثِيرُ في النَّفْسِ الكَئِيـ بَةِ عَاصِفاً لا يَرْكُدُ

---

(١) الصُّداح: رفع الصوت بغناء.
(٢) كأس دِهاق: ممتلئة أو متتابعة.
مشعشَع: متفرّق. وقوله مشعشعة الشّفق، يعني الشمس الغاربة.
(٣) النحيب: أشد البكاء. السُّبات: النوم وخفته.

وَيُـؤَجِّـجُ الـقَـلْـبَ الْمُـعَـ ـذَّبَ شُـعْـلَةً لا تَخْـمُـدُ[1]

* * *

يَـا شِـعْـرًا أنـتَ جَمـالُ أضْـ ـواءِ الـغُـرُوبِ الـسَّـاحِـرَةْ
يَـا هَمْسَ أمْـواجِ الـسَّـمَا ءِ، الـبَـاسِـمَـاتِ الحَـائِـرةْ

* * *

يَـا نَـايَ أحْـلامِـي الحَـبِـيـبـ ـةِ! يـا رَفِـيـقَ صَـبَـابَـتِي[2]
لَـوْلاكَ مُـتُّ بِـلَوْعَـتِي، وَبِـشِـقْـوَتِي، وَكَـآبَـتِي

* * *

فِـيـكَ انْـطَوَتْ نَـفْسِي، وَفِـيـ ـكَ نَـفَـخْـتُ كُـلَّ مَـشَـاعِـرِي
فَـاصْـدَحْ عَـلى قِـمَـمِ الحَـيَـا ةِ بِـلَوْعَـتِي، يَـا طَـائِـرِي

نشيد الأسى[3]

[من مجزوء الكامل]

يَـا لـيـتَ شِـعْـرِي! هَـلْ لِلَيْـ ـلِ النَّفْسِ مِنْ صُبحٍ قَـرِيـبْ؟
فَـتَـقَـرَّ عَـاصِـفَـةُ الـظَّلا مِ، وَيَهْجَعَ الرَّعْـدُ الغَضُوبْ[4]
وَيُـرَتِّـلَ الإنْـسَـانُ أغـ ـنِـيَـةً مع الـدُّنـيـا، طَـرُوبْ

* * *

مَـا لـلرِّيـاحِ تَهُـبُّ في الـدُّ نـيـا، ويـدرِكُـهَـا الـلُّغُـوبْ[5]
إلاّ ريـاحِـي، فَـهْـيَ جَـا مِحَـةٌ، تَمَـرُّدُهَـا عَـصِـيـبْ؟[6]
مـا لي تُـعَـذِّبُـنِي الحيـا ةُ كَـأَنَّـنِي خـلْـقٌ غَـريـبْ؟
وَتَهُـدُّ مِـنْ قَـلبِـي الجَـمِـيـ ـلِ؟ فَـهَـلْ لقلبي مِنْ ذُنُـوبْ؟

---

(١) الأجيج والتأجُّج: تلهُّب النار.
(٢) الناي: من الآلات الموسيقية. الصَّبابة: رِقّة الشَّوق.
(٣) نظمها في ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ/ ٢٨ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٨ م.
(٤) تقر: تستقر. الهجوع: النوم ليلاً.
(٥) اللغوب: الحمق، والضعف.
(٦) جامحة: غالبة.

وإذا سَــألْــتُ: ولِمَ الــوجــو د، وكُــلُّهُ هــمٌّ مُــذِيــبْ؟»
قــالَتْ: «نــواميسُ الــسَّــماءِ قَضَتْ، وَمَــا لَــكَ مِــنْ هُــرُوبْ؟»[1]
آهٍ عــلى قــلبــي! وَإنْ شَــقِــيَــتْ كَــشَــقْــوَتِــهِ قُــلُوبْ
أنــقــى مِــنَ المــوجِ الــوضي ءِ، وَمِنْ نَشِيــدِ العَــنــدلــيــبْ
لم تَــقْــتَــرِفْ إثْــمَ الحــيــا ةِ، وكــان مــأواهــا الــلَّهِــيــبْ

* * *

يَــا مُهْجَــةَ الــغَــابِ الجميــلِ ألمْ يُــصَــدِّعْــكِ الــنَّــحِــيــبْ؟
يَــا وجْــنَــةَ الــوَرْدِ الأنــيــقِ ألم تــشــوِّهْــكِ الــنُّــدوبْ؟[2]
يــا جَــدْولَ الــوادي الــطَّــروبَ ألَمْ يُــرَنِّــقْــكَ الــقُــطُوبْ؟
يــا غــيْــمــةَ الأفُــقِ الخــضِــيــبِ ألَمْ تُمَــزِّقْــكِ الخُــطوبْ؟
يــا كَــوْكَــبَ الشَّــفَقِ الــضَّــحــوكِ أمَــا ألَمَّ بِــكَ الــشُّــحُــوبْ؟
هــا أنــتَ ذَا في الأفُــقِ تَــضْــ حَــكُ، لا تُهَــمُّ، ولا تَخِــيــبْ
تُــلقــي عــلى قُــنَــنِ الجــبَــا لِ رداءَ لألاءٍ قَــشِــيــبْ[3]
لِــتَــنــامَ أورادُ الجــبــالِ الــشُّــ مِّ، في مَــهْــدٍ عَــجِــيــبْ[4]
ولِــكــي تــغــنِّــيــكَ الجَــدَا ولُ لَحْنَهــا الــعَــذْبَ الحَــبِــيــبْ
وتَــرى جَمَــالَــكَ مِــنْ بــنــا تِ الــغَــابِ مِــعْــطارٌ، لَــعُــوبْ
مــعْــشــوقــةٌ، في فَــرْعِــهَــا تَــاجٌ مِــنَ الــوَرْدِ الخَــضِــيــبْ[5]
تَــتْــلُو أنــاشِــيــدَ الــرَّبــيــ عِ، كــأنَّها نَــجْــوَى الــقُــلُوبْ
يــا كــوكــبَ الــشَّــفَــقِ الــضَّــحُــو كِ! وأنــتَ مبْــتَــهَــلُ الــكَــئِــيــبْ
لُــحْ في الــسَّــمــاءِ! وغــنِّ أبــ نــاءَ الــشَّــقَــاوةِ والخُــطوبْ[6]
أنــشــودةً تَهَــبُ الــعَــزا ءَ لِــكــلِّ مُــبتَــئِسٍ غَــرِيــبْ

---

(١) النواميس: جمع الناموس، وهو صاحب السِّر، وأراد أسرار السماء.
(٢) النُّدوب: جمع النَّدبة: أثر الجرح الباقي على الجلد.
(٣) قُنن: جمع قُنَّة: أعلى الجبل، والجبل الصغير. قشيب: جديد، وخلق، ضد. والقشيب: الأبيض والنظيف، وهذا المعنى أراد.
(٤) أوراد: جمع وَرْد، والورد من الشجرة: نَورها. والورد من الخيل: بين الكُميت والأشقر. الشُّم: المرتفعة والواحد أشم.
(٥) الفَرْع من كل شيء: أعلاه. والفَرْع: الشعر التام. الخضيب: والملوّن المصبوغ.
(٦) قوله: لُح، يعني أظهرْ. الخطوب: جمع الخَطْب: الشان، والأمر صغر أو عظم.

فـالـطَّير قَـدْ اغـفـتْ، واسْـ ـكَتَ صـوتَها الليـلُ الهَيّـوبْ[1]
وابـسطْ جَـنـاحَـكَ في الـوُجُـو دِ، فـإنّـهُ عَـذْبٌ، خَـلُوبْ
مُـتَـألّـقٌ بـين الـنُّـجـو مِ، كـأنّـهُ حُـلْمٌ طَـرُوبْ
وانشُرْ ضِـيَـاءَكَ سـاطـعـاً، لِـيُـنِـيرَ أعـمـاقَ الـقُـلُوبْ
فَـعَـلى جَـوَانِـبِـهـا مِـنَ الأ حـزانِ دَيْجُـورٌ رَهِـيـبْ[2]

* * *

مَـا لِـلْـمِـيـاهِ نـقـيّـةً حـوْ لِي، وَيُـنْـبُـوعِـي مَـشُـوبْ؟[3]
مَـا لـلـصَّـبـاحِ يَـعُـودُ لـلدُّ نيـا، وصُـبْـحِي لا يَـؤُوبْ؟[4]
مَـا لي يَـضِـيـقُ بي إلـوجـو دُ، ولـكُ مـا حَـولِي رَحِـيـبْ؟
مـا لي وَجَمْـتُ وَكُـلُّ مـا في الـغَـابِ مُـغْـتَـرِدٌ طَـروب؟
مـا لي شَـقِـيـتُ، وَكُـلُّ مـا في الـكـونِ أخَّـاذٌ عَـجِـيـبْ:
في الأرض أقـدامُ الـرَّبـيـ ـع تُـلامِسُ السَّهْـلَ الجَـدِيبْ[5]
فـإذا بـه يحـيـا، وَيُـنْـ ـبِـتُ رائقَ الـزَّهـرِ الـرَّطـيـبْ
وَهُـنَـاك أنْـوارُ الـنَّـهـا رِ تُـطِلُّ مِـنْ خَـلْفِ الـغُـروبْ
فَـتُـخَـضِّـبَ الأمـواجَ، والآ فـاقَ، والجَـبَـلَ الخَـصِـيـبْ
إنَّ الـوُجـودَ الـرَّحْـبَ، والـ ـغَـابـاتِ، والأفُـقَ الخَـضـيـبْ
لَمْ تَخْـبُ أشـواقُ الحـيـا ةِ بِهَـا، فَـغَـادَرَهـا الـقُـطُوبْ[6]
أمـا أنـا فَـفَـقَـدْتُهـا، والـلَّيـلُ مُـرْبَـدٌ، رَهِـيـبْ[7]
والـرِّيحُ تَعْصِفُ بـالـورود. . .، فَعِشْتُ سُـخْـرِيَـةَ الخُـطوبْ. .

* * *

مَـهْـمَا تَـضَـاحَـكَـتِ الحيـا ةُ فـإنّـنِي أبـداً كَـئـيـبْ
أُصْـغِـي لأوجـاعِ الـكَـآ بـةِ لا تُجِـيـبْ

(١) الهيوب: ذو الهيبة.
(٢) الدَّيجور: الظلام.
(٣) مشوب: مخلوط. يريد: متكدر.
(٤) يؤوب: يعود.
(٥) الجديب: الماحل.
(٦) القُطوب: العبوس.
(٧) مربَد: مغبرّ.

في مَـهْـجَـتي تَـتَـأوَّهُ الـبَـلْـ ـوَى، وَيَـعْـتَـلِجُ الـنَّـحيـبْ[1]
وَيَـضُـجُّ جـبَّـارُ الأسى، وَتَجيشُ أمـواجُ الـكُـروبْ[2]
إنِّي أنـا الـرُّوحُ الَّـذي سَـيـظَلُّ في الـدُّنـيـا غَـريـبْ
وَيَـعِـيشُ مُـضْـطَلِعـاً بـأحـ ـزانِ الـشَّـبِـيـبـةِ والمَـشِـيـبْ

في سكونِ الليلِ [3]

[الرَّمَل]

أيـهـا الـلـيـلُ الـكـئـيـبْ أيهـا الـلـيـل الـغـريـبْ
مِـن وراء الهَـوْل مِـن خلف نِـقـاب الـظلمـاتْ
في خـلايـاك تـراءتْ لي أحـزانُ الحـيـاة
هـا أنـا أرنـو فـألـفـيـ ـك كـجـبّـارٍ حـطـيـمْ[4]
سـاكـنـاً جـلّلك الحـزن وأضْـنَـاك الـوجـومْ[5]
هـاجِـعـاً طـافـتْ بـأعـشـا رِكَ أحـلام غِـضـابْ[6]
صـامـتـا، تـصـغـي لأنّـا تِ الأسى، والانـتـحـابْ
رابـضـاً كـالهَـوْل في إحدى زوايـا الهـاويـهْ
سـاكـبـاً في راحـة الـ ـفـجـر، الـدمـوع الـدامـيـه
ضـلَّ مـن سَـمَّـاكَ يـا لـيـل بـني الحزن، بـهـيـمْ
إنمـا أنـت بمـا تحـويـه مـن شـجـو، رحـيـمْ
مـا الـذي خـلـف الـغـيـوم مـا الـذي خـلـفَ الـنـجـومْ
مـا الـذي يـكـتـمـه الـدهـر ويخـفـيـه الـغـد
مـا الـذي يحـجـبـه غـيـم الحـيـاة الأرْبَـدُ؟ [7]
مـا الـذي خـلـفـك يـا لـيـلُ! أويـلٌ أم سـلامْ

---

(١) المهجة: الدم أو الروح. يعتلج: يتلاطم. النحيب: شدة البكاء.
(٢) الكروب: جمع الكرب.
(٣) ليست في أصول الديوان.
(٤) أرنو: أديم النظر بسكون طَرْف، أو أعجب. ألفى: وجد.
(٥) الوجوم: العبوس.
(٦) الأعشار: القِطع. والواحد عُشر.
(٧) الأربد: المغبّر.

ما الذي خلفك؟ يا ليلُ! أنورٌ، أم ظلامْ؟
هل سيبدو الفجرُ بسّاماً، كعذراء الخلودْ
تالياً أنشودة الـ حبِّ، هل سمع الوجود؟
أم سيبدو من وراء الأفق، جبّاراً عنيدْ
ينذرُ الأيام بالشرِّ وبالهول المَريدْ؟
هل سيبدو الفجر يا ليلُ! إذا جاء الغدُ
وجناحاه إذا رفّ اللهيبُ الأسودُ؟
أيها القلب الدُّهاقْ بشجون لا تُطاقْ[1]
أيها المحزون يا شاعرَ الدهر الكئيبْ
إنما أنشودة الدهر نواحٌ، ونحيب
هنيّا يا ليل لنسعى نحو هاتيك الفلاةْ
حيث تقضي بسكون زاهرات ناضراتْ
إنّ ما بين أزاهيرَ الفلاةِ الواجمهْ
شاعراً أيأسَه حُزنُ الحياة الساهمهْ
وعلى التُّرب الذي اخضل بأنداء الغَمامْ
خطّ: دعني في سَباتي وعلى الدنيا السلامْ

الكآبة المجهولة[2]

[من المنسرح]

أنا كئيبْ،
أنا غريبْ،
كآبتي خالَفتْ نظائِرَها غريبةٌ في عوالمِ الحزنِ
كآبتي فِكرةٌ مُغرَّدةٌ مجهولةٌ مِنْ مَسامِعِ الزَّمنِ
لكنّني قد سَمِعتُ رَنّتَها بمُهجتي، في شَبابيَ الثَمِلِ[3]
سَمِعتُها، فانصرفْتُ مُكتئِبا أشدو بحُزني، كطائرِ الجَبلِ

---

(1) الدهاق: الكثير.
(2) نظمها في ٢٧ محرّم ١٣٤٥ هـ/ ٧ أوت ١٩٢٦ م.
(3) ثَمِل: سكران.

سَــمِـعْــتُـهَــا أنَّــةً يــرجِّــعُــهــا   صَوْتُ اللَّيالي، وَمُهْجَـةُ الأزل[1]
سَمِعْتُهـا صَـرْخَـةً مُضَعْضَعَـةً   كَجَـدْول في مَضَـايِقِ السُّبُـل[2]
سَمِعْتُهـا رَنَّـةً، يَعَـانِقُـهَـا   شـوقٌ إلى عـالَمٍ يُضَعْضِعُهَـا
ضَعِيفَـةً مثـلَ أنَّـةٍ صَعَـدَتْ   مِنْ مُهْجَـةٍ هـدَّهـا تَـوجُّعُهَـا
كـآبـةُ النَّـاس شُعْـلةٌ، وَمَتى   مـرّتْ ليـالٍ خَبَتْ مـع الأمَـدِ
أمَّـا اكتِئَـابي فَلَوْعَـةٌ سَكَنَـتْ   رُوحِي، وَتَبْقَى بِهـا إلى الأبَـدِ

أنَا كئيبٌ، أنَا غَرِيبٌ

وَلَـيْسَ في عـالَم الـكَـآبَـةِ مَـنْ   يَحْمِـلُ مِعْشَـارَ بَعْضِ مَـا أجِدُ[3]،
كـآبـتي مـرَّةٌ، وَإنْ صَـرَخَـتْ   روحي فـلا يسمعنُهـا الجَسَـدُ
كـآبـتي ذَاتُ قَسْـوَةٍ صَـهَـرَتْ   مَـشَـاعِـري في جَـهَـنَّـمَ الألَمِ
لَمْ يَسْمَـعِ الدَّهْـرُ مِثْلَ قَسْـوَتِهَا   في يَـقْـظَـةٍ قَطُّ، لا، ولا حُـلُـمِ
كـآبَـتي شُـعْـلَةٌ مـؤجَّـجَـةٌ،   تَحْتَ رَمَـادِ الكَـوْنِ تـسـتـعـرُ[4]
سَيَعْلَمُ الكَـوْنُ مَـا حَقِيقَتُـهَـا   وَيَـطْلَعُ الـفَجْـرُ يَـومَ تَـنْـفَـجِـرُ
كـآبـةُ الـنَّـاس شُعْـلَةٌ، ومتى   مـرّت ليـالٍ خَبَتْ مِنَ الأمَـدِ
أمَّـا اكتئـابي فَلَوْعَـةٌ، سَكَنَـتْ   رُوحي، وَتَبْقَى بِهـا إلى الأبَـدِ

السَّآمة[5]

[من المتقارب]

سَئِـمْـتُ الحَـيَـاةَ، وَمَـا في الحَـيَـاةِ   وَمَـا إنْ تَجَـاوزْتُ فَـجْـرَ الـشَّـبَـابْ
سَئِـمْـتُ الـلَّيـالي، وَأوجَـاعَـهـا   وَمَـا شَعْشَعتْ من رحيقٍ بِصَـابْ[6]
فَـحَـطَّمْـتُ كَـأسي، وَألْـقَـيْـتُـهـا   بِـوَادي الأسَى وَجَـحِـيـمِ الـعَـذَابْ

---

(1) المهجة: الدم أو الروح.
(2) مضعضعة: خاضعة وذليلة.
(3) معشار: يريد جزءاً من عشرة.
(4) مؤجّجة: ملتهبة. تستعر: تشتعل.
(5) نظمها في ١٥ رمضان ١٣٤٥ هـ/ ١٩ مارس آذار ١٩٢٧ م.
(6) شعشعَ الشرابَ: مزجه. الرحيق: الخمر أو أطيبها. الصَّاب: جمع الصَّابة: ضرب من الشجر مر، والمصيبة.

فـأنّـتْ، وَقَـدْ غَـمَـرَتْهـا الـدُّمُـوعُ وَقَـرّتْ، وَقَـدْ فَـاضَ مِنْهَـا الحَبَـابْ[1]
وَألْـقـى عَـلَـيـهـا الأسَى ثَـوْبَـهُ وَأقـبرَهـا الـصَّـمْـتُ وَالإكْـتِئَـابْ

* * *

فَـأيـنَ الأمَـانِي وَألْحَـانُها؟ وأيـنَ الـكُـؤوسُ؟ وَأيـنَ الشَّرابْ
لَـقَـدْ سَحَـقَـتْـهَـا أكـفُ الـظَّلَام وَقَـدْ رَشَـفَـتْـهَـا شِـفَـاهُ السَّرابْ[2]
فَـمَا الـعَـيْشُ في حَـومَـةِ بَـأسِـهَـا شَـدِيـدٌ، وَصَـدَّاحُـهَـا لَا يُجَـابْ[3]
كَئِـيـبٌ، وَحِـيـدٌ بِـآلامِـهِ وأحْـلامِـهِ، شَـدْوُهُ الانْـتِـحَـابْ[4]
ذَوَتْ في الـرَّبـيـعِ أزَاهِـيـرُهَـا فَـنِـمْـنَ، وَقَـدْ مَـصَّـهُـنَّ التُّرَابْ[5]
لِـوَيْـنَ الـنُّـحُـورَ عـلى ذِلَّـةٍ وَمُـتْـنَ وَأحْـلامُـهُـنَّ الـعِـذَابْ[6]
فَـحَـالَ الجَـمَـالُ، وَغَـاضَ الـعـبـيرُ وأذْوى الـرَّدَى سِـحْـرَهـنَّ العُجَـابْ[7]

قبضة من ضباب[8]

[من مجزوء الكامل]

مَـهْـمَا تَـأمَّـلْتُ الحيـا ةَ، وَجُبْتُ مَجْهَلَهـا الـرَّهِـيـبْ
وَنَـظَرْتُ حـولي، لَمْ أجِـدْ إلا شُـكُـوكَ المُـسْـتَـرِيـبْ
حـتّى دَهِـشْـتُ، ومـا أفِـدْ تُ بِـدهـشـتي رأيـاً مُـصِـيـبْ
لـكـنّـني أجْـهَـدتُ نـفسي، وَهْـيَ بـاديـةُ الـلُّغـوبْ[9]
وَدَفَـعْـتُـهـا وَهْـيَ المـزيـ ـلةُ في مُـغـالَـبَـةِ الـكُـروبْ[10]

---

(1) حباب الماء والرّمل: معظمه، أو طرائقه، قرّت: ثبتت.
(2) رشف: امتصّ.
(3) حومة الشيء: معظمه. الصدّاح: الذي يرفع صوته بغناء.
(4) الانتحاب: البكاء الشّديد.
(5) ذوت: ذبلت.
(6) النحور: تحوّل وتغيّر إلى العوج.
(7) وغاض العبير: نقص وقلّ. أذوى: ذبل. عُجاب: عجيب.
(8) نظمها في ٥ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ/ ٢٠ ١ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٨ م.
(9) اللغوب: الضعف والحماقة.
(10) الكروب: جمع الكَرْب: الحزن يأخذ بالنفس.

في مَـهْـمَـهٍ مُـتَـقَـلّبٍ، تُخشى غَـوَائِـلُه، جَـدِيـبْ[1]
فـإذا أَصَـابَـتْ مِـنْ مـنـا هِـلِهِ شراباً تَـسْـتَـطِـيـبْ[2]
أرْوتْ جـوانِـحَـهَـا، وذ لِـكَ حَـسْـبُـهـا كـيـما تَـؤُوبْ[3]
وَمَـنِ ارتـوى في هـذه الـدُّ نـيـا تَـسَـنَّـمَـهَـا خَـطِـيـبْ؟
أَوْ لاَ فـقـد رَكِـبَـتْ مِـنَ الأَ يّـام مَـرْكَـبَـهَـا الـعَـصِـيـبْ..
وَقَـضَـتْ كـما شَـاءَ الخُـلو دُ، وفي جـوانِـحِـهَـا الـلَّـهِـيـبْ!

من حديث الشّيوخ[4]

[من الطويل]

أَلا إنَّ أَحْـلاَمَ الـشَّـبَـابِ ضَـئِـيـلَـةٌ تُحَـطِّـمُـهَـا مِـثْـلَ الـغُـصُـونِ المَـصَـائِبُ
سَـأَلتُ الـدَّيَـاجِي عَنْ أَمَـانِي شَبِيبَـتِي فَقَـالَتْ: «تَـرَامَتْهَـا الرِّيَـاحُ الجَوَائِبُ»[5]
وَلَمَّـا سَـأَلْتُ الـرِّيـحَ عَنْهـا أَجَـابَـنِي: «تَلَقَّفَهَـا سَـيْـلُ القَضَـا، وَالنَّوَائِبُ»[6]
«فَصَـارَتْ عَفَـاءً، واضْـمَحَـلَّتْ كَـذَرَّةٍ عَلى الشَّاطِىءِ المَحْمُومِ، وَالمَوْجُ صَاخِبُ»[7]

أيها اللّيل[8]

[من الخفيف]

أَيُّهـا الـلـيـلُ! يـا أَبَـا الـبـؤسِ والهَـوْ لِ، يَـا هـيـكـلَ الحَـيَـاةِ الـرهـيـبِ!
فِـيـكَ تجْـثُـو عـرائسُ الأَمَـلِ الـعـذْ بِ، تُـصَـلِّي بِـصَـوْتِـه الـمـحـبـوبِ[9]

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة، والبلد المقفر. الغوائل: جمع الغائلة: الحقد الباطن والشر. جديب: مجدب ماحل.
(٢) مناهل: جمع منهَل: مورد الماء مشرَب.
(٣) الجوانح: جمع الجانحة: الضلع تحت الترائب مما يلي الصدر. تؤوب: تعود.
(٤) نظمها في ١٥ محرّم ١٣٤٤ هـ/ ٥ أوت أغسطس آب ١٩٢٥ م. وهي مما نشره زين العابدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن ١٤».
(٥) دياجي الليل: حنادسه أي ظلمته وكأنه جمع ديجاة. الجوائب: أي التي تجوب البلاد.
(٦) تلقف: تناول بسرعة. النوائب: جمع النائبة: المصيبة.
(٧) عفاء: دارسة. المحموم: الذي أصابته الحمى.
(٨) نظمها في ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ/ جوان ـ حزيران ١٩٢٧ م.
(٩) تجثو: تجلس على ركبتيها.

فَيُثيرُ النَّشيدُ ذكرى حياةٍ ... حَجَبَتْها غُيومُ دَهْرٍ كئيبِ
وَتَرُفُّ الشُّجونُ مِنْ حول قلبي ... بسُكونٍ، وَهَيْبَةٍ، وقُطُوبِ(١)
أنتَ يا ليلُ! ذرّةٌ، صَعَدَتْ للـ ... ـكون، من مَوْطِىءِ الجحيم الغَضوبِ
أيُّها الليلُ! أنتَ نَغْمٌ شَجِيٌّ ... في شفاهِ الدُّهورِ، بين النَّحيبِ(٢)
إنَّ أُنشودَةَ السُّكونِ، التي ترتجُّ ... في صَدْرِكَ الرُّكُودِ، الرَّحيبِ(٣)
تُسْمِعُ النَّفْسَ، في هدوء الأماني ... رَنَّةَ الحَقِّ، والجمال الخَلُوبِ(٤)
فَتَصوغُ القلوبُ، منها أغاريداً، ... تَهُزُّ الحياةَ هَزَّ الخُطُوبِ(٥)
تتلوّى الحياةُ، مِنْ ألَمِ البؤ ... س، فتبكي، بِلَوْعَةٍ وَنَحيبِ
وَعَلى مَسْمَعيكَ، تَنْهلُّ نوحاً ... وعويلاً مُرّاً، شجونُ القُلوبِ
فأرى بُرْقُعاً شفيفاً، من الأو ... جاع، يُلقي عليكَ شجوَ الكئيبِ
وأرى في السُّكونِ أجنحةَ الجبَّـ ... ـار، مُخْضَلَّةً بِدَمْعٍ حَبيبِ(٦)
فَلَكَ اللهُ! مِنْ فؤادٍ رَحيمٍ ... ولكَ اللهُ مِنْ فؤادٍ، كئيبِ
يَهجَعُ الكَوْنُ، في طُمأنينةِ العُصْـ ... ـفورِ، طِفلاً بِصَدْرِكَ الغريبِ
وَبأحْضانِكَ الرَّحيمةِ يستيقظُ، في ... نضرة الضُّحوكِ، الطَّروبِ
شادياً، كالطُّيوبِ بالأملِ العَذْ ... ب، جميلاً، كَبَهْجَةِ الشُّؤْبوبِ(٧)
يَا ظلامَ الحَياةِ! يا رَوْعَةَ الحُزْ ... ن! وَيا مِعْزَفَ التَّعيسِ الغَريبِ
وَبِقيثارةِ السَّكينةِ، في كَـ ... ـفَّيْكَ، تَنْهَلُّ رَنَّةُ المَكْروبِ(٨)
فيكَ تنمو زَنابِقُ الحُلْمِ العَذْ ... بِ، وَتَذوي لَدَى لَهيبِ الخُطُوبِ(٩)
خَلْفَ أعماقِكَ الكئيبةِ تَنسا ... بُ ظِلالُ الدُّهورِ، ذاتَ قُطوبِ
وَبِفَوْديكَ، في ضَفائِرِكَ ... السُّودِ، تَدُبُّ الأيّامُ أيَّ دَبيبِ(١٠)

* * *

---

(١) الشجون: جمع الشَّجَن: الحزن والهم. القطوب: أن يزوي ما بين عينيه ويكلح، أي يعبس.
(٢) النحيب: شدة البكاء.
(٣) ارتج: اهتز. الرّكود: الثابت الساكن.
(٤) الجمال الخلوب: يعني الجمال الأخّاذ. ويقال خلبه عقله، أي: سلبه عقله.
(٥) الخطوب: جمع الخطب: الشأن، والأمر صغيراً أو كبيراً.
(٦) مخضلّة: مبتلّة.
(٧) الشؤبوب: الدفعة من المطر.
(٨) القيثارة: من الآلات الموسيقية. تنهلّ: تصب بشدة. المكروب: الحزين.
(٩) زنابق: جمع زنبق: نبات، واستعملها على سبيل المجاز. تذوي: تذبل.
(١٠) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. ضفائر: جمع ضفيرة: خصلة شعر.

صَاحِ! إنَّ الحَـيـاةَ أنـشـودةُ الحُـزْ ... نِ، فَـرَتِّـلْ عـلى الحَـيـاةِ نَحِيبـي
إنَّ كـأسَ الحَـيـاةِ مُـتْـرَعَـةٌ بـالـدَّ ... مْعِ، فاسْكُبْ عـلى الصَّبَاحِ حَبيبي[1]
إنَّ وادِيَ الـظَّلامِ يَـطْفَـحُ بـالهَـوْ ... لِ، فَـما أبْـعَـدَ ابتـسـامَ القُـلُوبِ!
لا يـغُـرَّنْـكَ ابـتـسـامُ بَـني الأرْ ... ضِ فَخَلْفَ الشُّعـاعِ لَـذْعُ اللَّهِيـبِ
أنـتَ تـدري أنَّ الحَـيـاةَ قُـطُو ... بٌ وَخُـطُوبٌ، فَـما حَيَـاةُ القُـطُوبِ؟
إنَّ في غَـيـبـةِ الـدُّهـورِ، تِـبَـاعـاً ... لَخَطِيبـاً يَمُـرُّ إِثْـرَ خَـطِيـبِ[2]
سَـدَّدَتْ في سكينـةِ الكَـون، لِـلأَعـما ... قِ، نـفسي لَحْـظاً بعـيـدَ الـرُّسـوبِ
نَـظْرةً مَـزَّقَـتْ شِـغَـافَ الـلَّيـالي ... فَـرَأَتْ مُـهْـجَـةَ الـظَّلامِ الهَـيُـوبِ
وَرَأَتْ في صَـمِـيـمِـهـا، لَـوْعَـةَ الحُـزْ ... نِ، وأَصْـغَـتْ إلى صُراخِ الـقُـلُوبِ
لا تُحَـاوِلْ أنْ تـنـكـرَ الـشَّـجْـوَ، إنّي ... قَـدْ كَـرِهْـتُ فـيـهـا نـصـيـبـي..
كُـنْ كَـما شـاءتِ الـسَّـماءُ كَـئـيـبـاً ... أيُّ شيءٍ يَسُرُّ نـفسَ الأريـبِ؟[3]
أنُـفُـوسٌ تَمـوتُ، شَـاخِـصَـةً بـالهـو ... لِ، في ظُلْمـةِ القُنُـوطِ العَصِيـبِ؟[4]
أمْ قُـلُوبٌ مُحَطَّمَاتٌ عَـلَى سَـا ... حِـلِ لُـجِّ الأَسَى، بِمَوْجِ الخُطُوبِ؟
إنَّما الـنَّـاسُ في الحَـيـاةِ طـيـورٌ ... قـد رَمَـاهَـا الـقَـضَـا بِـوادٍ رَهـيـبِ
يَـعْـصِـفُ الهَـولُ في جَـوَانـبـه الـسـو ... دِ فَـيَـقْـضِي عـلى صَـدَى العَـنْـدَلِيـبِ

* * *

قَـدْ سَـأَلتُ الحيـاةَ عَنْ نغـمـةِ الفَجْـ ... ـرِ، وَعَـنْ وَجْمـةِ المسـاءِ الـقَـطُوبِ[5]
فَـسَمِعْتُ الحـيـاة، في هيكـل الأحـزا ... نِ، تـشـدو بِلَحْـنِهـا المـحـبـوبِ:
مَـا سُـكُـوتُ الـسَّـماءِ إلا وُجُـومٌ ... مَـا نـشيـدُ الـصَّبَـاحِ غـيرُ نحيـبِ[6]
لَـيْسَ في الـدَّهْـرِ طَـائـرٌ يـتـغـنَّى ... في ضِـفَـافِ الحَـيـاةِ غَـيْرَ كَـئـيـبِ
خَـضَّبَ الاكـتـئَـابُ أجـنـحَـةَ الأيَّـا ... مِ، بِـالـدَّمْـعِ، والـدَّمِ المَسْكُـوبِ[7]
وَعـجـيـبٌ أنْ يـفـرحَ الـنَّـاسُ في كَـهْـ ... ـفِ الـلَّيـالي، بِحُـزْنِهَا المَشْبُـوبِ!»[8]

---

(١) مُترعة: ممتلئة.
(٢) في الأصل «لخطيب يمر» وفي نسخة: «إثر خطوب». والأصح ما أثبتناه.
(٣) الأريب: العاقل.
(٤) القنوط: اليأس.
(٥) الوجمة: العبوس. القطوب: العابس.
(٦) الوجوم: العُبوس. النحيب: شدة البكاء.
(٧) خضّب: لوّن، والخُضاب: الحنّاء، ضرب من الصباغ للشعر وغيره، وفي نسخة: «والدم الأسكوب».
(٨) المشبوب: المشتعل.

كُنْتُ أَرْنو إلى الحياةِ بِلَحْظٍ   بَاسِمٍ، والرَّجَاءُ دُون لُغُوبِ[1]

ذَاكَ عَهْدٌ، كَأَنَّه رَنَّةُ الأفرا   ح، تَنْسَابُ مِنْ فَمِ العَنْدَلِيبِ

خُفِّفَتْ ـ رَيْثَما أَصَخْتُ لَهَا بالقَلْـ   ـبِ، حيناً ـ وَبُدِّلَتْ بِنَحِيبِ

إنَّ خَمْرَ الحياةِ وَرْدِيَّةُ اللَّو   نِ، ولكنَّها سِمَامُ القُلُوبِ[2]

* * *

جَرَفَتْ مِنْ قَرَارَةِ القَلْبِ أحلا   مي، إلى اللَّحْدِ، جَائِراتُ الخُطُوبِ[3]

فَتَلاشَتْ عَلَى تُخُومِ الليالي.   وَتَهَاوتْ إلى الجَحِيمِ الغَضُوبِ

وَثَوى في دُجُنَّةِ النَّفْس، وَمْضٌ   لَمْ يَزَل بين جيْئَةٍ، وذُهُوبِ[4]

ذُكْرِياتٌ تَمِيسُ في ظُلْمَةِ النَّفْـ   ـسِ، ضِئَالاً، كَرَائعاتِ المَشيبِ[5]

يَا لِقَلْبٍ تَجَرَّعَ اللَّوعةَ المُرَّ   ةَ مِنْ جدولِ الزَّمانِ الرَّهيبِ!

وَمَضَتْ في صَمِيمِهِ شُعْلَةُ الحُزْ   ن، فَعَشَّتْهُ مِنْ شُعَاعِ اللَّهيبِ.

---

(١) أرنو، مِن الرُّنُو: إدامة النظر بسكون الطَّرْف، اللُّغُوب: الخمو والضعف

(٢) السِّمام: جمع السُّم: ما يقتل ويميت من العقاقير وغيرها.

(٣) قرارة القلب: قاعة. اللحد: القبر. الخطوب: النوازل، والمصائب.

(٤) ثوى: أقام. الدُّجنة: الظلمة.

(٥) تميس: تتبختر وتتمايل.

فلسفة الثّعبان المقدّس[1]

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان. وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه، فسماه «تضحية» وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول أن تسوغ طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية فتسميها: «سياسة الإدماج» وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم، وبلوغ الكمال الإنساني المنشود، ولكن الفناء حقيقة شنيعة، مبغضة، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام.

[من الكامل]

كانَ الرَّبيعُ الحيُّ روحاً، حالماً ... غضَّ الشَّبابِ، مُعَطَّرَ الجلبابِ[2]

يمْشي على الدُّنيا، بفكرةِ شاعرٍ ... ويطوفُها، في موكبٍ خلّابِ

والأفْقُ يملأُهُ الحَنانُ، كأنَّهُ ... قلْبُ الوجودِ المنتجِ الوهّابِ

والكونُ مِنْ طُهْرِ الحياةِ كأنَّما ... هوَ معبدٌ، والغابُ كالمحرابِ

والشّاعرُ الشّحْرورُ يَرْقُصُ، مُنشداً ... للشّمسِ، فوقَ الوردِ والأعشابِ

شعْرَ السَّعادةِ والسَّلامِ، ونفسهُ ... سَكْرى بسِحْرِ العالَمِ الخلّابِ

ورآه ثعبانُ الجبالِ، فغمَّهُ ... ما فيه من مَرَحٍ، وفيْضِ شبابِ

وانقضَّ، مضطَغِناً عليه، كأنَّه ... سَوْطُ القضاءِ، ولعنةُ الأربابِ[3]

بُغِتَ الشَّقيُّ، فصَاحَ في هولِ القضا ... متلفِّتاً للصَّائلِ المنْتابِ[4]

وتَدفَّقَ المسكينُ يصرخُ ثائراً: ... «ماذا جنيتُ أنا فَحُقَّ عِقابي؟»

«لا شيءَ، إلاَّ أنَّني متغزِّلٌ ... بالكائناتِ، مغرِّدٌ في غابي»

«أُلْقى من الدُّنيا حناناً طاهراً ... وأَبُثُّها نَجْوى المحبِّ الصّابي»[5]

---

(١) نظمها في ٩ جمادى الأولى ١٣٥٣ هـ/ ٢٠ أوت ـ آب أغسطس ١٩٣٤ م.

(٢) الجلباب: القميص، وثوب واسع للمرأة دون الملحفة.

(٣) مضطغن: حاقد. السوط: المقرعة، واستعارة للقضاء.

(٤) الصائل: ذو الصولة، أي السطوة. مُنتاب: الذي يأتي مرّة بعد أخرى.

(٥) أبثّها: أنشرها. الصابي: الذي يميل إلى الصِّبا والفتوّة.

«أيُعَدُّ هذا في الوجود جريمةً؟! أينَ العدالةُ يا رفاقَ شبابي؟»
«لا (أين)؟، فالشَّرْعُ المقدَّسُ ههنا رأيُ القويِّ، وفكرةُ الغلّابِ!»
«وَسعادةُ الضّعفاءِ جُرْمٌ.. ، ما لَهُ عند القويِّ سوى أشدُّ عِقابِ!»
«وَلْتَشْهَدِ الدُّنيا التي غنَّيْتُها حُلْمَ الشَّبابِ، وَرَوعةَ الإعجابِ
«أنَّ السَّلام حَقيقةٌ، مَكْذوبةٌ والعَدْلَ فَلْسَفَةُ اللّهيبِ الخابي»[1]
«لا عَدْلَ، إلا إنْ تَعادَلَتِ القوَى وتَصادَمَ الإرهابُ بالإرهابِ»
فَتَبَسَّمَ الثُّعبانُ بَسْمةَ هازىءٍ وأجابَ في سَمْتٍ، وفَرْطِ كِذابِ:[2]
«يا أيُّها الغِرُّ المثرثِرُ، إنَّني أرثي لثورةِ جِهْلكَ التلّابِ»[3]
«والغرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغى جهلُ الصِّبا في قلبه الوثّابِ»
«فاكبحْ عواطفكَ الجوامحَ، إنّها شَرَدَتْ بلُبِّكَ، واستمعْ لخطابي»
«إني إلَهٌ، طَالَما عبد الورى ظلِّي، وخافوا لعنَتي وعقابي»[4]
«وتقدَّموا لي بالضَّحايا منهُمُ فَرحينَ، شأنَ العابدِ الأوّابِ»[5]
«وَسَعادةُ النَّفسِ التَّقيَّةِ أنَّها يوماً تكونُ ضحيَّةَ الأربابِ»
«فتصيرُ في رُوحِ الألوهةِ بضعةً، قُدُسيَّةً، خَلُصَتْ منَ الأوشابِ»[6]
«أفَلا يَسُرُّكَ أنْ تكونَ ضحيَّتي فتحُلَّ في لحمي وفي أعصابي»
«وتكونَ عزماً في دمي، وتوهُّجاً في ناظِريَّ، وحدَّةً في نابي»
«وتذوبَ في رُوحِي التي لا تنتهي وتصيرَ بعضَ ألوهتي وشَبابي..؟»
«إنِّي أرَدْتُ لكَ الخلودَ مؤلَّهاً في روحيَ الباقي على الأحقابِ..»
«فكِّرْ، لِتُدْرِكَ ما أريدُ، وإنَّه أسمى من العيشِ القَصيرِ النّابي»[7]
«فأجابه الشُّحرورُ، في غُصَصِ الرَّدَى والموتُ يخنقه: «إليكَ جوابي»:[8]
«لا رأيَ للحقِّ الضَّعيفِ، ولا صدىً والرَّأيُ، رأيُ القاهرِ الغلّابِ»
«فافعلْ مشيئَتكَ التي قد شئتَها وارحمْ جلالكَ من سماعِ خطابي»

---

(١) الخابي: الساكن، الهادىء.
(٢) السَّمت: الطريق، وهيئة أهل الخير.
(٣) الغِر: الشاب لا تجربة له. التّلاب: من التّلب: الخساء، والتلاّب: الخاسر.
(٤) الورى: الخَلْق.
(٥) الأواب: الراجع، ويريد التائب.
(٦) الأوشاب: جمع الوِشْب: الخليط.
(٧) النابي: الذي قبحت صورته فلا تقبلها العين، ويقال: نبا منزله به، إذا لم يوافقه.
(٨) الغصص: جمع الغُصّة: الشجا، وما اعترض في الحلق فأشرق.

وكذاك تُتّخَذُ المَظَالمُ منطقاً عذباً لتخفي سَوْءَةَ الآرابِ[1]

الدّنيا الميتة[2]

[من الكامل]

إني أرى... فأرى جموعاً جمّةً لكنّها تحيا بِلاَ ألْبابِ[3]

يَذْوِي حوالَيْها الزّمانُ، كأنّما يدوي حواليَ جندلٍ وترابِ[4]

وإذا استجابُوا للزّمانِ تَناكروا وَتَراشَقُوا بالشُّوكِ والأحْصَابِ[5]

وقضوا على رُوحِ الأُخُوَّةِ بينهمْ جَهْلاً وعاشوا عِيشَةَ الأغرابِ

فرِحتْ بهم غولُ التّعاسةِ والفَنَا وَمَطَامِعُ السّلاّبِ والغَلاّبِ

لُعَبٌ، تُحرّكُها المَطامعُ، واللّهى وَصَغائرُ الأحقادِ والآرابِ[6]

وأرى نفوساً، مِنْ دُخانٍ، جامدٍ مَيْتٍ، كأشباحٍ، وراءَ ضَبابِ

مَوْتَى، نَسُوا شَوْقَ الحياةِ وعزمها وتحرّكوا كَتَحَرُّكِ الأَنْصابِ[7]

وخبَا بهمْ لَهَبُ الوجودِ، فما بقُوا إلاّ كمحترقٍ مِنَ الأَخْشابِ

لا قلبَ يقتحمُ الحياةَ، ولا حِجَىً يَسْمُو سُمُوَّ الطّائرِ الجوّابِ

بل في التّرابِ المَيْتِ، في حَزْنِ الثّرى تنمو مَشَاعِرُهُمْ مع الأعشابِ[8]

وتموت خامِلَةً، كزهرٍ بائسٍ ينمو ويذبُلُ في ظَلامِ الغابِ

أبداً تُحدِّقُ في التّرابِ..، ولا تَرَى نورَ السماءِ..، فروحُها كتُرابِ..!

ألشّاعرُ الموهوبُ يَهْرِق فنّه هدراً على الأقدامِ والأعتابِ

ويعيشُ في كونٍ، عقيمٍ، ميّتٍ قَدْ شيّدتْهُ غباوةُ الأحقابِ[9]

---

(١) الآراب: جمع الأرب: الحاجة.

(٢) نظمها في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ١٠ أوت ـ آب أغسطس ١٩٣٤ م.

(٣) الألباب: جمع اللب: العقل والقلب.

(٤) الجندُل: ما يقلّه الرجل من الحجارة.

(٥) الأحصاب: جمع الحصب، وواحدة الحصب: الحَصَبَة: الحجارة.

(٦) اللهى: جمع اللّهية: العطيّة، والحفنة من المال.

(٧) الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيسهل عليها، ويذبح لغير الله تعالى، والواحد: نُصب.

(٨) الحزن: ما غلظ من الأرض. الثري: الندى، والتراب الندي.

عقيم، ورجل عقيم: أي الذي لا يولد له. وحرب عقيم يعني شديدة.

(٩) الأحقاب: جمع الحقبة وهي من الدهر المدة لا وقت لها، والسّنة.

والعالِمُ النِّحريرُ يُنْفِقُ عُمْرَه في فَهْمِ أَلفاظٍ، وَدوسِ كِتابِ[1]
يحيا على رِمَمِ القَديمِ المجتَوَى كالدُّود في جِسْمِ الرِّمادِ الخابي[2]
والشَّعبُ بينهما قطيعٌ، ضائعٌ دنياهُ دنيا مأكلٍ وَشَرابِ
ألويلُ للحسَّاس في دنياهُمُ ماذا يلاقي مِنْ أسىً وَعَذابِ!

صوتٌ من السَّماء[3]

[من الكامل]

في اللَّيلِ نَادَيتُ الكَواكِبَ ساخطاً متأجِّجَ الآلامِ والآرابِ:
«الحقلُ يَمْلِكُهُ جَبابِرةُ الدُّجى والرَّوضُ يسكُنُهُ بنو الأَربابِ»
«والنَّهرُ، للغُول المقدَّسة التي لا ترتوي، والغابُ للحَطّابِ»[4]
«وعرائسُ الغابِ الجميلِ، هزيلةٌ ظمأى لِكُلِّ جَنىً، وَكُلِّ شَرابِ»
«ما هذه الدُّنيا الكريهةُ؟ ويلَهَا! حَقَّتْ عليها لَعْنَةُ الأَحْقابِ»!
«الكونُ مُصْغٍ، يَا كواكبُ، خاشعٌ طالَ انتظاري، فانطِقي بِجَوابِ!»

* * *

فسمعتُ صوتاً ساحراً، متموِّجاً فوق المروجِ الفِيحِ، والأَعشابِ[5]
وَحَفيفَ أجنحةٍ ترفرف في الفضا وصدىً يَرِنُّ على سُكون الغابِ:
«الفجرُ يُولدُ باسماً، متهلِّلا في الكونِ، بينَ دُجُنَّةٍ وضبابِ»[6]

---

(١) العالِم النِّحرير: الماهر الحاذق.

(٢) الرِّمم: جمع الرمة: البقية. المجتوى: المكروه. الخابي: الخامد، الساكن.

(٣) نظمها في ١١ ذي القعدة ١٣٥١ هـ/ ٨ مارس ـ آذار ١٩٣٣ م.

(٤) الغول: الهلكة والداهية والسِّعلاة، والحية، أو دابة رأتها العرب وعرفتها وقتلها تأبط شراً، وشيطان يأكل الناس.

(٥) الفِيح: جمع الفيحاء: الواسعة من الدور وغيرها.

(٦) الدُّجنة: الظلمة، والغيم المطبق.

للتّاريخ[1]

[من الكامل]

«البؤسُ لابنِ الشَّعْبِ يأكلُ قلبَه ... والمجدُ والإثراءُ للأغرابِ»
«الشَّعْب مَعْصُوبُ الجفونِ، مُقَسَّمٌ ... كالشّاة، بين الذّئب والقصّابِ»[2]
«والحقُّ مَقْطُوعُ اللّسانِ مُكَبَّلٌ ... والظُّلْمُ يمرح مُذْهَبَ الجلبابِ»[3]
«هذا قليلٌ مِنْ حَياةٍ مُرّة ... في دولةِ الأَنْصَابِ والأَلْقابِ»[4]

وعود الغواني[5]

[الرمل]

عَلّلَتني بارتشاف الضّرب ... مِن جَنى ثغرٍ جميل أَشْنَبِ[6]
قد تحلّى طَلعُه مِن ظَلَمٍ ... يخلبُ اللُّبَّ بنظمِ الحَبَبِ[7]
فإذا القولُ سرابٌ لامعٌ ... وإذا الوعدُ كبرقٍ خُلَّبِ
وإذا المربع قاعٌ صَفصَف ... مقفرٌ، إلا بِرتُ الطُّنُب[8]

ليلة عند الحبيب[9]

[الرمل]

أنا مأسورٌ لذات الحُجُبِ ... بنبالٍ صُوِّبتْ عن كثبِ

---

(١) نظمها في ٢٠ شوّال ١٣٥١ هـ/ ١٦ فيفري ـ شباط ١٩٣٣م.

(٢) قوله: معصوب، من العِصابة وهي العِمامة، وما عُصب به أي: شُدّ. ويريد أن الشعب لا يرى. القصّاب، يعني: الجزّار.

(٣) الجلباب: القميص، والثوب الواسع تلبسه المرأة.

(٤) الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصَب فيهل عليها، ويذبح لغير الله تعالى.

(٥) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».

(٦) الارتشاف: الامتصاص. أَشْنب: عذب.

(٧) الحَبَب: تنضد الأسنان، وما جرى عليها من الماء.

(٨) القاع: ما اطمأن من الأرض. الصفصف: المستوي من الأرض.

(٩) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.

كاعبٌ، هيفاءُ، بضٌ، طفلةٌ … دُميةٌ منها جميع العجب

خطرَتْ تمشي بروض زاهر … مِشيةَ الخيل بِوخْل السَّبسبِ[1]

ورنَت نحوي بطرفٍ فاترٍ … ينفث السِّحر بجفن أهدب[2]

ونبالٍ صوَّبَتها، جمّة … نحو قلبي الهائم المضطرب

تُرسل الليل بفرع فاحم … ضاع من جنحيه نشر الزونبِ

لِسْتُ أنسى ليلةً حالكةً … سُرْبِلَتْ زرقاؤها بالسحب

لبسَتْ ثوب ظلامٍ دامس … وسكونٍ هائلٍ ذي رَهَب

ليلةً قد خُفتها، منفرداً … في دياجي جوف ذاك الغيهب[3]

سار بي مُهري فيها عَنَقا … وزمانا سيره ذو خَبَب[4]

عاديا بي، مُتهماً، أو مُنجداً … حاذفاً نحر الفضا بالحَصَب[5]

فعشوتُ النار في صدر الحمى … وحدها تخفق بين الحُجُب

فدخَلتُ الحيَّ، والسِّتر الدجى … وولجتُ الخِدر، والليل صَبي

ورفعتُ السِّتر، فافتر الدُّجى … عن جمالٍ ساحرٍ مُحتجبِ

فقضينا ليلة، جادت بها … راحةُ الدهْر، الضنين القلبِ

تحت ظل الحب، والليل الذي … ضمّنا في كفّه، يسخر بي

هكذا... إذا روَّعنا … ذَنَبُ الصبح، كذنبِ العقرب

قبّلتني، ولهيبُ الألم المر … في مدمعها المنسَكبِ

مثل طلٍّ، فوق ورد ويلتي … مِن جَرَى طلعةِ ذاك الذَّنَبَ[6]

ثم قالت: يا حبيبي! سر على … كلاءِ الرحمان، في المنقلَب

فتودّعنا، وكلّ قلبُه … في جحيم مؤلم، ملتهبِ

---

(١) السَّبسَب: المفازة.

(٢) رنَت: نظرت بسكون طَرْف.

(٣) الغيهب: الظلام.

(٤) العَنق، والخَبَب: ضربان من السير.

(٥) مُنجد: قاصد نجداً. ومتهم: قاصد تهامة.

(٦) الطل: الندى.

قافية التّاء

إلى قلبي التّائه(١)

[مجزوء الرّمل]

مَا لآفاقِكَ يا قلـ   ـبي سُوداً، حالكاتْ؟
ولأوْرادِكَ بينَ الـ   ـشَوْكِ صُفراً، ذَاوياتْ؟(٢)
ولأطْيارِكَ لا تـ   ـغْو؟ فأينَ النَّغَمَاتْ؟(٣)
ما لِمِزْمَارِكَ لا يشـ   ـدو بغيرِ الشَهَقَاتْ؟
ولأوتارِكَ لا تخْـ   ـفُقُ إلاّ شَاكِيَاتْ
ولأنغامِكَ لا تَنْـ   ـطُقُ إلا بَاكِياتْ
ولقد كانتْ صَبَا   حَ الأمْسِ بين النَّسَمَاتْ
كعذارى الغابِ، لا   تعرِفُ غيرَ البَسَماتْ؟
هوذا يا قلبيَ البَحْـ   ـرُ، وأمواجُ الحياةْ!
هوذا القارِبُ مشدوداً   إلى تلك الصَّفَاةْ(٤)
هوذا الشاطئ! لكنْ   أينَ رُبَّانُكَ؟ مَاتْ!
أين أحلامُك يا قلـ   ـبي؟ لقد فاتَ الفَوَاتْ!
تلكَ أطيارٌ، أنيقا   تٌ، طِرابٌ، فرِحَات
غرّدتْ، ثم تَوَارتْ   في غيابَاتِ الحَياةْ

* * *

أنتَ يا قلبيَ قلبٌ،   أنضجَتْهُ الزَّفَرَاتْ

---

(١) نظمها في ١٠ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ/ ٢٠ أفريل - نيسان ١٩٢٩ م.
(٢) الأوراد، يعني الورود. ذاويات: ذابلات.
(٣) الصُّفاة: الحجر الصّلد.

أنتَ يا قلبيَ عُشٌ، نَفَرَتْ عنهُ القَطَاةْ[1]
فأطارَتْهُ إلى النَّهْـ ـرِ الرِّياحُ العَاتِياتْ
فَهُوَ في التيَّار أورا قٌ، وأعوادٌ عُراةْ
أنتَ حَقْلٌ، مُجدِبٌ، قد هَزَأَتْ منه الرُّعَاةْ
أنتَ ليلٌ، مُعْتِمٌ، تَنْـ ـدُبُ فيه البَاكِياتْ
أنتَ كهفٌ، مظلِمٌ، تأ وي إليه البَائِسَاتْ
أنت صَرْحٌ، شادَهُ الحُبْـ ـبُ على نهرِ الحَيَاةْ
لِبَنَاتِ الشِّعْرِ.. لكنْ قوَّضَتْهُ الحَادِثاتْ
أنْتَ قبرٌ، فيه من أيـ ـامِيَ الأولى رُفَاتْ

***

أنتَ عودٌ، مزَّقتْ أو تارَه كفُّ الحياةْ
فهْو في وحشته الخَر ساءِ، بينَ الكَائِنَاتْ
صامتٌ كالقبرِ، إلاّ مِنْ أنينِ الذِّكرَيَاتْ
أنت لحنٌ سَاحرٌ، يَخْـ ـبُطُ في التِّيهِ المَوَاتْ[2]
أنتَ أنشودةُ فَجْرٍ.. رتَّلتها الظُّلُمَاتْ
أيها السَّاري، مع الظُّلْـ ـمةِ، في غير أَنَاةْ[3]
مُطرِقاً، يَخْبُطُ في الصحـ ـراءِ، مَكْبُوحَ الشَّكَاةْ[4]
تُهْتَ في الدّنيا، ومَا أُبْتَ بغير الحَسَراتْ
ضلَّ يا قلبي إلى اللّـ ـه، فإنَّ الموتَ آتْ
ضَلَّ فالنّازعُ لا تبقى له غيرُ الصَّلاةْ

---

(١) القطاة: طائر.
(٢) التِّيه: المفازة، والمضلّة: يخبط: يسير على غير هدى.
(٣) الساري: الذي يسير في الليل. أناة: صبر.
(٤) الشكاة: المرض.

الطّفولة [1]

[من مجزوء الكامل]

لِـلّهِ مـا أحْـلى الـطفـو ... لَـةَ! إنها حـلمُ الحـيـاةْ
عـهـدٌ كَـمَـغْـسُـولِ الـرُّؤَى ... ما بين أجنحةِ السُّبَاتْ... [2]
تـرنـو إلى الـدُّنـيـا، وَمَـا ... فـيـهـا بـعـينٍ بـاسِـمَـهْ
وَتَـسِـيـر في عَـدَوَاتِ وَا ... دِيهـا بِـنَـفْـسٍ حَـالمـهْ [3]

* * *

إن الـطّـفـولـةَ تَهْـتَزْ ... زُ في قَـلْـبِ الـرَّبِـيـعْ [4]
ريَّـانـةً مِـنْ رَيِّـقِ الأ ... نْـداءِ في الـفَجْـرِ الـوَدِيـعْ [5]
غـنّـت لهـا الـدنـيـا أغـا ... نِي حـبِّـهـا وَحُـبُـورِهَـا [6]
فـتـأوَّدَتْ نَـشْـوى بـأحـ ... ـلامِ الحَـيـاةِ وَنُـورِهَـا [7]

* * *

إنّ الـطُّـفـولـةَ حِـقْـبَـةٌ ... شـعـريَّـةٌ بِـشُـعُـورِهـا [8]
وَدُمُـوعِـهـا، وَسُرُورِهَـا، ... وَطُـمُـوحِـهـا، وَغُـرُورِهـا
لم تمشِ في دنـيـا الـكـآ ... بـةِ، والتَّعَـاسَـةِ، والـعَـذابْ
فـترى عـلى أضـوائِـهـا ... مـا في الحَـقيـقـةِ مِنْ كِـذَابْ

---

(١) نظمها في ١٢ رجب ١٣٤٦ هـ/ ٥ جانفي ـ كانون الثاني يناير ١٩٢٨ م.
(٢) الرؤى: جمع الرؤية: السُّبات: النوم.
(٣) ترنو: تديم النظر بسكون الطّرْف. عَدوات: جمع عدوة: مكان متباعد.
(٤) الوزن غير صحيح.
(٥) ريّانة: ممتلئة. أنداء: جمع ندى.
(٦) الحبور: السرور.
(٧) نشوى: سكرى. تأوّد: انعطف.
(٨) الحِقبة، من الدهر: المدّة.

الفتنة الساحرة[1]

[من الكامل]

قلبي تردى من علا صَهَوا ... تِ خيلِ الهوى فغدا أسيرَ فتاةِ
معطار، فاسقة الفروع عليلة ... الأجفان ساحرة بعين مهاة[2]
ترنو، فتغزو كل قلب ثابت ... بشفارِ أشفارٍ وحدِّ قناة[3]
ماءُ الحياة بخدِّها متموِّج ... كتموُّجِ الأنوارِ بالمشكاةِ
مِسكيَّةُ الأنفاس وهناً بضَّةُ ... الأطرافِ، آنسة بقلبِ صفاة
تعنو لها أُسْدُ العرين ذليلةً ... وتخرُّ، خشيةَ طعنة اللحظاتِ[4]

الرّواية الغريبة[5]

[من الطويل]

ضحِكْنا على الماضي البعيدِ، وفي غدٍ ... ستجعَلُنا الأيامُ أضْحُوكةَ الآتي
وتلكَ هِيَ الدُّنيا، رِوَايةُ ساحرٍ ... عَظيم، غَريبِ الفنِّ، مُبْدِعِ آياتِ
يمثِّلها الأحياءُ في مَسْرحِ الأسى ... ووسْطَ ضَبَابِ الهمِّ، تمْثِيلَ أمواتِ
ليشهدَ مَنْ خَلْفَ الضَّبابِ فصولَها ... وَيَضْحَكَ منها مَنْ يمثِّل ما ياتي
وكلٌّ يؤدِّي دَوْرَهُ . . ، وهو ضاحكٌ ... على الغير، مُضْحُوكٌ على دوره العاتي[6]

---

(١) القصيدة ليست في أصول الديوان. وقد نشرها الأستاذ زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».

(٢) المهاة: البقرة الوحشية.

(٣) ترنو: تنظر وتديم النظر بسكون طرْف.

(٤) العناة: الصخرة الصلدة. تعنو: تتودّد.

(٥) نظمها في ٢٠ ذي القعدة ١٣٥١ هـ/ ١٧ مارس ـ آذار ١٩٣٣٠ م.

(٦) العاتي: المستكبر.

دموع الألم[1]

[الخفيف]

حسرات تُهيجها الذكرياتُ ... ودموع تفيضها الشَّهَقاتُ

وشجون تثير في القلب آلا ... ماً تغنِّي بصوتها الأنَّاتُ

مَن لقلبٍ إذا تنهَّد حُزناً ... صدَّ عنه الشجونُ والغصَّاتُ؟

مَنْ لنفس إذا استَمرَّ أساها ... جمدت في عيونها العبراتُ؟

كلما مَضَّها الزمان برزءٍ ... عذَّبتْها بصوتها الذكرياتُ

ما أمضَّ الحياة إن ساورتها ... بين هُوَّاتِ يأسها الحسراتُ

أملٌ ضائع وقلب عنيد ... مزَّقته الخطوبُ والصعقاتُ[2]

ما ندبتُ الحياة إلا وسمعي ... مِلؤه من نشيجِها شهَقاتُ[3]

كلَّما طافت الحياة حوالي ... هوَتْ من جفونها العبَراتُ

ما كرهت الحياة إلاَّ لأن ... الناس في راحة الردى حصواتُ

وهي جبَّارة تدوس بَنيها ... وتُغنِّي وهم لديها رُفاتُ[4]

غير أني رأيتها وهي تبكي ... فأفاقت بمُهجتي الزفراتُ

آلمتني شجونها فتعذَّبتُ ... وطارت بغبطتي الهَفَواتُ

وشجتني دموعها فتألَّمت ... وغاضت بمهجتي البسماتُ[5]

عشت في حومة الدهور بآرا ... ئي وما تسرُّ الحياةُ

وغداً، إن قضيتُ، غارتْ شجوني ... وطواني لدى القبور السُّباتُ

فنسيتُ الشقاء والدمع واليأ ... س ونامت بمهجتي الحركاتُ

وقضى في سكينتي طائرُ الحزن ... وأغفت بصدره النَّدَباتُ

هكذا يُلجمُ المنونُ فؤادي ... وتهُبُّ الحقائقُ الخالداتُ[6]

---

(١) القصيدة ليست في أصول الديوان، إنما نُشرت في جريدة النهضة بتاريخ ٢٥ جانفي /كانون الثاني سنة ١٩٢٨.

(٢) الخطوب: المصائب.

(٣) النشيج: يُقال: نَشَج الباكي، أي: غَصّ بالبكاء.

(٤) رُفات: حطام.

(٥) المُهجة: الروح، والدم، ودم القلب. غاض: نقص. الشجو: الحزن

(٦) المَنون: الموت.

قافية الثّاء

سِرْ مع الدّهر[1]

[من الخفيف]

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، لا تَصُدَّنْكَ الـ ... أهوالُ، أو تُفْزِعَنَّكَ الأحداثُ
سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، كيفما شاءَتِ الْـ ... دُنيا، ولا يَخدعنَّكَ النَّفَّاثُ[2]
فالذي يُرْهِبُ الحياةَ شقـ ... ـيٌّ، سَخِرَتْ من مصيره الأَجْدَاثُ[3]

(١) نظمها في ١٠ ربيع الأول ١٣٤٦ هـ/٧ سبتمبر - أيلول ١٩٢٧ م.
(٢) النّفْث: النّفخ. والنّفاث: الساحر.
(٣) الأجداث: جمع الجدَث: القبر.

قافية الحاء

أغنية الأحزان[1]

[من مجزوء الرّمل]

غَنِّنِي أُنْشُودَةَ الفَجْرِ الضَّحُوكْ
أَيُّها الصَّدَّاحِ![2]
فَلَقَدْ جَرَّعَنِي صَوْتُ الظَّلامْ[3]
أَلَماً عَلَّمَنِي كُرْهَ الحَيَاةْ
إِنَّ قَلْبِي مَلَّ أَصْدَاءَ النُّوَاحْ[4]

* * *

غَنِّنِي يَا صَاحْ!
حَطَّمَتْ كَفُّ الأَسَى قِيثَارَتِي
فِي يَدِ الأَحْلَامْ[5]
فَقَضَتْ صَمْتاً، أَنَاشِيدُ الغَرَامْ
بَيْنَ أَزْهَارِ الخَرِيفِ الذَّاوِيَهْ[6]
وَتَلَاشَتْ فِي سُكُونِ الإِكْتِئَابْ
كَصَدَى الغِرِّيدْ

* * *

(١) نظمها في ٢٢شوال ١٣٤٥ هـ/٢٦ أفريل ـ نيسان ١٩٢٧ م.
(٢) الصدّاح: الذي يرفع صوته بغناء
(٣) جرّعني، أي سقاني.
(٤) الأصداء: جمع الصَّدى: ما يسمعه المصوِّت في واد أو في غيره، من ترجيع صوته.
(٥) القيثارة: من الآلات الموسيقية، وذكر تحطمها للدلالة على ذهاب فرحه.
(٦) الذاوية: الذابلة.

كُفَّ عَنْ تِلكَ الأَغَاني البَاسِمةْ
أيُّها العُصْفُورْ!
فَحَيَاتِي أَلِفَتْ لَحْنَ الأَسَى
مِنْ زَمَانٍ قَدْ تَقَضَّى، وَعَسَى
أَنْ يُثِيرَ الشَّدْوُ، فِي صَمْتِ الفُؤَادْ
أَنَّةَ الأَوْتَارْ...!

***

لا تُغَنِّيني أَغَارِيدَ الصَّبَاحْ
بُلْبُلَ الأَفْرَاحْ!
فَفُؤَادِي وَهُوَ مَغْمُورُ الجِرَاحْ
بِتَبَارِيحِ الحَيَاةِ البَاكِيَةْ[1]
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ السُّرُورْ
وأَغَانِي النُّورْ
إنَّ مَنْ أَصْغَى إلى صَوْتِ المَنُونْ
وَصَدَى الأَجْدَاثْ[2]
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورْ
بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ السَّاحِرَةْ
وابْتِسَامَاتِ الحَيَاةِ، السَّافِرَةْ[3]
عَنْ جَلَالِ اللّهْ!

***

غَنِّنِي يَا صَاحِ، أَنَّاتِ الجَحِيمْ
وَاسْقِنِي الآلامْ
أَتْرِعِ الكَأْسَ بِأَوْجَاعِ الهُمُومْ[4]
واسْقِنِي، إِنِّي كَرِهْتُ الابْتِسَامْ

---

(١) التباريح، من البَرْح: الشدة. وتباريح الشوق: توهُّجه.
(٢) المنون: الموت. الأجداث: جمع الجدث: القبر.
(٣) السافرة: الكاشفة عن وجهها.
(٤) أترع الكأس: أملأه.

غـنّـني نَـدْبَ الأمَـانِي الخَـائِـبَـهْ
واللّيالِي السُّودْ

* * *

غَنّني صَوْتَ الظّلَامِ المُكْتَئِبْ
إنّني أهْوَاهْ
هَـاكَ كَـأسَ القَلْبِ فَـامْـلأهـا نُـوَاحْ
وَاسْـكُبِ الحُـزنَ بِهـا حَـتّى الـصّبَـاحْ!
إنّهَا مِنْ طِينَةِ الحُزْنِ المَرِيرْ
صَاغَهَا الخَلّاقْ

* * *

بِئْسَتِ الأفْراحُ، أفْرَاحُ الحَيَاةْ
إنّها أحْلَامْ
تَخْـلُبُ الـلُّبَّ بِـألْحَـانِ عَـذَابْ[1]
وَأغَـارِيـدَ، كَـأمْـلاكِ الـسَّـمَا
ثُـمَّ لَا تَـلْبَـثُ أنْ تَـذْوِي كَـمَا[2]
تَذْبُلُ الأزْهَارْ

* * *

خبِّرِيني، ما الذي خَلْفَ الغُيُومْ . . . ؟
رَبّةَ الأحْلَامْ
أفَتَى الهَولِ، وَجَبّارُ الهُمُومْ؟
أمْ عَـرُوسُ الأمَـلِ الـعَـذْبِ الشّرُودْ
تَـتَـهَـادَى بَـيْنَ لَألاءِ الـصَّـبَـاحْ؟[3]
كَملَاكِ النُّورْ

* * *

---

(١) اللب: العقل، والقلب. وتخلب: تسحر.
(٢) تذوي: تذبل.
(٣) تتهادى: تتمايل. لألاء الصباح: نور الصباح.

أَنَا فِي دَرْبِ الحَيَاةِ الغَامِضَه
تَائِهٌ، حَيْرَانْ
بَيْنَمَا أُبْصِرُ فِي وَجْهِ الحَيَاةْ
ظُلْمَةَ الأَحْزَانِ فِي ظُلِّ الأَلَمْ
إِذْ أَرَى فِي جَفْنِهَا نُوراً، بَدِيعْ
بَاسِماً، فَتَّانْ

* * *

هَا أَنَا أَسْمَعُ فِي قَلْبِ الحَيَاةْ
صَيْحَةَ الآلامْ
مُرَّةً تَنْسَابُ، مِنْ قَلْبٍ حَطِيمْ[1]
مَلأَ الحُزنُ أَقَاصِيهِ دُمُوعْ
هَا أَنَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ السُّرُورْ
كَفَّتِ الأَيَّامْ[2]

جمال الحياة[3]

[من مجزوء الرّمل]

سِرْتُ فِي الرَّوْضِ، وَقَدْ لاَحَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ
وَجَنَاحُ الفَجْرِ يُومِي نَحْوَ رَبَّاتِ الجَنَاحْ
والدُّجَى يَسْعَى رُوَيْدا سَعْيَ غَيْدَاءَ، رَدَاحِ[4]
وَنَسِيمُ الصُّبْحِ يَسْرِي سَجْسَجاً، فَوْقَ البِطَاحِ[5]
وَخَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرَا نُ، وَزَهْرُ الرَّوْضِ صَاحِ
فَرَنَتْ نَحْوَ جَلاَلِ الكَوْ نِ، جَوْنَاءُ اللَّيَاحِ[6]

(١) القلب الحطيم، أي: المحطّم.
(٢) كذا في الأصل «كعّنت الأيام» ولا معنى له.
(٣) نظمها في ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٣هـ/١٩ جويليه ـ تموز ١٩٢٥ م.
(٤) الدجى: الظلام. الغيداء: المتثنية ليناً. الرداح من النساء: الثقيلة الأوراك.
(٥) يوم سجسج: لا حر ولا قر.
(٦) رنت، من الرنو: إدامة النظر بطرف ساكن. الجوناء: الشمس. اللياح: الصبح.

ثُـمَّ بَـانَـتْ فِي شُـفُـو ... رٍ فَـاضِـحٍ أيَّ افْـتِـضَـاحِ
فَـاحْـتَـسَـتْ خَمْـرَ نَـدَى الـدَّا ... مِسِ، مِـنْ كَـأْسِ الأَقَـاحِ
وَاغْـتَـلَـتْ بَـلْقِـيسُ عَـرْشَ ... الـلَّيْـلِ، في تِلْكَ النَّـوَاحي[1]
ثُـمَّ مَـالَـتْ لِـغُـرُوبٍ ... بَـعْـدَ إضْرَامِ الـكِـفَـاحِ
واسـتـوى اللَّيْـلُ بِـرَغْـمِ الشَّمْـ ... ـسِ فِي الـعَـرْشِ الـفُـسَـاحِ

* * *

هَـكَـذَا الـدَّهْـرُ بـأزيـاءِ ... غُـدُوٍ، وَرُوَاحٍ[2]
وَضِـيَـاءٍ، وَظَـلامٍ ... وَسُـكُـونٍ، وَصِـيَـاحِ
وَنَـشِـيـدٍ، وَنُـوَاحٍ ... وانـقِـبَـاضٍ، وانْشِرَاحِ
إنَّمَـا الـدَّهْـرُ وَبِـيـنَـا ... قُ الـلَّيَـالِي كَـشُـحَـاحِ[3]

---

(١) بلقيس: ملكة اليمن أيام النبي سليمان عليه السلام.
(٢) الغدوة: البكرة. الرُّواح: العشي. ويشير إلى تقلبات الدهر.
(٣) لعلّه أراد الشُّحاج أي صوت البغل فقلب ساخراً من الدهر.

قافية الدّال

حديث المقبرة(١)

«وهو حوارٌ فلسفيٌّ، مدَارُه الحياة» «والموت، والخلود والكمال».

في ليلة مظلمة، من ليالي الصيف، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل، والظلام المزكوم، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور.

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر بأقدام متعبة، ونفس ثائرة، وأجفان قد أذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة، وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة، ما نام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير، وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر، وعجت في صدره، عجيج الأمواج الثائرة، فألقاها إلى الليل في النشيد التالي:

[من المتقارب]

أتفنى ابتِسَاماتُ تلكَ الجفونِ؟ ... ويخبو توهُّجُ تلكَ الخدودْ؟

وتذوي وُرَيْداتُ تلك الشِّفاهِ؟ ... وتهوِي إلى التُّرْبِ تلكَ النُّهودْ؟(٢)

وينهدُّ ذاك القوامُ الرَّشيقُ ... وينحلُّ صَدْرٌ، بديعٌ، وَجِيدْ

وتربَدُّ تلكَ الوُجوهُ الصِّباحُ ... وفتنةُ ذاكَ الجمالِ الفريدْ(٣)

ويغبرُّ فرعٌ كجنحِ الظَّلامِ ... أنيقُ الغدائرِ، جَعْدٌ، مَديدْ

ويُصبحُ في ظُلُماتِ القبورِ ... هباءً، حقيراً، وتُرْباً، زهيدْ

---

(١) نظمها في ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٠هـ/ ٣ أفريل ـ نيسان ١٩٣٢ م.

(٢) تذوي: تذبل. وريدات: تصغير وجمع لوردة. التُّرب، أي: التراب.

(٣) تربدُّ: تتغير.

وينجابُ سِحْرُ الغَرامِ القويِّ وسُكرُ الشَّبابِ، الغريرِ، السَّعيدْ

* * *

أتَطوَى سَمواتُ هذا الوجودِ؟ ويذهبُ هذا الفَضاءُ البعيدْ؟
وتَهلِكُ تلكَ النُّجومُ القُدامى؟ ويهرَمُ هذا الزَّمانُ العَهيدْ؟[1]
ويقضي صَباحُ الحياةِ البديعُ؟ وليلُ الوجودِ، الرهيبُ، العتيدْ؟
وشمسٌ توشّي رداءَ الغمامِ؟ وبدرٌ يُضيءُ، وغيمٌ يجودْ؟
وضوءٌ، يُرَصِّع موجَ الغديرِ؟ وسِحْرٌ، يطرِّزُ تلكَ البُرودْ؟[2]
وبحرٌ فسيحٌ، بعيدُ القرارِ، يَضُجُّ، وَيَذْوي دويَّ الوليدْ؟
وريحٌ، تمرُّ مرورَ الملاكِ، وتخطو إلى الغَابِ خَطْوَ الرُّعودْ؟
وعاصفةٌ من بناتِ الجحيمِ، كأنَّ صَدَاها زَئيرُ الأسودْ
تَعجُّ، فتَذْوِي حنايا الجبالِ وتمشي، فتهوِي صُخورُ النُّجودْ[3]
وطيرٌ، تغنّي خِلالَ الغُصونِ، وتَهْتِفُ للفجرِ بين الورودْ؟
وزهرٌ، ينمّقُ تلكَ التِّلالَ وَيَنْهَلُ من كلِّ ضوءٍ جَديدْ؟
ويعبَقُ منه أريجُ الغرامِ ونَفْحُ الشَّبابِ، الحَييِّ، السَّعيدْ؟
أيسطُو على الكُلِّ ليلُ الفناءِ ليلهُو بها الموتُ خَلْفَ الوجودْ..
وَيَنْثُرَهَا في الفراغِ المُخيفِ كما تنثرُ الوردَ رِيحٌ شَرود
فينضُبُ يمُّ الحياةِ، الخِضَمُّ ويخمدُ روحُ الرَّبيعِ، الوَلُودْ[4]
فلا يلثُمُ النُّورُ سِحْرَ الخُدودِ ولا تُنْبِتُ الأرضُ غضَّ الورودْ؟

* * *

كبيرٌ على النَّفسِ هذا العَفَاءُ! وَصَعْبٌ على القلبِ هذا الهمودْ![5]
وماذا على القَدَرِ المستَمِرِّ لو اسْتَمرَأَ النَّاس طعمَ الخلودْ
ولم يُخفَروا بالخرابِ المحيط ولم يُفجَعوا في الحبيب الودودْ
ولم يَسلكوا للخُلود المرجّى سبيلَ الرَّدى، وظَلامَ اللّحودْ

(١) العهيد: يعني قديم العهد.
(٢) البُرود: جمع البُرد: ثوب مخطط.
(٣) النجود: جمع النَّجد: ما أشرف من الأرض.
(٤) اليَمّ: البحر. الخِضَمّ: البحر، ومن الرجال: السيد الخمول المعطاء.
(٥) العفاء: الدروس وزوال الأثر. الهود: السكون.

فَـدَامَ الـشَّـبـابُ، وَسِـحْـرُ الـغـرامِ، وفَـنُّ الـرَّبـيـعِ، وَلُـطْفُ الـوروذْ
وعـاش الـورى في سَـلامٍ، أمـينٍ وعـيشٍ، غـضـيرٍ، رخـيٍّ، رغـيـدْ؟(١)
ولـكـنْ هـو الـقَـدَرُ المـسـتـبـدُّ يَـلذُّ لـه نـوْحُـنـا، كـالـنَّـشـيـدْ!

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامئة، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد اليقين فخاطبته بهات الأبيات:

تَبَـرَّمْـتَ بـالعيشِ خـوفَ الـفـنـاءِ ولـو دُمْـتَ حيًّـا سَئـمـتَ الخـلودْ(٢)
وَعِـشْـتَ عـلى الأرضِ مـثـل الجبـال جليـلاً، رهيبـاً، غـريبـاً، وَحيـدْ
فَـلَمْ تَـرتـشـفْ من رُضـابِ الحـيـاة ولم تـصـطَبـغْ من رَحيـق الـوجـودْ(٣)
ومـا نـشـوةُ الحـبِّ عـنـدَ المـحـبِّ ومـا سِـحْـرُ ذاك الـرَّبـيـعِ الـولـيـدْ
ولم تـدرِ مـا فـتـنـةُ الـكـائـنـاتِ ومـا صرخـةُ الـقلبِ عـنـدَ الصَّـدودْ
ولم تـفـتـكـر بـالـغَـدِ المـسـترابِ ولم تحـتـفـل بـالمـرامِ الـبـعـيـدْ(٤)
ومـاذا يُـرجِّـي ربـيـبُ الخـلودِ من الكـونِ ـ وهُـو المقيمُ العـهيـدْ؟(٥)
ومـاذا يـودُّ ومـاذا يخـافُ من الكـون ـ وهـو المقيم الأبيـدْ ـ؟(٦)
تـأمَّـلْ. . ، فـإنَّ نِـظَامَ الحـيـاةِ نِـظَامٌ، دقـيـقٌ، بـديـعٌ، فـريـدْ
فـما حـبَّـبَ الـعـيشَ إلاّ الـفـنـاءُ ولا زانَـه غـيرُ خـوف الـلُّحـودْ
ولـولا شـقـاءُ الحـيـاةِ الألـيـمِ لمـا أدركَ الـنَّـاسُ معـنى الـسُّـعـودْ
ومـن لم يـرُعْـهُ قـطوبُ الـدَّيـاجـيرِ لمْ يـغـتـبطْ بـالـصَّـبـاحِ الجـديـدْ(٧)

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فقال يحاورها:

إذا لم يـكـن مـن لـقـاءِ المـنـايـا مَـنـاصٌ لِمَنْ حـلّ هـذا الـوجـودْ(٨)

---

(١) الورى: الخَلْق. الغضير: الخضير، الناعم من كل شيء.
(٢) تبرّمت بالعيش: مللته.
(٣) ترتشف: تمتص. الرُّضاب: الرّيق المرشوف، وكنى بالرُّضاب عن ملذات الحياة.
(٤) المُستراب: ما يُريب، وهو من الرّيبة أي: الشك. الحرام: الغرض.
(٥) الربيب: المربوب، والمعاهد، العهيد، أي: قديم العهد.
(٦) المقيم الأبيد، أي المقيم أبد الدهر.
(٧) القُطوب: العبوس. الدياجير: جمع الدَّيجور: الظلام.
(٨) المناص: الملجأ.

فأي غِنَاءٍ لهذي الحياةِ   وهذا الصّراعِ، العنيفِ، الشّديدْ
وذاك الجمالِ الذي لا يُملُّ   وتلك الأغاني، وذاك النّشيدْ؟
وهذا الظّلامِ، وذاك الضّياءِ   وتلك النُّجومِ، وهذا الصّعيدْ[1]
لماذا نمرُّ بوادي الزّمانِ   سِراعاً، ولكنّنا لا نعودْ
فنَشْرَبُ مِنْ كلِّ نبعٍ شراباً   ومنه الرّفيعُ، ومنه الزّهيدْ
وَمِنْهُ اللّذيذُ، وَمِنْهُ الكَريهُ،   وَمِنْهُ المشيدُ، وَمِنْهُ المبيدْ
وَنَحْمِلُ عِبْئاً من الذّكرياتِ   وتلكَ العهودِ الّتي لا تعودْ
ونشهدُ أشكالَ هذي الوجوهِ   وفيها الشّقيُّ، وفيها السّعيدْ
وفيها البَديعُ، وفيها الشّنيعُ،   وفيها الوديعُ، وفيها العنيدْ
فيُصبح منها الوليُّ، الحميمُ،   ويصبحُ منها العدوُّ، الحقُودْ
وكلٌّ - إذا ما سألنا الحياةَ -   غريبٌ لَعَمْري بهذا الوجودْ
أتيناه من عالمٍ، لا نراه   فُرادى، فما شأنُ هذي الحقُودْ؟
وما شأنُ هذا العَدَاءِ العنيفِ؟   وما شأنُ هذا الإخاءِ الوَدودْ؟

روح الفيلسوف

خُلقنا لنبلُغَ شأوَ الكمالِ   ونُصبحَ أهلاً لمجدِ الخُلُودْ[2]
وَتَطْهرَ أرواحُنا في الحياة   بنارِ الأسى.... [3]
وَنَكْسَبَ من عَثَراتِ الطّريقِ   قُوىً، لا تُهدُّ بدأبِ الصُّعودْ[4]
ومجداً، يكون لنا في الخلود   أكاليلَ من رائعاتِ الوُرودْ

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح، في طريقها إلى العالم المجهول، فطارت معها روح الفيلسوف وخلفت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين. وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه:

«خلقنا لنبلُغَ شأوَ الكمالِ   ونُصبحَ أهلاً لمجدِ الخلودْ»

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجي روح الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه:

---

(١) الصعيد: التراب.
(٢) الشأو: السَّبْق، البُعد.
(٣) كذا فراغ بالأصل.
(٤) الدأب: ههنا الجد والتعب.

ولكنْ إذا ما لبسنا الخلودَ ... وَنلنا كمالَ النُّفوسِ البعيدْ
فهلْ لا نَملُّ دَوامَ البقاءِ؟ ... وَهَلْ لا نَوَدُّ كمالاً جديدْ
وكيف يكوننَّ هذا «الكمالُ»: ... وماذا تُراه؟ وكيفَ الحُدودْ؟
وإنّ جمالَ «الكمالِ» «الطُّموحُ» ... وما دامَ «فكراً» يُرَى من بعيدْ
فما سِحْرُهُ إنْ غدا «واقعاً» ... يُحَسُّ، وأصبحَ شيئاً شهيدْ؟
وهل ينطفي في النُّفوسِ الحنينُ ... وتصبحُ أشواقُنا في خُمودْ[1]
فلا تطمحُ النَّفْسُ فوقَ الكمالِ ... وفوق الخُلودِ لبعضِ المزيدْ؟
إذا لم يَزُل شوْقها في الخلودِ ... فذاك لَعَمْري شقاءُ الجُدودْ[2]
وحربٌ، ضروسٌ، كما قد عهدتُ ... وَنَصْرٌ، وكسرٌ وهمٌّ مديدْ[3]
وإنْ زال عنها فذاكَ الفناءُ ... وإنْ كان في عَرَصَاتِ الخُلودْ[4]

* * *

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف، ولكنها كانت إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه، وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا يجيب.

الى الموت[5]

[من المتقارب]

صَبِيٌّ الحياةِ، الشَّقِيٌّ العنيدْ ... أَلاَ قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلالَ البعيدْ!
أَتنشدُ صوتَ الحياةِ الرخيمَ، ... وَأَنتَ سَجِينٌ بهذا الوجودْ؟!
وَتطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَاحِ المخـ ... ـضَّبَ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ، جديبٍ، حَصِيدْ!؟[6]
إلى الموتِ! إن شِئْتَ هَوْنَ الحيا ... ةِ، فَخَلْفَ ظلامِ الرَّدى مَا تُرِيدْ...

* * *

---

(١) خُمود النار: انطفاؤها.
(٢) الجُدود: جمع الجد: الحظ.
(٣) الحرب الضروس، أي الحرب الطاحنة.
(٤) العَرصات: جمع العَرْصَة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.
(٥) نظمها في ٢٤ صفر ١٣٤٧ هـ/ ١٢ أوت ـ آب ١٩٢٨ م وتتجلى فيها نظرته المتشائمة بدعوته إلى الموت.
(٦) المخضّب: الملوّن، المصبوغ. الحصيد، أي: المحصود. والجديب، أي: المجدب.

إلى الموت! يا ابنَ الحياةِ التعيسَ، ... فَفِي الموتِ صَوْتُ الحياةِ الرخيمْ[١]
إلى الموتِ؟ إن عذّبتك الدُّهورُ، ... فَفِي الموتِ قلْبُ الدُّهورِ الرَّحيمْ
إلى الموت! فالموتُ رُوحٌ جميلٌ، ... يُرَفْرِفُ من فوقِ تلْكَ الغُيومْ
فَرُوحاً بِفَجْرِ الخُلُودِ البهيجِ، ... وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بَناتِ النُّجومْ...

* * *

إلى الموت! فالموتُ جامٌ رَوِيٌّ ... لِمَنْ أظمَأَتْهُ سُمُومُ الفَلاةْ[٢]
وَلَسْتَ بِراوٍ - إذا ما ظَمِئْتَ - من ... المنبعِ العذْبِ قَبْلَ المَماتْ
فما الدَّمْعُ إلا شرابُ الدُّهورِ، ... وما الحزنُ إلّا غِذاءُ الحَياةْ
إلى الموتِ! فالموتُ مهدٌ وثيرٌ، ... تَنَامُ بأحضانه الكائناتْ[٣]

* * *

إلى الموت! إن حاصَرَتْكَ الخُطوبُ، ... وَسَدَّتْ عليكَ سَبِيلَ السَّلامْ
ففي عالمِ الموتِ تَنْضو الحياةُ ... رِدَاءَ الأسى، وَقِنَاعَ الظّلامْ[٤]
وتبدو، كما خُلِقَتْ غَضَّةً ... يَفِيضُ على وَجْهِهَا الإبْتِسَامْ
تُعِيدُ عليها ظِلالَ الخلودِ، ... وتهفو عليها قُلُوبُ الأنَامْ[٥]

* * *

إلى الموتِ! لا تَخْشَ أعماقه ... ففيها ضياءُ السَّماءِ الوديعْ
وفيها تَمِيسُ عذارى السَّماءِ، ... عواريَ، يُنْشِدْنَ لَحْناً بديعْ...[٦]
وفي رَاحِهِنَّ غُصُونُ النَّخيلِ ... يُحَرِّكْنَهَا في فَضَاءٍ يَضُوعْ...[٧]
تضيءُ بهِ بَسَمَاتُ القُلوبِ، ... وتخبو به حَسَراتُ الدُّمُوعْ[٨]

* * *

---

(١) الصوت الرخيم: اللين السّهل.
(٢) الجام: إناء من فضّة. سموم الفلاة: رياح القفر الحارة.
(٣) المَهْد: السرير للصبي، والأرض. الوثير: الثوب الذي تُجلّل به الثياب فيعلوها. والجمع مياشر وهي مراكب تتخذ من الحرير والديباج.
(٤) تنضو الحياة رداء الأسى، يعني تفارق هيئة الحزن واليأس. ونضا الثوب: خلعه.
(٥) هفا يهفو: أسرع بُسرع، الفؤاد يهفو: يذهب في أثر الشيء.
الأنام: الخَلْق.
(٦) تميس: تتبختر.
(٧) الرَّاح، يعني الأكف. يضوع: يتحرّك فتنتشر رائحته.
(٨) النار تخبو: تنطفىء.

هــو المـوتُ طـيـفُ الخـلودِ الجـمـيـ ... ـلُ، وَنِـصْفُ الحيـاةِ الـذي لا يَنُـوحْ
هنـالـك... خلفَ الفَضَـاءِ البعيـدِ، ... يَعِيشُ المنـونُ القَـوِيُّ الصَّبُـوحْ[1]
يَـضُـمُّ الـقُـلوبَ إلى صَـدْرِه، ... لـيـأسـوَ مَـا مَضَّهـا مِنْ جُـروحْ[2]
ويـبعـثَ فِـيـهـا رَبِـيـعَ الحـيـاةِ، ... وَيُبْهِجَـهَـا بـالـصَّبَـاحِ الـفَـرُوحْ[3]

قلب الشّاعر[4]

[من الرَّمل]

كـلُّ مـا هـبَّ، ومـا دبَّ، ومـا ... نـامَ، أو حـامَ عـلى هـذا الـوجـودْ
مِـنْ طـيـورٍ، وَزُهـورٍ، وشـذىً ... ويـنـابـيـعَ، وأغـصـانٍ تمـيـدْ[5]
وبـحـارٍ، وكـهـوفٍ، وذُرىً ... وبـراكـيـنَ، ووديـانٍ، وبـيـدْ[6]
وضـيـاءٍ، وظـلالٍ، ودجـىً، ... وفـصـولٍ، وغـيـولٍ، ورعـودْ[7]
وثـلوجٍ، وضَـبـابٍ عَـابـرٍ، ... وأعَـاصـيرَ، وأمـطارٍ تجـودْ
وتـعـالـيـمَ، وَدِيـنٍ، ورؤى ... وأحـاسـيسَ، وَصَـمْـتٍ، ونـشـيـدْ
كـلُّهـا تحـيـا بـقـلبـي، حـرَّةً ... غَضَّـةَ الـسِّحْـرِ، كـأطفـالِ الخُـلودْ[8]

* * *

هَهُنـا، في قلبيَ الـرحْـبِ، الـعـمـيـقْ ... يـرقُصُ المـوتُ وأطـيـافُ الـوجـودْ[9]
هَهُنـا، تَـعْـصِـفُ أهـوالُ الـدُّجى ... هـهـنـا، تخـفُـقُ أحـلامُ الـورودْ
هـهـنـا، تهـتُـفُ أصـداءُ الـفَـنـا ... هـهـنـا، تُـعـزَفُ ألحـانُ الخـلودْ
هـهـنـا، تمْشي الأمـاني، والهـوى، ... والأسى، في مَـوْكـبٍ فـخـمِ الـنَّـشـيـدْ

---

(١) المنون: الدهر، والموت.
(٢) يأسو: يداوي. مضّها: أحزن وآلم.
(٣) يبهجها: يسرها. فروح: فرح.
(٤) نظمها في ٢٩ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ/ ١٦ مارس - آذار ١٩٣٤ م.
(٥) الشذى: العطر. تميد: تتحرك وتضطرب.
(٦) ذرى: جمع ذروة: قِمّة. بيد: جمع بيداء: فلاة.
(٧) الدجى: الظلام. غيول: جمع غِيل: أجمة، وكل واد فيه ماء.
(٨) غضّة: طرية، ناعمة.
(٩) الأطياف: جمع الطيف: الخيال الطائف بالمنام.

هٰهنا الفجرُ الذي لا ينتهي ... هٰهنا اللّيلُ الذي ليسَ يَبِيدْ[1]
هٰهنا، ألفُ خِضَمٍّ، ثائرٍ ... خالدِ الثّورةِ، مجهولِ الحُدودْ[2]
هٰهنا، في كلِّ آنٍ تُمّحي ... صُوَرُ الدُّنيا، وتبدو من جَديدْ

رثاءُ فجري[3]

[من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الغَابُ، المُنَمْـ ... ـمَقُ بالأشعَّةِ والورودْ!
يا أيُّها النّورُ النّقِيُّ! ... وأيُّها الفجرُ البعيدْ!
أينَ اختفيتَ؟ وما الّذي ... أقصاكَ عن هذا الوجودْ
آهٍ! لقدْ كانتْ حَيَاتي ... فيكَ حالمةً، تَميدْ[4]
بين الخمائلِ، والجدا ... ولِ، والتّرنّمِ، والنّشيدْ
تُصغي لنجواكَ الجميـ ... ـلةِ، وهي أغنيةُ الخلودْ
وتعيشُ في كونٍ من الـ ... ـغفلاتِ، فتّانٍ، سَعيدْ
آه! لقد غنّى الصّباحُ، ... فدَمْدَمَ اللّيلُ العَتِيدْ[5]
وتألّق النّجمُ الوضيءُ، ... فأغْتَمَ الغيمُ الرُّكُودْ
ومضى الرّدى بِسَعَادتي، ... وقضى على الحُبِّ الوَلِيدْ[6]

صيحة الحب[7]

[الرّمل]

نَسْمةٌ هبّت على ضوء القمر ... نَفَخَتْ في ناي أحزان الخَلَدْ[8]
ضاق صدري، جرّاها، واستعرَ ... وأراق الوجْدَ آساد الجلَدْ

(١) يبيد: يذهب وينقطع.
(٢) الخِضَم: البحر. والسيِّد الحمول المعطاء.
(٣) نظمها في ١ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ١٤ سبتمبر - أيلول ١٩٣١ م.
(٤) تميد: تتحرك وتضطرب.
(٥) دمدَم: تكلّم بغضب. العتيد: الحاضر المهيّأ.
(٦) الرّدى: الهلاك.
(٧) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.
(٨) الخَلَد: البال، والقلْب.

كيف لي بالصبر، والصبرُ اندثر
كيف لي...؟ والحبُّ لا يبقي على
كيف لي ..؟ والحبُّ قد زاد إلى
آهِ! كم تُلجِدُ أوهامُ الصِّبا
آهِ! كم تُبكي أفانينُ الرُّبى
آه! كم تخدع ألحاظ الظِّبا
آهِ! آوّاهُ! وهل تنفعني
يا فتاتي! هل تُلبِّي دَعْوةً
رفرفَتْ والحبُّ، ليلاً، وهْناً، خِلسة
سكبتها الروح، ليلاً، نغمةً
بحياةِ الحبِّ، لبي دعوتي
لا تخافي، فالدُّجى يرجو التي
يا عروس الحب، هيّا واخلعي
واذكري أصوات قلبي، واسمعي
أوْ دعيني في عذابي، وأسرعي
يا فتاتي ذكِّري الليل بما
واسألي أملاك حبِّي في السما
كم سمعتُ الليل يمشي هامساً
وهدوء الليل يسعى حارساً
وفؤادي إذ تولّاه الأسى
كم سمعتُ الليلَ، والليل اختفى
يسكب الحب بألحانِ الوفا

تحت أقدام الجوى، لمّا اتّقدْ
جَلَدِ القلب، بأشواق الهيامْ
صعقات الحزن أنّات السُّقامْ[1]
في قبورِ الحبِّ، من قلبٍ بَشيرْ
كلُّ صبٍّ بابتسامات الزَّهَرْ
كلُّ صبٍّ، بسوادٍ وحَوَرْ[2]
إنّما «آه» كرنّاتِ الصَّدى
صعدتْ من غورِ أعماق الفؤادْ؟
من عيون الدهرِ، في ليل الحِدادْ
في جَلال الكون، في صمتِ العبادْ
وابعثي روحك للروح الحزينْ
جرَّعتْه الحب في كأس السكونْ[3]
من جموني الداميات الأرقا
مهجتي الظمياءَ أنغامَ اللقا
واحذري أن تسمعي صوت الشّقا
نَفَثَتْه الروح في صدر الظلامْ
عن خشوعي، وابتسامي للسَّقَامْ
في خشوع الكون أنّاتِ الشُّعورْ
لملاكِ الحبِّ، في صدر الأثيرْ
يقتفي الآثار في ظل الصدورْ
في ضباب الفجر، كالطير الأصمْ
باكياً بالدمع، من جَفن الألمْ

---

(١) السُّقام: المرض.
(٢) الظباء: الغزلان. الحَوَر: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها
(٣) الدجى: الظلام.

الأديب[1]

[الكامل]

إنّ الأديب كزهرة نفّاحه / تعنو إليها الصادحات وتسجدُ[2]

بل بلبل ما بين أنسام المنى / تلقاه صدّاح الصدى يتغرّدُ

تُشجيه ذكرى مجد شعب باذخ / ملأ الفضاء تلهُّباً لا يخمدُ

فينوح مُلتهباً على ما لم يعد / إلا ادّكاراً مؤلماً يتجددُ

ويقوده الوهم الجميل للجة / الأحلام منها ينتقي وينضّدُ

فيصوغ من درر الخيال قلائداً / منها السعادة في الورى تتخلّدُ[3]

وإلى ملذّات الغرام ووهمه / تصبو أمانيه فلا يتردّدُ

فيبثُّ للطير المغرّد سرّه / ولذلك النهر الذي لا يهجدُ

إنْ هزَّ بالكفِّ اليراعةَ أسلبتْ / دمعاً هو السحرُ الحلالُ الأيّدُ

أوجاسَ أطرافَ النجوم بلمحة / رجعت وفيها خاطر يتوقّدُ

ويطوفُ ما بين الزهور كأنّه / ملكٌ حواليه الكواعبُ تحشدُ[4]

وبِمرشفِ الأزهار يسقي الراح من / أيدي النسيم فينتشي ويعربدُ

إن رام تقبيل الثغور بدا له / ثغر الأقاح مبلبلاً يتوددُ

أو رام نجوى فالبلابل ضجّة / بينَ الرياض مدى الزمان تغرّد

أو شاقَه سحرُ العيون فإنَّ في / تلك السهولِ جآذراً لا تُكمد[5]

المجد[6]

[من الطويل]

يَوَدُّ الفتى لَو خَاضَ عَاصِفَةَ الرَّدَى / وَصَدّ الخميسَ المَجْرَ والأسَدَ الوَرْدا[7]

---

(١) ليست في أصول ديوانه، ولكن نسبها إليه نور الدين صمود. مجلة الفكر العدد ١٠/٦٦. وكانت القصيدة نُشرت في جريدة النهضة باريخ ١٦ فيفري فبراير شباط سنة ١٩٢٨ باسم محمود خروف.

(٢) الصادحات: المغنّيات.

(٣) القلائد: العقود. الورى: الخَلْق.

(٤) الكواعب: جمع الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها.

(٥) جآذر: جمع جؤذر: بقرة وحشية.

(٦) نظمها في ٢ صفر ١٣٤٦ هـ /غُرّة أوت ـ آب ١٩٢٧ م.

(٧) الخميس: الجيش لأنه خمس فرق. والخميس المجر، أي الجيش العظيم. الورد: الأسد، والشجاع.

لِـيُـدْرِكَ أمجـادَ الحُـروبِ، وَلَـوْ دَرى حَـقِيقَتَهـا مَـا رام مِـنْ بيْنهـا مَجْـد،
فَما المجدُ في أن تُسْكِرَ الأرضَ بـالـدِّما وَتَـرْكَبَ في هَيْجَـائِهـا فَـرسـاً نَهْدا[1]
ولـكـنَّـه في أنْ تَـصُـدَّ بِهِـمَّـةٍ عَن العـالم المَرْزُوءِ، فَيْضَ الأَسى صَـدًّا[2]

صلوات في هيكل الحبّ[3]

[من الخفيف]

عـذْبَةٌ أنتِ كـالـطُّفـولةِ، كـالأحـلام كـالـلَّحـنِ، كـالـصَّبـاحِ الجـديـدِ
كـالسَّماء الضَّحُـوكِ كـالليلةِ القمـراءِ كـالـوردِ، كـابـتـسـامِ الـولـيـدِ
يـا لهـا مـن وَداعـةٍ وجمـالٍ وَشَـبـابٍ مـنـعَّـمٍ أمْـلُودِ![4]
يـا لهـا من طهـارةٍ، تبعثُ التقـديـسَ في مهجـة الشَّقيِّ العـنـيـدِ!..
يـا لهـا رقَّـةً تَـكـادُ يَـرِفُ الـوَرْدُ منهـا في الـصَّـخْـرةِ الجُلْمُـودِ![5]
أيُّ شيءٍ تُـراكِ؟ هـل أنتِ «فـينـيسُ» تَهـادتْ بـين الـورى مِـنْ جـديـدِ[6]
لتُعيـدَ الشَّـبـابَ والـفـرحَ المعسـولَ لـلعـالمِ التَّعِيسِ الـعـمـيـدِ![7]
أم مـلاكُ الـفـردوس جـاءَ إلى الأرضِ لِيُحيي روحَ السَّـلامِ العهيـدِ![8]
أنـتِ.. مـا أنتِ؟ أنـتِ رسمٌ جميـلٌ عـبـقـريٌّ مِـنْ فـنِّ هـذا الـوجـودِ
فيـكِ مـا فيـه مـن غمـوضٍ وعُمْقٍ وَجَمـالٍ مـقَـدَّسٍ مـعـبـودِ
أنتِ.. مـا أنتِ؟ أنتِ فَجْرٌ من السِّحرِ تجـلّى لـقـلبـيَ المعـمـودِ[9]
فـأراه الحـيـاةَ في مُـونِـقِ الحُـسْـنِ وجـلّى لـه خـفـايـا الخـلودِ[10]

---

(١) الهيجاء: الحرب.
الفَرس النَّهد: الحسن الجميل الجسيم اللحيم المشرف.
(٢) المرزوء: المُصاب. والمعنى: أن المجد في دفع الظلم وليس في سفك الدماء.
(٣) نظمها في ٣٠ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ١٣ أكتوبر - تشرين أول ١٩٣١ م.
(٤) الأملود: اللين الناعم.
(٥) الصخرة الجلمود، أي الصَّلدة.
(٦) فينيس: اسم لما زعمها اليونان القدماء إلهة الجمال. تهادى: تمايل.
الورى: الخَلْق.
(٧) العميد: الذي هدَّه العِشق.
(٨) العهيد: يعني القديم العهد.
(٩) المعمود: الذي هدَّه العِشق.
(١٠) مونق: معجِب مُبهِج.

أنتِ روحُ الرَّبيعِ، تختالُ في ... الدّنيا فتهتزُّ رائعاتُ الورودِ
وتهبُّ الحياةُ سكرى من العِطْرِ، ... ويدْوي الوجودُ بالتَّغريدِ
كلما أبْصَرَتْكِ عيناي تمشين ... بخطوٍ موقَّعٍ كالنَّشيدِ
خَفَقَ القلبُ للحياة، ورفَّ الزهرُ ... في حقلِ عمريَ المجرودِ[1]
وانتشتْ روحيَ الكئيبةُ بالحبِّ ... وَغَنَّتْ كالبلبلِ الغرِّيدِ
أنتِ تُحيينَ في فؤاديَ ما قدْ ... ماتَ في أمسيَ السَّعيدِ الفقيدِ
وَتُشيِّدينَ في خرائبِ روحي ... ما تلاشى في عهديَ المجدودِ[2]
من طموحٍ إلى الجمالِ إلى الفنِّ، ... إلى ذلك الفضاءِ البعيدِ
وَتَبُثّينَ رقّةَ الشّوقِ، والأحلامِ ... والشّدوِ، والهوى، في نشيدي
بعد أن عانقتْ كآبةُ أيّامي ... فؤادي، وألجمتْ تغريدي
أنتِ أنشودةُ الأناشيدِ غنّاكِ ... إلهُ الغناءِ، ربُّ القصيدِ
فيكِ شبَّ الشّبابُ، وشّحهُ السِّحرُ ... وشدوُ الهوى، وَعِطْرُ الورودِ
وتراءى الجمالُ، يَرْقُصَ رقصاً ... قُدُسيّاً، على أغاني الوجودِ
وتهادتْ في أفْقِ روحِكِ أوْزانُ ... الأغاني، وَرِقّةُ التّغريدِ[3]
فَتَمايلتِ في الوجود، كلحنٍ ... عبقريِّ الخيالِ حلوِ النَّشيدِ:
خطواتٌ، سكرانةٌ بالأناشيد، ... وصوتٌ، كَرَجْعِ ناي بعيدِ[4]
وَقوامٌ، يَكادُ يَنْطُقُ بالألحان ... في كلِّ وقفةٍ وقعودِ
كلُّ شيءٍ موقَّعٌ فيكِ، حتّى ... لَفْتَةُ الجيدِ، واهتزازُ النّهودِ[5]
أنتِ.. ، أنتِ الحياةُ في قدْسها السّامي، ... وفي سِحْرها الشّجيِّ الفريدِ[6]
أنتِ.. ، أنتِ الحياةُ، في رِقّةِ ... الفجرِ في رونقِ الرَّبيعِ الوليدِ
أنت.. ، أنتِ الحياةُ، كلَّ أوانٍ ... في رُواءٍ من الشّبابِ، جديدِ[7]
أنتِ.. ، أنتِ الحياةُ فيكِ وفي ... عينيْكِ آياتُ سحرها الممدودِ
أنتِ دنيا من الأناشيدِ والأحلامِ ... والسِّحرِ والخيالِ المديدِ

---

(١) المجرود: العاري.
(٢) المجدود: المحظوظ.
(٣) تهادَت: تمايلت.
(٤) الناي: من الآلات الموسيقية. رجْع الناي: يعني: صوته.
(٥) الجيْد: العنق.
(٦) الشجي: من الشجا، ويُقال: شجاه، أي أحزنه وطرّبه، وتعني هنا التطريب.
(٧) الرواء: حسن المنظر.

أنتِ فوقَ الخيالِ، والشِّعرِ، والفنِّ وفوْقَ النُّهى وفوقَ الحُدودِ
أنتِ قُدْسي، ومعبدي، وصباحي، وربيعي، وَنَشْوتي، وَخُلودي

* * *

يا ابنةَ النُّورِ، إنَّني أنا وحْدي من رأى فيكِ رَوْعَةَ المَعْبُودِ
فدعيني أعيشُ في ظِلِّكِ العذْبِ وفي قُرْبِ حُسْنِكِ المَشْهودِ
عيشةً للجمالِ والفنِّ والإلهام والطُّهرِ، والسَّنى، والسُّجودِ
عيشةَ النَّاسِكِ البَتولِ يُناجي الرَّبَّ في نَشْوَةِ الذُّهولِ الشَّديدِ(١)
وامنحيني السلامَ والفرحَ الرُّوحيَّ يا ضَوْءَ فجْريَ المنشودِ
وارحميني، فقد تهدَّمتُ في كونٍ من اليأسِ والظَّلامِ مَشيدِ
أنقذيني من الأسى، فَلَقَدْ أمْسَيْتُ لا أستطيعُ حملَ وجودي
في شِعَابِ الزَّمانِ والموت أمشي تحت عبءِ الحياة جَمِّ القيودِ(٢)
وأماشي الورَى ونفسي كالقبرِ، وقلبي كالعالمِ المهدُودِ:
ظُلْمةٌ، ما لها ختامٌ، وهولٌ شائعٌ في سكونها الممدودِ
وإذا ما اسْتخفَّني عَبَثُ النَّاسِ تبسَّمتُ في أسىً وجُمودِ
بَسْمَةً مرَّةً، كأنِّيَ أستلُّ من الشَّوكِ ذابلاتِ الورودِ(٣)
وانفخي في مَشَاعِري مَرَحَ الدُّنيا وشُدِّي مِنْ عزميَ المجهودِ
وابعثي في دمي الحَرَارةَ، علِّي أتغنَّى مع المنى مِنْ جَديدِ
وأبثُّ الوُجودَ أنغامَ قلبٍ بُلْبُليٍّ، مُكَبَّلٍ بالحديدِ
فالصَّباحُ الجميلُ يُنعِشُ بالدِّفْءِ حياةَ المحطَّمِ المكدودِ(٤)
أنقذيني، فقد سئمتُ ظلامي! أنقذيني، فَقَدْ مَلِلْتُ ركودي! (٥)

* * *

آه يا زهرتي الجميلةَ لو تدرينَ ما جدَّ في فؤادي الوحيدِ
في فؤادي الغريبِ تُخْلَقُ أكوانٌ من السِّحرِ ذاتُ حُسْنٍ فريدِ
وشموسٌ وضَّاءةٌ ونُجُومٌ تَنْثُرُ النُّورَ في فَضَاءٍ مديدِ

---

(١) البتون: المنقطع عن الدنيا، للعبادة، والمنقطع عن النساء، والمنقطعة عن الرجال.
(٢) جم: كثير.
(٣) أستلّ: أنتزع الشيء برفق.
(٤) المكدود: يعني المطرود طرداً شديداً، والمتعب.
(٥) الركود: الجمود.

وربيعٌ كأنّه حُلُمُ الشّاعرِ في سَكرة الشَّباب السَّعيدِ
ورياضٌ لا تعرف الحَلَك الدَّاجي ولا ثورةَ الخَريفِ العتيدِ[1]
وَطُيورٌ سِحْريَّةٌ تتناغى بأناشيدَ حلوةِ التَّغريدِ[2]
وقصورٌ كأنَّها الشَّفَقُ المخضُوبُ أو طلعةُ الصَّباحِ الوَليدِ[3]
وغيومٌ رَقيقَةٌ تتهادى كأباديدَ من نُثارِ الورودِ[4]
وحياةٌ شعريّةٌ هي عندي صُورةٌ مِنْ حَياةِ أَهْلِ الخلودِ
كلُّ هذا يَشِيدُهُ سِحْرُ عينيكِ وإلهامُ حُسْنِكِ المعبودِ
وحرامٌ عليكِ أنْ تهدمي ما شادهُ الحُسْنُ في الفؤاد العميدِ[5]
وحرامٌ عليكِ أنْ تسْحَقي آمالَ نفسٍ تصبو لِعَيشٍ رغيدِ[6]
منكِ ترجو سَعادةً لم تجِدْهَا في حياةِ الوَرى وَسِحْرِ الوجودِ[7]
فالإلهُ العظيمُ لا يَرْجُمُ العَبْدَ إذا كان في جَلال السُّجودِ

قلت للشِّعر[8]

[من الخفيف]

أنتَ يَا شِعْرُ، فلذةٌ مِنْ فؤادي تتَغنّى، وَقِطْعةٌ مِنْ وُجُودي[9]
فيكَ مَا في جوانحي مِنْ حَنينٍ أبديٍّ إلى صَميمِ الوُجودِ[10]
فيكَ مَا في خواطري من بكاءٍ فيك ما في عواطفي مِنْ نَشيدِ
فيكَ ما في مَشَاعري مِنْ وُجومٍ لا يُغَنّي، وَمِنْ سُرورٍ عَهِيدِ[11]

---

(١) الداجي: المظلم. العتيد: الحاضر المهيّأ.
(٢) تتناغى: تتدانى، وتتبارى. ونغى: تكلّم بكلام يُفهم.
(٣) المخضوب: الملوَّن، المصبوغ.
(٤) تتهادى: تتمايل. أباديد: أي متفرقة. نُثار الورود: الورد المنثور المتمزق.
(٥) الفؤاد العميد: القلب الذي هدَّه الشوق.
(٦) تصبو: تحن.
(٧) الورى: الخلْق.
(٨) نظمها في ١٣ جمادي الأولى ١٣٤٧ هـ/ ٢٨ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٨ م.
(٩) الفلذة من الفؤاد: القطعة منه.
(١٠) الجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة: جانحة.
(١١) الوجوم: العُبوس. عهيد: قديم عتيق.

فيكَ ما في عَوالمي مِنْ ظلامٍ   سرمديٍّ، وَمِنْ صَباحٍ وَليدِ [1]

فيكَ ما في عَوالمي من نجومٍ   ضاحكاتٍ خَلْفَ الغمامِ الشَّرُودِ

فيكَ ما في عَوالمي من ضَبابٍ   وَسَرابٍ، ويقظةٍ، وَهُجُودِ

فيكَ ما في طفولتي مِنْ سلامٍ،   وابتسامٍ، وغبطةٍ، وَسُعودِ

فيكَ ما في شبيبتي من حنينٍ،   وشجونٍ، وَبَهجةٍ، وَجُمودِ

فيكَ - إن عانق الرَّبيعُ فؤادي -   تتثنَّى سَنَابلي وَوُرُودي

ويغنِّي الصَّباحُ أنشودةَ الحبِّ،   على مَسْمَعِ الشَّبابِ السَّعيدِ

ثُمَّ أجْني في صَيْفِ أحلاميَ   السَّاحِرِ ما لَذَّ من ثمارِ الخُلودِ

فيك يبدو خريفُ نَفْسي مَلُولاً،   شَاحِبَ اللَّونِ، عاريَ الأُمْلُودِ [2]

حَلَّلته الحَياةُ بالحَزَنِ الدَّا   مي وَغَشَّتْهُ بالغيومِ السُّودِ

فيكَ يمشي شِتَاءُ أيامِيَ البا   كي، وتُرغي صَوَاعقي وَرُعُودي

وَتَجِفُّ الزُّهورُ في قلبي الدَّا   جي، وَتَهوِي إلى قرارٍ بعيدِ.. [3]

أنتَ يا شِعْرُ قصةٌ عَنْ حياتي   أنتَ يا شعرُ صورةٌ مِنْ وُجودي

أنت يا شِعْرُ قصةٌ عَنْ حياتي   أنتَ يا شعرُ صورةٌ مِنْ وُجودي

أنت يا شعرُ - إنْ فَرِحْتُ - أغاريدي   - وإنْ غنَّتِ الكآبةُ - عُودي

أنت يا شعرُ كأسُ خمرٍ عجيبٍ   أتلهَّى به خِلال اللُّحودِ..! [4]

أتحسَّاهُ في الصَّباحِ، لأنسى   ما تقضَّى في أمسيَ المَفْقُودِ [5]

وأناجيه في المساءِ، لِيُلْهِيَني   مَرآهُ عَنِ الصَّباحِ السَّعيدِ

أنت مَا نِلْتُ من كهوفِ اللَّيالي   وتصفَّحتُ مِنْ كتابِ الخُلودِ

فيك ما في الوجودِ مِنْ حَلَكٍ، دا   جٍ، وما فيه من ضياءٍ، بَعيدِ

فيك ما في الوجودِ من نَغَمٍ،   حُلْوٍ، وما فيه مِن ضَجيجٍ، شَديدِ

فيك ما في الوجودِ مِنْ جَبَلٍ، وَعْـ   ـرٍ، وما فيه من حَضِيضٍ، وَهِيدِ [6]

فيك ما في الوجود من حَسَكٍ، يُدْ   ـمِي، وما فيه مِن غَضِيضِ الوُرودِ [7]

---

(١) السرمدي: الدائم.
(٢) الأملود: الناعم الليّن.
(٣) الداجي: المظلم.
(٤) اللحود: جمع اللحد: القبر.
(٥) أتحسّاه: أشربه شيئاً بعد شيء.
(٦) الحضيض: القرار في الأرض. وهيد: من الوهدة: الأرض المنخفضة.
(٧) الحَسَك: الحقد والعداوة، وهو أيضاً نبات له شوك. الغضيض: الطري، والطَّلع الناعم.

فيك ما في الوجود.. ، حَبُّ بنو الأر ض قصيدي، أَمْ لَمْ يُحِبُّوا قَصيدي
فسواءٌ على الطُّيورِ ـ إذا غَـ نَتْ ـ هُتافُ السُّوُوم والمُسْتَعيدِ
وسواءٌ على النّجومِ ـ إذا لاحتْ ـ سكونُ الدُّجى وَقَصْفُ الرُّعودِ
وسواءٌ على النَّسيمِ أفي القفـ ـرِ تُغَنّي، أمْ بين غضِّ الوُرودِ
وسواءٌ على الورودِ، أفي الغيرا نِ فَاحَتْ، أم بين نَهْدٍ وَجِيدِ[1]

طريق الهاوية[2]

[من الخفيف]

يا عَذَارى الجمالِ، والحُبِّ، والأحلامِ، بَلْ يا بَهَاءَ هذا الوجودِ!
خُلِقَ البُلبلُ الجَميلُ ليشدو وَخُلِقْتُنَّ للغرامِ السَّعيدِ
والوُجودُ الرحيبُ كالقَبْرِ، لولا ما تُجَلِّينَ مِنْ قُطوبِ الوُجودِ[3]
والحياةُ التي تخرُّ لها الأَحْلامُ موتٌ مُثَقَّلٌ بالقُيودِ...
والشَّبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسعى إلى الموت في طريق كَؤُودِ..[4]
والرَّبيعُ الجميلُ في هاته الدُّنيا خريفٌ يُذْوِي رفيفَ الوُرودِ[5]
والوُرودُ العِذَابُ في ضفَّة الجَدول شَوْكٌ، مُصَفَّحٌ بالحديدِ...
والطُّيورُ التي تُغنّي، وتقضي عيْشَها في ترنُّمٍ وَغَريدِ؟
إنَّها في الوجودِ تشكو إلى الأيّام عِبءَ الحَياةِ بالتَّغريدِ..
والأَناشيدُ؟ إنَّها شَهَقَاتٌ تَتَشَظَّى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ عَميدِ..[6]
صُورَةٌ للوجودِ شوهاءُ، لولا شفقُ الحُسْنِ فوقَ تلكَ الخُدودِ

* * *

يا زهورَ الحياةِ، للحبُّ أنتنَّ ولكنَّهُ مخيفُ الورودِ
فَسَبِيلُ الغرامِ جَمُّ المهاوي وَافِرُ الهولِ، مُسْتَرابُ الصَّعيدِ[7]

(١) الغيران: جمع الغار: المطمئن من الأرض، أو كالبيت في الجبل. الجيد: العُنق.
(٢) نظمها في ٢٢ صفر ١٣٤٩ هـ / ١٩ جويلية ـ تموز ١٩٣٠ م.
(٣) الرحيب: الواسع. القُطوب: العبوس.
(٤) كؤود: شاق.
(٥) يذوي: يذبل. الرفيف: المتندي من الشجر وغيرها.
(٦) تتشظّى: تتفرق. العميد: الذي هدّه العِشق.
(٧) مستراب: مُريب. الصعيد: التراب.

رُغمَ ما فيه من جمالٍ، وفنٌّ عبقريٌّ، ما إنْ لَهُ مَزيدِ
وأناشيدَ، تُسْكِرُ الملأ الأعلى، وتُشْجي جَوانحَ الجلمُودِ[1]
وأريجٍ، يَكادُ يَذْهَبُ بالألباب ما بين غامضٍ وَشَديدِ[2]
وَسَبيلُ الحياةِ رحْبٌ، وأنتنّ اللواتي تَفْرُشْنَهُ بالوُرودِ
إن أردتُنَّ أن يكونَ بهيجاً رَائعَ السِّحْر، ذَا جمالٍ فريدِ
أو بشوكٍ، يُدمِي الفَضيلةَ والحُبَّ ويقضي على بهاءِ الوُجودِ
إنْ أردتُنَّ أنْ يكونَ شنيعاً، مُظْلِمَ الأفْقِ ميِّتَ التَّغريدِ

الجمال المنشود[3]

[من الخفيف]

يا عَذارى الجمالِ، والحُبِّ، والأحلامِ، بَلْ يَا بَهاءَ هذا الوُجُودِ
قد رأينا الشُّعُورَ مُنْسَدِلاتٍ كَلَّلَتْ حُسْنَها صباحُ الورودِ
وَرَأينا الجفونَ تَبْسِمُ.. أو تَحْلُمُ بالنُّورِ، بالهوى، بِالنَّشيدِ
وَرَأينا الخُدودَ، ضرّجَها السِّحْرُ، فآهاً مِنْ سِحْرِ تلكَ الخُدود
ورأينا الشِّفاهَ تَبْسِمُ عَنْ دنْيا من الوَردِ، غَضَّةٍ، أمْلُودِ[4]
ورأينا النُّهودَ تَهْتَزُّ، كالأزهارِ في نَشْوَةِ الشَّبابِ السَّعيدِ
فتنةً، تُوقِظُ الغَرامَ وَتُذْكيهِ، وَلكِنْ مَاذا وراءَ النُّهُودِ
ما الذي خَلْفَ سِحْرِها الحالمِ، السَّكرانِ، في ذلكَ القرارِ البعيدِ..
أنفُوسٌ جميلةٌ، كطيورِ الغابِ تَشْدو بِسَاحِرِ التَّغْرِيدِ
طاهراتٌ، كأنّها أرَجُ الأزهارِ في مَوْلِدِ الرَّبيعِ الجَديدِ؟
وقلوبٌ مضيئةٌ، كنُجومِ اللّيلِ ضَوّاعَةٌ، كَغَضِّ الوُرودِ[5]
أم ظَلامٌ، كأنَّهُ قِطَعُ اللّيلِ وَهَوْلٌ يُشيبُ قلبَ الوليدِ
وخِضَمٌّ، يَمُوج بالإثْمِ والنُّكْرِ، والشرِّ، والظّلالِ المَديدِ؟[6]

---

(١) تشجي: تحزن. جوانح: جوانب. الجلمود: الصخر.
(٢) الأريج: توهج ريح الطيب. الألباب: العقول، والقلوب، الواحد لُب.
(٣) نظمها في ٢٢ صفر ١٣٤٩ هـ / ١٩ جويلية ـ تموز ١٩٣٠ م.
(٤) غضّة: طرية. أملود: ناعمة لينة.
(٥) ضوّاعة: فوّاحة بالعطر.
(٦) الخضم: البحر. الإثم: الذّنب.

لـسـتُ أدري، فــرُبَّ زهـرٍ شـذيٍّ قـاتـلٌ رُغْـمَ حُـسْـنِـهِ المَشْـهُـودِ
صَـانَـكُـنَّ الإلـهُ مِـنْ ظُـلْـمَـةِ الـرُّوحِ وَمِـنْ ضَـلّـةِ الـضَّـمـيرِ المُـريـدِ
إنَّ لَـيـلَ الـنُّـفـوسِ لـيـلٌ مـريـعٌ سَـرْمَـديُّ الأسى، شـنـيـعُ الخُـلُودِ[1]
يـرزَحُ الـقَـلْـبُ فـيـه بـالألمِ المرِّ، ويَـشـقـى بـعـيـشِـهِ المَـنْـكُـودِ[2]
وَربـيـعُ الـشَّـبـابِ يُـذبِـلُهُ الـدَّهْـرُ، ويمضي بِـحُـسْـنِـهِ المَـعْـبُـودِ
غـيرُ بـاقٍ في الـكـونِ إلاّ جـمـالُ الـرُّوحِ غضّـاً عـلى الزَّمـانِ الأبيـدِ[3]

أحلام شاعر [4]

[من الخفيف]

لـيـتَ لي أنْ أعـيـشَ في هـذه الـدّنـيـا سَـعـيـداً بِـوَحْـدَتي وانـفـرادي
أصـرِفُ العُمْرَ في الجبالِ، وفي الغاباتِ بـيـنَ الـصَّـنـوبـرِ المـيَّـادِ[5]
ليسَ لي من شواغلِ العيشِ ما يصرف نَـفْـسِي عَـنِ اسـتـماعِ فـؤادي
أرْقُـبُ المـوتَ، والحـيـاةَ، وأصـغـي لحـديـثِ الآزالِ والآبـاد[6]
وأغـنِّي مـع الـبـلابـلِ في الـغـاب، وأُصْـغِـي إلى خـريـرِ الـوادي
وأنـاجي النُّجـومَ والفجـرَ، والأطيـارَ والـنَّـهـرِ، والـضِّـيـاءَ الهـادي
عِـيـشـةً لـلـجـمالِ، والـفـنّ، أبـغـيـهـا بـعـيـداً عَـنْ أمَّـتي وبـلادي
لا أُعَـنِّي نـفـسي بـأحْـزَانِ شـعـبـي فـهْـوَ حيٌّ، يـعيش عـيشَ الجمـادِ![7]
وبـحـسـبـي مِـنَ الأسى مـا بـنـفـسي مِنْ طَـريـفٍ مسْـتَـحْـدَثٍ، وتَـلاد[8]
وبـعـيـداً عـن المـديـنـةِ، والـنّـاسِ، بـعـيـداً عـن لَـغْـوِ تـلـك الـنَّـوادي[9]
فَهْـوَ من مَعْـدَنِ السُّخَـافـةِ والإفْـكِ ومـن ذلـك الهُـراء الـعـادي[10]

---

(١) مريع: مخيف. سرمدي: دائم.
(٢) يرزح: يسقط إعياءً. المنكود: الشديد، العسير.
(٣) الزمان الأبيد، أي الزمان الدائم.
(٤) نظمها في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٩ هـ/ ٤ أفريل ـ نيسان ١٩٣١ م.
(٥) الميّاد: الذي يميد، أي يتمايل، ويتبختر، ويتحرك.
(٦) الآزال: جمع الأزل أي القديم. والآباد: جمع الأبد: الدائم.
(٧) أعنّي: أتعب.
(٨) المال الطريف والطارف: الجديد المستحدث. والتلاد والتليد، أي: القديم الموروث.
(٩) اللغو من الكلام: ما لا يُلتفت إليه.
(١٠) الإفك: الكذب. الهُراء: الكلام الفاسد، كثير الخنا والخطأ.

أينَ هوْ مِنْ خريرِ ساقيةِ الوادي ... وخفْقِ الصَّدَى، وشدوِ الشَّادي
وَحَفيفِ الغصونِ، نمّقها الطَّلُّ ... وَهَمْسِ النّسيمِ للأوْراد؟(١)
هذهِ عيشةٌ تقدّسها نفسي ... وأدعُو لمجدها وأنادي

أيّتها الحالمة بين العواصف (٢)

[من الخفيف]

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ في الغابِ ... ولكنْ مَا بينَ شَوكٍ، ودودِ
والرياحينُ تحسَبُ الحسَكَ الشرِّيرَ ... والدُّودَ من صُنوفِ الورودِ (٣)
فافهمي النّاسَ..، إنّما النّاسُ خَلْقٌ ... مُفْسِدٌ في الوجودِ، غيرُ رشيدِ
وَدعِيهِمْ يحْيَوْنَ في ظُلْمةِ الإثْمِ ... وَعيشي في طُهْرِكِ المحمودِ
كالملاكِ البريءِ، كالوردة البيضاءِ، ... كالموجِ، في الخِضَمِّ البعيدِ (٤)
كأغاني الطُّيور، كالشَّفَقِ السَّاحرِ ... كالكوكبِ البعيدِ السّعيدِ
كثُلوجِ الجبال، يغمرُهَا النُّورُ ... وَتسمو على غُبارِ الصّعيدِ (٥)
أنتِ تحتَ السَّماءِ روحٌ جميلٌ ... صَاغَهُ اللّهُ من عَبيرِ الوُرودِ
وبنو الأرضِ كالقُرودِ، وما أضْـ ... ـيَعَ عِطرَ الورودِ بينَ القرودِ!
أنتِ من ريشةِ الإلهِ، فلا تُلْـ ... ـقِي بفنِّ السّما لجَهْلِ العبيدِ
أنتِ لم تُخْلَقي ليقْرَبَكِ النّاسُ ... ولكنْ لتُعْبَدي مِنْ بعيدِ...

قال قلبي للاله (٦)

[من الخفيف]

في جبالِ الهمومِ، أنبتُّ أغصاني ... فَرَفّتْ بينَ الصُّخورِ بِجُهْدِ
وَتغشّاني الضّبابُ..، فأورقتُ ... وأزْهرتُ للعَواصِفِ، وَحْدِي

---

(١) الطل: الندى.
(٢) نظمها في ١٥ شوّال ١٣٥١ هـ/ ١١ فيفري ـ شباط ١٩٣٣ م.
(٣) الحَسَك: الحقد والعداوة، ونبات له شوك.
(٤) الخِضم: البحر.
(٥) الصعيد: التراب.
(٦) غير مؤرّخة.

وتمــايــلتُ فِي الــظَّلامِ، وَعَــطَّرتُ   فَــضَــاءَ الأسى بــأنــفــاسِ وَردِي
وبمــجــدِ الحيــاةِ، والــشــوقِ غنَّيْتُ. . ،   فــلم تــفــهــمِ الأعَــاصــيرُ قَــصْــدِي
ورَمَــتْ لــلوهــادِ أفــنــانِيَ الخضْرَ،   وظَــلّتْ في الــثَّــلْجِ تحــفــر لَحْــدِي [1]
ومَــضتْ بــالــشّــذى فَقُلْتُ: «ستبني   في مــروجِ الــسَّــماءِ بــالعِــطْر مَجْــدي»
«وَتَــغَــزَّلْتُ بــالــرَّبــيــعِ، وبــالــفــجــرِ   فَــماذا ســتــفــعــلُ الــرِّيــحُ بــعــدي»

(١) الوهاد: الحُفر، والواحدة وهدة. الأفنان: الأغصان. قوله: رمت.. يعني أنّ المصائب حطمته. اللحد: القبر.

قافية الرّاء

إرادة الحياة[1]

[من المتقارب]

إذا الشَّعْبُ يوماً أرادَ الحياةَ فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القدرْ[2]
ولا بُدَّ للَّيْلِ أنْ ينجلي ولا بُدَّ للقيدِ أن يَنْكَسِرْ
وَمَنْ لم يعانقْهُ شَوْقُ الحياةِ تَبَخَّرَ في جَوِّها، واندَثَرْ[3]
فويلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْهُ الحياةُ مِن صَفْعَةِ العَدَمِ المنتصرْ[4]
كذلك قالتْ ليَ الكائناتُ وحدَّثَني رُوحُها المُستَتِرْ

* * *

وَدَمْدَمَتِ الرِّيحُ بين الفِجاجِ وفوقَ الجبالِ وَتحتَ الشَّجرْ:[5]
«إذا ما طَمَحْتُ إلى غايةٍ رَكِبْتُ المنى، وَنَسِيتُ الحَذَرْ»
«ولم أتجنَّبْ وُعُورَ الشِّعابِ ولا كُبَّةَ اللَّهَبِ المُستَعِرْ»[6]
«وَمَنْ لا يحبُّ صُعُودَ الجبالِ يَعِشْ أبَدَ الدَّهرِ بينَ الحُفَرْ»[7]
فَعَجَّتْ بقلبي دماءُ الشَّبابِ وضجَّت بصدري رياحٌ أُخَرْ...[8]

---

(١) نظمها في ٢٦ جمادي الأولى ١٣٥٢ هـ/ ١٦ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣٣ م.
(٢) لا يفعل الشعب شيئاً إلاّ بقضاء الله وقدره، فالحذر!
(٣) اندثر: زال من الوجود.
(٤) صفعة: ضرب قفاه بجمع كفّه لا شديداً. ولكن الشاعر أطلق معناها.
(٥) الدَّمدَمة: الغضب، دمدم عليه: كلمة مُغضَباً. الفِجاج: جمع الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.
(٦) الشِّعاب: جمع الشعبة: ما عظُم من سواقي الأودية، وصُدع في الجبل يأوي إليه المطر.
الكُبّة: الدفعة في القتال والجري.
(٧) أبد الدهر، أي: على الدوام.
(٨) عجّ: صاح وارتفع صوته. عجّت الريح اشتدت فأثارت الغبار. ويريد بأن دماءه تحركت.

واطـرقـتُ، أصغي لقصـفِ الـرُّعـودِ وعـزفِ الـرِّيـاحِ، وَوَقْـعِ المَـطَرْ[1]

***

وَقَـالَـتْ ليَ الأرضُ ـ لمـا سـألـتُ: أيـا أمُّ هـل تـكـرهـينَ الـبَشَرْ؟:
«أُبـاركُ في الـنّـاسِ أهـلَ الـطُّمـوحِ ومَـنْ يَـسْتَـلِذُّ ركـوبَ الخـطرْ»
«وألْـعـنُ مَـنْ لا يُمـاشي الـزَّمـانَ، ويـقـنـعُ بـالـعـيْشِ عـيشِ الحجـرْ»
«هـو الـكـونُ حـيٌّ، يحـبُّ الحـيـاةَ ويحـتـقـرُ المـيْـتَ، مَـهْـمَا كَـبُرْ»
«فـلا الأفُقُ يحضُنُ ميتَ الـطُّيـورِ، ولا الـنَّحْـلُ يـلـثِمُ مـيْـتَ الـزَّهَـرْ»
«ولـولا أمُـومـةُ قـلبـي الـرَّؤومُ لَمـا ضـمَّتِ المـيْـتَ تـلكَ الحُـفَـرْ»[2]
«فـويـلٌ لِمَـنْ لم تَـشُـقْـهُ الحَـيـاةُ، مِـنْ لـعـنـةِ الـعَـدَمِ المـنـتـصرْ!»

***

وفي لـيـلـةٍ مـن لـيـالي الخـريـفِ مـثـقَّـلـةٍ بـالاسى والـضَّجَـرْ
سَـكِـرْتُ بهـا من ضـيـاءِ الـنُّجـومِ وغـنَّـيْـتُ لـلحُـزْنِ حـتَّى سَـكِـرْ
سـألْتُ الـدُّجى: هـل تُـعـيدُ الحيـاةُ لمـا أذبـلـتـه ربـيـعَ الـعُـمُـرْ؟
فـلم تَـتَـكَـلَّم شِـفَـاهُ الـظَّلامِ ولم تـتـرنَّـمْ عَـذَارى الـسَّـحَـرْ
وقـال ليَ الـغـابُ في رقَّـةٍ محـبَّـبَـةٍ مِـثْـلَ خـفْـقِ الـوتَـرْ:
«يجيءُ الـشِّـتـاءُ، شـتـاءُ الـضَّبـابِ، شـتـاءُ الـثُّـلوجِ، شـتـاءُ المـطرْ»
«فينـطفىء السِّحْرُ، سحْـرُ الغُصـونِ، وسـحْـرُ الـزُّهـورِ، وسحْـرُ الـثَّمَـرْ»
«وسِحْـرُ الـسَّماءِ الـشَّجيُّ الـوديـعُ، وسِحْـرُ المـروجِ، الـشهـيُّ الـعَـطِرْ»
«وتَهـوِي الـغُـصـونُ، وأوراقُـهَـا، وأزهـارُ عـهـدٍ حـبـيـبٍ نَضِرْ»[3]
«وتـلهـو بهـا الـرِّيـح في كُـلِّ وادٍ، ويـدفـنهـا الـسَّـيـلُ، أنَّى عَـبَرْ»
«ويـفـنى الجـمـيـعُ كـحلْمٍ بـديـعٍ، تـألَّـقَ في مُـهـجـةٍ وانـدَثَـرْ»[4]
«وتـبـقَـى الـبُـذورُ، الـتي حُمِّـلَتْ ذخـيـرةَ عُـمْـرٍ جمـيـلٍ، غَـبَرْ»
«وذكـرى فـصـولٍ، ورؤيـا حَـيـاةٍ، وأشـبـاحَ دنـيـا، تـلاشـتْ زُمَـرْ»

---

(١) أطرقتُ: سكتت ولم أتكلم، وأرخيت عيني انظر إلى الأرض.
(٢) الرؤوم: العطوف.
(٣) النَّضير: الحسن، والناعم.
(٤) المهجة: الدم، أو الروح. اندثر: زال وامّحى.

«مِعانِقَةً - وَهْي تحت الضَّباب، وتَحْتَ الثُّلوجِ، وتحتَ المَدَرْ»[1]
«لِطَيْفِ الحياة الذي لا يُمَلُّ، وقلبِ الرَّبيعِ الشذيِّ الخضِرْ»[2]
«وَحَالِمَةً بأغاني الطُّيورِ، وعِطْرِ الزُّهور، وَطَعْمِ الثَّمَرْ»

* * *

«ويمشي الزَّمانُ، فتنمو صروفٌ، وتذوي صروفٌ، وتحيا أُخرْ»[3]
«وتُصبِحُ أحلامُها يقظةً، مُوَشَّحةً بغموضِ السَّحَرْ»
«تُسَائِلُ: أينَ ضَبابُ الصَّباحِ؟ وسِحْرُ المَساءِ؟ وضوءُ القَمَرْ؟»
«وأسرابُ ذاكَ الفَراشِ الأنيقِ؟ وَنَحْلٌ يغنِّي، وغيمٌ يَمُرْ؟»
«وأينَ الأشعَّةُ والكائناتُ؟ وأينَ الحياةُ التي أَنْتَظِرْ؟»
«ظمِئْتُ إلى النُّور، فوق الغصونِ! ظَمِئْتُ إلى الظِّلِّ تحت الشَّجَرْ!»
«ظَمِئْتُ إلى النَّبْعِ، بين المروجِ، يغنِّي، ويرقصُ فوقَ الزَّهَرْ!»
ظمئتُ إلى نَغَماتِ الطُّيورِ، وهَمْسِ النَّسيمِ، ولحنِ المَطَرْ،»
«ظمئتُ إلى الكونِ! أين الوجودُ وأنَّى أرى العالَمَ المنتظَرْ؟
«هو الكونُ، خلف سُبَاتِ الجُمودِ، وفي أُفُقِ اليَقَظاتِ الكُبَرْ»[4]
«وما هو إلَّا كَخَفْقِ الجناحِ حتَّى نما شوقُها وانتصرْ»
«فصدَّعَتِ الأرضُ من فوقِها وأبصرتِ الكَوْنَ عذبَ الصُّوَرْ»
«وجاء الرَّبيعُ، بأنغامِهِ، وأحلامِهِ، وصِباهُ العَطِرْ»
«وقبَّلها قُبَلاً في الشِّفاه، تُعيدُ الشَّبابَ الذي قد غَبَرْ»[5]
«وقال لها: قد مُنِحْتِ الحياةَ، وخُلِّدْتِ في نَسْلِكِ المدَّخَرْ»
«وباركَكِ النُّورُ، فاستقبلي شَبَابَ الحياةِ وخِصْبَ العُمُرْ»
«ومن تَعْبُدُ النُّورَ أحلامُه، يُبَارِكُهُ النُّورُ أنَّى ظَهَرْ»
«إليكِ الفَضَاءَ، إليكِ الضياءَ، إليكِ الثَّرى، الحالِمَ، المزدهِرْ!»[6]
«إليكِ الجمالَ الذي لا يَبيدُ! إليكِ الوجودَ، الرَّحيبَ، النَّضِرْ!»[7]

---

(١) المدر: قطع الطيف اليابس.
(٢) الطَّيف: الخيال الطائف في المنام.
(٣) الصروف من الدهر: حِدثانه، ونوائبه.
(٤) السبات: النوم، والراحة.
(٥) غبر: ذهب، وغبر أيضاً مكث، ضد.
(٦) الثرى: الندى، والتراب الندي.
(٧) يبيد: يذهب وينقطع. الرحيب: الواسع.

«فميـدي ـ كـما شئتِ ـ فـوق الحقولِ، بِـحُـلْوِ الـثّـمـارِ وغضِّ الـزّهَـرْ[1]
«ونـاجي النّسيـمَ، ونـاجي الـغيـومَ، ونـاجي النجـومَ، ونـاجي الـقـمَـرْ»
«ونـاجـي الحـيـاةَ وأشـواقَـهـا، وفـتـنـةَ هـذا الـوجـودِ الأغـرْ»[2]

* * *

«وشـفَّ الـدُّجى عـن جمـالٍ عـميقٍ، يُشِبُّ الخيـالَ، ويُـذكي الفِـكَـرْ»[3]
«ومُـدَّ عـلى الـكـونِ سِحْـرٌ غـريبٌ، يـصـرِّفُـهُ سـاحـرٌ مـقـتـدِرْ»[4]
«وضـاءَتْ شمـوعُ النُّجـومِ الوِضَـاءِ، وضَـاعَ البَـخُـورُ، بَـخُـورُ الـزّهَـرْ»
«ورَفْـرَفَ روحٌ، غـريـبُ الجـمال بـأجـنـحـةٍ مـن ضـيـاءِ الـقَـمَـرْ»
«ورَنَّ نـشـيـدُ الحـيـاةِ المـقـدّسُ في هـيـكـلٍ، حـالمٍ، قـد سُـحِـرْ»
«وأعْـلِنَ في الـكـونِ: أنَّ الـطمـوحَ لـهـيـبُ الحـيـاةِ، ورُوحُ الـظّفَـرْ»
«إذا طَـمَـحَـتْ لـلحـيـاةِ الـنُّـفـوسُ فـلا بُـدَّ أنْ يـسـتـجـيـبَ الـقَـدَرْ!»

إيّاك [5]

[مجزوء الكامل]

إيّـاكَ والـتـحـديـق مِـنْ خِـلَلِ الـبراقـع لـلحَـوَرْ[6]
وتـطاول الأعـنـاق نـحـو جـمـال رَبَّـاتِ الخـفَـرْ[7]
فـالحـب في طـغـيـانـه كـالسَّـيْـل إمَّـا يـنـهـمـرْ
فـلـقـد حَـسَـوْتُ زُعـافَـه وخَـبَـرتُ مـنـه المـسـتـترْ[8]

---

(١) الغضّ: الطري. ماد يميد: تحرّك، واضطرب.
(٢) الأغر: الأبيض.
(٣) الدجى: الظلام. شفّ: كشف. يذكي: يشعل. يُشب: إذا شبّ ولده.
(٤) يصرّفه: يتصرف به، يقلّبه، يحوله من وجه إلى وجه.
(٥) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».
(٦) البراقع: جمع البُرقع: غطاء للوجه. الحَوَر: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها.
(٧) ربّات الخفر: كناية عن النساء.
(٨) الزّعاف: السم.

الجنّة الضّائعة[1]

[مجزوء الكامل]

كَـمْ مـن عُـهـودٍ عـذبـةٍ ... في عَـدْوَةِ الـوَادي الـنَّـضـيرْ[2]
فِـضِّـيَّـةِ الأَسْـحَـارِ مُـذْ ... هَـبَـةِ الأَصَـائـلِ والبُـكُـورْ[3]
كـانـت أرقُّ مـن الـزُّهـو ... رِ، وَمِـنْ أغـاريـدِ الـطُّيـورْ
والـذُّ مـن سِـحْـرِ الـصِّبـا ... في بَسْمـة الـطِّفـلِ الغَـريـرْ[4]
قَـضَّـيْـتُـهَـا ومعي الحبيبـةُ لا ... رقـيـبَ ولا نَـذيـرْ
إلّا الـطُّفـولـةَ حـولـنـا ... تـلـهـو مَـعَ الحُـبِّ الـصَّـغيـرْ
أيّـامَ كـانـتْ لـلحَـيـا ... ةِ حَـلاوةُ الـرّوضِ المَـطيرْ
وَطَـهَـارةُ المـوجِ الجَـمـيـ ... ـلِ، وسِـحْـرُ شَـاطئـهِ المُـنـيرْ
وَوَداعـةُ الـعُـصـفـورِ، بـيـ ... ـنَ جـداولِ المـاءِ الـنَّـمـيرْ[5]
أيّـامَ لم نَـعْـرِفْ مـنَ الـدُّ ... نـيـا سـوى مَـرَحِ السُّرورْ
وتَـتَـبُّـعِ الـنَّـحْـلِ الأنـيـ ... ـقِ وقَـطْفِ تِـيـجـانِ الـزُّهـورْ
وَتَـسَـلُّقِ الجـبـلِ المُـكَـلَّـ ... ـلِ بـالـصَّـنَـوْبَـرِ والـصُّخـورْ
وبِـنـاءِ أكـواخِ الـطُّفـو ... لـةِ تَحْـتَ أعـشـاشِ الـطُّيـورْ
مـسـقـوفـةً بـالـوَرد، والـ ... أعْـشَـابِ، والـوَرَقِ الـنَّـضِـيرْ
نـبـني، فـتـهـدمُـهـا الـرِّيـا ... حُ، فـلا نـضـجُّ ولا نَـثُـورْ
ونـعـودُ نَـضْـحَـكُ لـلمـرو ... جِ، ولـلزّنـابـقِ، والـغَـديـرْ
ونـخَـاطـبُ الأصـداءَ، وهْـ ... ـي تـرِفُّ في الـوادي المُـنـيرْ[6]
ونـعـيـدُ أغـنـيـةَ الـسَّـواقـي، ... وهْـي تَـلْـغـو بـالخَـريـرْ[7]
ونَـظَـلُّ نَـرْكُـضُ خَـلْـفَ أسـ ... ـرابِ الـفَـراشِ المُـسْـتَـطيرْ
وَنَمُـرُّ مـا بـيـنَ المـرو ... جِ الخُضْرِ، في سكـرِ الـشُّعـورْ

---

(1) نظمها في ١٢ رمضان ١٣٥١ هـ/ ٩ جانفي ـ كانون الثاني ١٩٣٣ م.
(2) عدوة الوادي: شاطئه.
(3) الأصائل: جمع الأصيل وهو وقت ما قبل الغروب.
(4) الغرير: الصغير لا تجربة له.
(5) الماء النّمير: الزاكي، والناجع عذباً كان أو غير عذب.
(6) الأصداء: جمع الصّدى: طائر الليل يقفز قفزاناً.
(7) تلغو: تتكلم، وتتكلم بما لا يُعتد به.

نشدو، ونرقصُ - كالبلا   بلِ - للحياةِ، وللحُبورْ(1)
ونَظَلُّ ننثُرُ للفضا   ءِ الرَّحْبِ، والنَّهرِ الكَبيرْ
ما في فؤادينا مِنَ الأ   حْلامِ، أو حُلْوِ الغرورْ
ونَشِيدُ في الأُفُقِ المخ   ضَّبِ مِنْ أمانينا قُصورْ(2)
أزهى من الشَّفَقِ الجمي   لِ، ورونقِ المرْجِ الخَضيرْ
وأجلَّ من هذا الوجو   دِ، وكلِّ أمجادِ الدُّهورْ
أبداً، تُدلِّلُها الحيا   ةُ بكلِّ أنواعِ السُّرورْ
وَتَبُثُّ فينا من مرا   حِ الكَون ما يُغوي الوَقُورْ(3)
فنسيرُ، نَنْشُدُ لهوَنا   المعبودَ - في كلِّ الأمورْ
ونَظَلُّ نعبثُ بالجلي   لِ مِنَ الوُجودِ، وبالحقيرْ:
- بالسّائلِ الأعمى وبال   معتوهِ، والشَّيخِ الكَبيرْ
بالقطَّةِ البيضاءِ، بالشَّ   اةِ الوديعةِ، بالحميرْ
بالعُشبِ، بالفَنَنِ المنوَّ   رِ، بالسَّنابلِ، بالسَّفيرْ(4)
بالرَّمْلِ، بالصَّخْرِ المحطَّ   مِ، بالجداولِ، بالغديرْ
واللَّهوُ، والعَبَثُ البري   ءُ، الحلوُ، مطمحُنا الأخيرْ
ونَظَلُّ نقفزُ، أو نُثَرْ   ثِرُ، أو نغنِّي، أو نَدُور
لا نَسْأمُ اللَّهْوَ الجمي   لَ، وليس يُدْرِكُنا الفُتُورْ
فكأنَّنا نحيا بأعْ   صابٍ مِنَ المَرَحِ المُثِيرْ
وكأنَّنا نمشي بأقْ   دامٍ مجنَّحةٍ، تَطيرْ
أيام كنا لبَّ هـ   ذا الكون والباقي قشور(5)
أيَّام تفرشُ سُبْلَنا الدُّ   نيا بأوراقِ الزُّهورْ
وتمرُّ أيّامُ الحيا   ةِ بنا، كأسْرابِ الطُّيورْ
بيضاءَ لاعبةً، مُغَرْ   رِدةً مجنَّحةً بِنُورْ
وتُرَفْرِفُ الأفراحُ فو   قَ رؤوسنا أنَّى نَسيرْ.

---

(١) الحبور: السرور.
(٢) المخضّب: المصطبغ، الملوّن.
(٣) تبث: تبعث. المِراح: النشاط والبطر والتبختر. يغوي: يضل.
(٤) الفنن: الغصن. المنوَّر: المزهر.
(٥) اللب: القلب، والعقل.

آهِ، تواری فَجْرِيَ الـ ... قُدْسيُّ في ليلِ الدُّهورْ[1]
وَفَنِى، كما يفنَى النَّشِيـ ... ـدُ الحلْوُ في صَمْتِ الأثيرْ[2]
أوّاهُ، قدْ ضاعتْ عليَّ ... سَعَادةُ القَلبِ الغَريرْ
وبقيتُ في وادي الزَّما ... نِ الجهْمِ أدأبُ في المسيرْ[3]
وأدوسُ أشواكَ الحياةِ ... بقلبيَ الدّامي الكَسيرْ
وأرى الأبَاطيلَ الكثيـ ... ـرةَ، والمآثمَ، والشُّرورْ[4]
وَتَصَادُمَ الأهواءِ بالـ ... أهواءِ في كلِّ الأمورْ
ومذلّةَ الحقِّ الضَّعيـ ... ـفِ، وَعِزَّةَ الظُّلْمِ القَديرْ!
وأرى ابنَ آدمَ سائراً ... في رحْلَةِ العُمُرِ القَصِيرْ
ما بينَ أهوالِ الوجو ... دِ، وتحتَ أعباءِ الضَّميرْ
مُتَسَلِّقاً جَبَلَ الحياةِ ... الوعْرِ، كالشَّيْخِ الضَّريرْ
دامي الأكُفِّ، ممزَّقَ الأ ... قْدَامِ، مُغْبَرَّ الشُّعورْ
مترنِّحَ الخطواتِ ما ... بينَ المَزالقِ والصُّخورْ
هالتْهُ أشْبَاحُ الظَّلا ... مِ، وَرَاعَهُ صوتُ القُبورْ[5]
ودويُّ إعْصَارِ الأسى، ... والموتُ، في تلكَ الوُعورْ

* * *

ماذا جنيتُ من الحياة ... ومن تجاريبِ الدُّهورْ
غيرَ الندامةِ والأسى ... واليأسِ والدَّمعِ الغزيرْ؟
هذا حَصادي من حقو ... لِ العالَمِ الرحبِ الخطير
هذا حَصادي كلُّهُ، ... في يقظةِ العَهْدِ الأخيرْ

* * *

قد كنتُ في زمنِ الطُّفو ... لةِ، والسَّذاجةِ، والطُّهورْ
أحيا كما تحيا البَلا ... بلُ، والجداولُ، والزُّهورْ

---

(١) تواری: احتجب. ونسبة الفجر إلى نفسه يرمز بها إلى أيام الفرح.
(٢) الأثير: الفضاء الواسع.
(٣) أدأبُ: أجهد. الجهم: العابس.
(٤) المآثم: الذنوب. يصور الشابي مأساته مع آفات عصره، الظلم. وتحكم القوي بالضعيف، والباطل وصراعه مع الحق ويلفت إلى انتشار الشرور.
(٥) هالته: أفزعته.

لا نَحْفَلُ، الدنيا تدو ر بأهلها، أو لا تَدُورْ[1]
واليومَ أحْيا مُرْهَقَ الـ أعْصابِ، مَشْبُوبَ الشُّعورْ[2]
متأجِّجَ الإحْساسِ، أحـ ـفلُ بالعَظيمِ، وبالحقيرْ
تمشي على قلبي الحياةُ، ويزحَفُ الكونُ الكبيرْ
هذا مصيري، يا بني أمّي، فما أشقى المصيرْ![3]

مأتم الحبّ[4]

[من مجزوء الرّمل]

لَيتَ شِعْري!
أيُّ طَيْرْ
يَسْمَعُ الأحْزانَ تَبْكِي بَيْنَ أعْماقِ القُلُوبْ
ثُمَّ لا يَهْتِفُ فِي الفَجْرِ، بِرَنَّاتِ النَّحِيبْ[5]
بِخُشُوعٍ، واكتِئابْ؟

* * *

لَسْتُ أدري
أيُّ أمْرْ
أخْرَسَ العُصْفُورَ عنِّي، أتُرى ماتَ الشُّعُورْ
فِي جَمِيعِ الكَوْنِ، حَتَّى فِي حُشَاشَاتِ الطُّيُورْ؟[6]
أمْ بَكَى خَلْفَ السَّحابْ؟

* * *

فِي الدَّيَاجي
كَمْ أُنَاجِي

(١) لا نحفل: لا نبالي.
(٢) مشبوب: مُوقد.
(٣) قوله: يا بني أمي، يعني يا أبناء الأرض، أي البشر.
(٤) نظمها في ٢٣ محرم ١٣٤٥ هـ/ ٣ أوت ـ آب ١٩٢٧ م.
(٥) النحيب: البكاء الشديد.
(٦) حشاشات: جمع حُشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

مَسْمَعَ القَبْرِ، بِغَصَّاتِ نَحِيبي، وَشُجُوني[1]
ثُمَّ أُصْغِي، عَلَّنِي أَسْمَعُ ترديدَ أَنِيني
فأرى صَوْتي فَرِيدْ!

* * *

فأُنادي:
«يَا فُؤادي»
«مَاتَ مَنْ تَهْوَى! وَهَذا اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الحَبيبْ»[2]
«فَابْكِ يَا قَلْبُ بِمَا فِيكَ مِنَ الحُزْنِ المُذِيبْ»
«إبكِ يَا قَلْبُ، وَحِيدْ!»

* * *

ذُلَّ قَلْبِي،
مَاتَ حُبِّي!
فَاذْرُفِي يَا مُقْلَةَ اللَّيْلِ، الدَّرَارِي عَبَرَاتْ[3]
حَوْلَ حِبِّي، فَهْوَ قَدْ وَدَّعَ آفَاقَ الحَيَاةْ
بَعْدَ أَنْ ذَاقَ اللَّهِيبْ

* * *

وَانْدُبِيهُ،
وَاغْسِلِيهُ،
بِدُمُوعِ الفَجْرِ، مِنْ أكوابِ زَهْرِ الزَّنْبَقِ
وَادْفِنِيهِ بِجَلالٍ، في ضِفَافِ الشَّفَقِ
لِيَرى رُوحَ الحَبيبْ

* * *

---

(١) الدياجي: الحنادس، وكأنه جمع دَيْجاة: ظُلمة. الشجون: الأحزان.
(٢) اللحد: القبر.
(٣) مقلة الليل، يعني عينه الساهرة. الدراري: جمع الدُّرَّة: اللؤلؤة العظيمة ويعني بالدراري الدموع تشبيهاً.

النَّجوى[1]

[من مجزوء الرّمل]

قِفْ قَلِيلاً، أَيُّهَا السَّارِي القَمَرا! واصْطَبِرْ[2]

يَا سَمِيري! فِي أُوَيْقَاتِ الكَدَرْ والضَّجَرْ[3]

واسقِنِي مِنْ جَدْوَلِ النُّورِ البَدِيعِ قَدَحَا

عَلَّنِي أَفْهَمَ هَيْنُومَ الرَّبِيعْ إِنْ صَحَا[4]

كَمْ فُؤَادٍ إِذْ تَوَلَّتْهُ الشُّجُونْ والهمومْ

بَثَّ أَسْلاَكَكَ، وَالدَّمْعُ هَتُونْ ما يرومْ[5]

إِنْ تَكُنْ تَضْحَكُ سُخْراً بِالبَشَرْ يَا قَمَرْ!

فَلَكَمْ أَحْزَنَكَ الدَّهْرُ الخَطِرْ بالنُّكُرْ[6]

أَيُّهَا القَامُوسُ يَا صَوْتَ الحَيَاةْ! وَصَدَاهَا[7]

وَأَغَانِيهَا العِذَابَ الشَّادِيَاتْ وَنَدَاهَا

مَا لِأَمْوَاجِكَ يُطْغِيهَا الغُرُورْ فَتَثُورْ

ثُمَّ تَأْوِي نَحْوَ هَاتِيكَ الصُّخُورْ كَالكَسِيرْ؟[8]

أَتُرَاهَا تَذْكُرُ الأَمْسَ الجَمِيلْ وَسَلاَمَهْ

فَتُحَيِّي ذَلِكَ المَجْدَ النَّبِيلْ بِابْتِسَامَهْ

وَتُغَنِّي، ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ تَحْتَوِيهَا

لَوْعَةُ اليَوْمِ، فَتَبْكِي وَتَئِنُّ لِشَقَاهَا[9]

---

(١) نظمها في ٨ رمضان ١٣٤٣ هـ/ ٢ أفريل ـ نيسان ١٩٢٥ م.

(٢) الساري: الذي يسير ليلاً، وأراد القمر.

(٣) السمير: الذي يسمر أي يسهر الليل ولا ينام. الكَدَر: نقيض الصفاء.

(٤) الهينوم: الكلام الذي لا يُفهم.

(٥) بُث: نشر. هتون، أي ينصب.

(٦) النُّكر: المنكر، والأمر الشديد.

(٧) القاموس: البحر. الصَّدى: ما يسمعه المصوِّت في الوادي أو غيره.

(٨) الكسير، أي المكسور.

(٩) فتبكي وتئن، يعني الأمواج، مجازاً.

الصَّيْحَة [1]

[من المنسرح]

يَا قَوْمُ! عَيْنِيَ شَامَتْ ... لِلْجَهْلِ فِي الجَوِّ نَارا[2]
تَتْلُو سَحَاباً رُكَاماً ... يَتْلُو قَتَاماً مُثَارا[3]
يُثِيرُ فِي الأَرْضِ رِيحاً ... يُهِيجُ فِيهَا غُبَارَا
تُلْفِي الشَّدِيدَ صَرِيعاً! ... تُبْقِي الأَدِيبَ حِمَارا[4]
مِنْهَا الفَضَاءُ ظَلاَمٌ! ... وَالنَّاسُ مِنْهَا سُكَارى
قَدْ أَوْرَثَتْهُمْ دُوَاراً ... وَأَعْقَبَتْهُمْ خُمَارا[5]
لَا يَعْرِفُ المَرْءُ مِنْهَا ... لَيْلاً رَأَى أَمْ نَهَارا
يَخَالُ كُلَّ خَيَالٍ ... سَرَى، تَسَرْبَلَ فَارا[6]

* * *

يَا قَوْمُ سِرْتُمْ حَثِيثاً ... خُطىً وَرَاءً، كِبَارا[7]
نَبَذْتُمُ العِلْمَ نَبْذَ الـ ... ـنُّوَى قِلىً، وَصَغَارا[8]
لَبِسْتُمُ الجَهْلَ ثَوْباً ... اتَّخَذْتُمُوهُ شِعَارا
يَا قَوْمُ مَا لِي أَرَاكُمْ ... قَطَنْتُمُ الجَهْلَ دَارا؟
أَضَعْتُمُ مَجْدَ قَوْمٍ ... شَادُوا الحَيَاةَ فَخَارا
أَبْقَوا سَمَاءَ المَعَالِي ... بِمَا أَضَاءُوا مَنَارا
حَاكُوا لَكُمْ ثَوْبَ عِزٍّ ... خَلَعْتُمُوهُ احتِقَارا
ثم ارتديتمْ .... لَبُوسَ خِزْيٍ، وَعَارا[9]

* * *

(١) نظمها في ٢١ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ/ ١٣ جوان ـ حزيران ١٩٢٥ م.
(٢) شامت: نظرت.
(٣) السحاب الركام: المتراكم من السحاب. القتام: الغبار.
(٤) تلفي: تجد.
(٥) الخُمار: الخمرة، أو ما خالط من سكرها.
(٦) يخال: يحسب، يظن. سرى: سار ليلاً. تسربل: لبس.
(٧) قوله: خطىً وراء يعني التراجع بنبذهم للعلم. حثيث: سريع.
(٨) القِلى: البغض. الصغار: الاحتقار. النوى: البُعد.
(٩) لبوس خِزي: لباس العار.

يَـا لَـيْـتَ قَـوْمِـي أَصَـاخُـوا لِمَـا أَقُـولُ جِـهَـارا
يَـا شِـعْـرُ! أَسْمَـعْتَ لـكِـنْ قَـوْمِـي أَراهُـمْ سُـكَـارى
فَـلا تُـبـالِ إذَا مَـا أَعْـطَوا نِـدَاكَ ازْوِرَارا[1]
واصبِرْ عَـلَى مَـا تُـلاقـي وَاصْدَعْ، وُقِيتَ العِثَارا[2]

شكوى ضائعة[3]

[من البسيط]

يَـا ليلُ! مـا تصنعُ النَّفسُ التي سَكَنتْ هـذا الـوجـودَ، ومِنْ أعـدائهـا القَـدَرُ؟
تَـرضى وَتَسْكُتُ؟ هـذا غـيرُ محتَمَـلٍ! إذاً، فهـل تـرفُضُ الـدُّنيـا، وتنتحـرُ؟
وَذَا جـنـونٌ، لَـعَـمْـرِي، كُـلُّهُ جَـزَعٌ بـاكٍ، ورأيٌ مـريضٌ، كُـلُّه خَـوَرُ![4]
فـإنّمـا المـوت ضَـرْبٌ مـن حبـائِـلِهِ لا يُفلتُ الخلقُ ما عاشـوا، فما النَّظرُ؟[5]
هـذا هـو الـلغـزُ، عَـمَّـاهُ وعَـقَّـدَهُ على الخليقـةِ، وَحْشٌ، فـاتـكٌ حَـذِرُ[6]
قـد كبَّـلَ القَـدَرُ الضَّـاري فـرائِسَـهُ فـما استـطاعـوا لـه دفعـاً، ولا حـذَروا
وخـاطَ أعينَـهـم، كي لا تُـشَـاهِـدَهُ عـينٌ، فـتـعـلمَ مـا يـأتي ومـا يَـذَرُ
وَحَـاطَـهُـمْ بـفـنـونٍ مـن حَبَـائِـلِهِ فـما لَهُـمْ أبـداً مِـنْ بـطشِـه وَزرُ[7]
لا المـوت يُنقِـذُهُمْ من هـولِ صـولَتِـهِ ولا الحيـاةُ. تَسَاوَى النَّـاسُ والحَجَـرُ![8]
حـارَ المسـاكـينُ، وارتـاعـوا، وأعْجَزَهم أن يحـذَرُوه، وَهَـلْ يُجـديهمُ الحَـذَرُ[9]
وَهُـمْ يـعـيـشـونَ في دنـيـا مـشـيَّـدةٍ مـنَ الخـطوب، وكـونٍ كلُّه خـطرُ؟[10]

---

(1) الازورار: الانحراف.
(2) صَدَع: أظهر، وجهر.
(3) نظمها في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٥ أوت ـ آب ١٩٣٤ م. وفيها اتّهام للقدر بالظلم، والقدر ليس بظالم، فالحذر.
(٤) الجَزَع: الخوف. الخَوَر: الضعف.
(٥) حبائل الموت: أسبابه.
(٦) عمّاه: أخفاه.
(٧) الحبائل: الأسباب. الوَزَر: الملجأ والمعتَصَم.
(٨) الصَّولة: السَّطوة والاستطالة.
(٩) يجدي: ينفع.
(١٠) الخطوب: جمع الخَطْب: الشأن والأمر.

وكيف يحـذرُ أعمَى، مُـدْلِـجٌ، تَـعِبٌ، هـولَ الظَّلام، ولا عَـزمٌ ولا بَصَرٌ؟[1]
قـد أيقـنـوا أنّـهُ لا شيءَ يُـنـقـذُهُـمْ فـاستسلمـوا لِسُكُـونِ الـرُّعْبِ، وانتـظروا
ولـو رأوه لـسَـارتْ كـي تحـارِبَـه مِنَ الـورى زُمَـرٌ، في إثـرِهَـا زُمَـرُ[2]
وَثَـارتِ الجِـنّ، والأمـلاك نـاقـمـة والبحـرُ، والـبَرُّ، والأفـلاكُ، والعُصُرُ[3]
لـكـنّـهُ قـوّةٌ تُمـلي إرادَتَهـا سِـرّاً، فَنَعْـنُـو لهـا قهـراً، ونـأتمـرُ[4]
حقيقـةٌ، مـرّةٌ، يـا ليـلُ، مُبْغَـضَـةٌ كـالموتِ، لكنْ إليهـا الـوِرْدُ والصَّـدَرُ[5]

* * *

تَنَهّـدَ اللّيْـلُ، حتّى قلتُ: «قـد نُثِـرَتْ تِـلْكَ النُّـجـومُ، وَمَـاتَ الجِـنُّ والـبَشَرُ»
وَعَـادَ للصّمتِ. . ، يُصغي في كـآبتـه ـ كـالفيلسـوف ـ إلى الـدنيـا، ويفتكـرُ. .
وَقَهْـقَـهَ الـقَـدَرُ الجبّـارُ، سُخْـرِيـةً بـالكـائنـاتِ. تَضَـاحَـكْ أيُّهَـا القَـدَرُ!
تمشي إلى الـعَـدَمِ المحتـومِ، بـاكيـةً طـوائـفُ الخَلْقِ، والأشكـالُ والصُّـوَرُ
وأنـتَ فـوقَ الأسى والمـوت، مبـتـسمٌ تـرنـو الى الكـون، يُبْنَى، ثمّ ينـدَثِـرُ[6]

أنسيمٌ يهب؟[7]

[من الخفيف]

الحمد لله وحده

أنـسـيـمٌ يـهـبُّ في الأسـحـارِ بـين تـغـريـد بـلـبـلٍ وهـزارِ
أمْ أنـاشـيـد مَـعـبـدٍ رتّـلتـهـا كـالنسيـمات غـانيـاتُ الجَـواري[8]

(1) المدلج: الذي يسير في أول الليل.
(2) الزُمر: الجماعات.
(3) العُصُر: جمع العَصْر.
(4) نعنو: نخضع.
(5) الصَّدَر: الرجوع. الوِرد: الإشراف على الماء.
(6) ترنو، من الرُّنو: إدامة النظر بسكون الطَّرْف.
(7) نظمها سنة ١٩٣١ م، رداً على الشيخ عامر بن محمد الصالح الشابي وكان قد هنّأه بمناسبة زواجه. وقد احتفظ بالقصيدة محمد الصالح بن عامر بالقصيدة، فلم تنشر في الديوان الذي أشرف على طبعه الأستاذ أبو شادي.
(8) غانيات: جمع غانية: حسناء استغنت بجمالها.

أم أريج الزهور أم نغمة الأطيار أم غُنَّة النهرِ الجاري
أم تهانيك صاغها فكرك السامي فكانت فريدةَ الأشعار[1]
يا سليلَ العلا، وتِرْب المعالي وسميرَ العلوم، رب الفخارِ[2]
أنتَ من تسجدُ البلاغة والمجد على بابه بلا استكبار
تربه العلوم أوجهها الغر ـ وتجنيه ما بها من ثمار
إنْ يكن أسبغَ الزَّمانُ على خَودَيْكَ من شيبه جلالَ الوَقارِ
فبجنبيك لا تزال من الهمة والمجد جذوة من نار
بسط الله في الحياة إليكم عمراً طيباً بغير تبار
وأراك الله! ما شئتَ في أنجالك الغرُّ من عُلا وفَخار
فهم صحبتي وإخوانُ نفسي في ظلامي وفي بياض نهاري
هاته بنتُ وقتها فتقبَّلْها فما في قبولها من عار
ولتعشْ في الحياةِ مغتبطَ النفسِ قوي النُّهى يدَ الأدهارِ[3]

والسلام عليك من ابن أخيك
بلْقاسم بن محمد بن بلْقاسم الشابي

مناجاة عصفور[4]

[من الكامل]

يَا أيُّها الشَّادي المغرِّدُ هَهُنا ثَمِلاً بِغِبْطةِ قَلْبِهِ المَسْرُورِ[5]
مُتَنَقِّلاً بينَ الخَمائِلِ، تَالِياً وَحْيَ الرَّبيعِ السَّاحرِ المَسْحُورِ[6]
غَرِّدْ، ففي تِلْكَ السُّهولِ زَنَابِقُ تَرْنُو إليكَ بِنَاظرٍ مَنْظُورِ
غَرِّدْ، فَفِي قَلْبي إليكَ مَوَدَّةٌ لَكِنْ مَوَدَّةُ طَائرٍ مَأْسُورِ

---

(١) الخريدة: الجارية البكر.
(٢) التِّرْب: المِثل.
(٣) النُّهى: العقل. وقوله: يد الأدهار يعني أبد الدهور.
(٤) نظمها في ٢٧ محرّم ١٣٤٧ هـ /١٦ جويليه ـ تموز ١٩٢٨ م.
(٥) ثمِل: سكران.
(٦) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف.

هَـجَـرَتْـهُ أَسْرابُ الحَـمائمِ، وانْـبَـرَتْ لِـعَـذَابِـهِ جِنِّـيـةُ الـدَّيْجُـورِ.....[1]
غَـرِّدْ، ولا تُـرْهِـبْ بِمَـيْـنـي، إنَّـني مِـثْـلُ الـطُّيـورِ بُمهْجَتِي وضَـمِـيري[2]
لَـكِنْ لَـقَـدْ هَـاضَ الـتُّرابُ مَـدامِعي فَـلَبِثْتُ مِـثْـلَ الـبُلبـلِ المَكْـسُـورِ[3]
أشـدُو بِـرنّـاتِ الـنِّـيـاحَـةِ والأسى مشبـوبـةً بـعـواطـفـي وَشُـعُـوري[4]
غـرِّدْ، ولا تَحْـفـل بـقـلبـي، إنَّـهُ كـالمُـعْـزَفِ، المُتَـحَـطِّمِ المَـهْـجُـورِ

***

رتِّـل عَـلى سَمْـعِ الـرَّبيـعِ نشيـدَهُ وَاصْـدَحْ بـفيْضِ فـؤادِكَ المَسْجُـورِ[5]
وأنْـشِـدْ أنـاشـيـدَ الجَـمالِ، فـإنَّها رُوحُ الـوُجـودِ، وَسَـلْوَةُ المَـقْـهُـورِ
أنـا طـائـرٌ، مُـتَـغـرِّدٌ، مُـتَـرنِّـمٌ لـكِـنْ بـصـوتِ كـآبـتي وَزَفـيري
يَهْـتَـاجُـني صـوتُ الـطُّيـورِ، لأنَّـه مُـتـدفِّـقٌ بِـحَـرارَةٍ وَطَـهُـورِ
مـا في وجـود الـنَّـاس مِـنْ شيءٍ بـه يَـرضَى فـؤادي أو يُسَرُّ ضـمـيري
فـإذا استَمَعْتُ حـديثهم ألْفَيْتُـهُ غَـثّـاً، يَـفِـيض بِـركَّـةٍ وَفُـتُـورِ[6]
وإذا حَـضَـرْتُ جُمـوعَـهُـمْ ألْـفَـيْـتَـني مـا بـيـنـهـمْ كـالـبُـلبـلِ المأسـورِ[7]
متـوحِّـداً بِعَـواطفي، وَمَشَـاعِـري، وَخَـوَاطِـري، وَكَـآبـتي، وَسُروري
يَـنـتَـابُـني حَـرَجُ الحَـيـاةِ كـأنَّـني مِـنهـمْ بِـوَهْـدَةَ جَـنْـدلٍ وَصُـخـورِ[8]
فـإذا سَكَتُّ تـضجَّـروا، وإذا نَـطَقْتُ تَـذمَّـروا مِـنْ فِـكْـرَتي وَشُـعـوري
آهٍ مِـنَ الـنَّـاسِ الـذيـن بَـلَوْتُهُـمْ فَـقَـلَوْتُهُـمْ في وحشـتي وَحُـبُـوري[9]
مـا مِـنهُـمُ إلاَّ خَـبـيـثٌ غَـادِرٌ مـتـربِّصٌ بـالـنَّـاس شَرَّ مَـصـيرِ[10]
وَيَـودُّ لـو مَـلَكَ الـوُجـودَ بـأسره ورمـى الـورى في جَـاحِمٍ مَسْجُـورِ[11]

---

(١) الدَّيجور: الظلام.
(٢) المهجة: الدم، أو دم القلب، والروح.
(٣) هاض: كسر بعد انجبار. الملامع: جمع الملمع.
(٤) مشبوبة: متوقدة.
(٥) المسجور: الموقد، والساكن أيضاً.
(٦) الحديث الغَث: الذي لا خير فيه.
(٧) الفيتني: وجدتني.
(٨) ينتابني: يأتيني مرّة بعد مرة. الوهدة: الأرض المنخفضة. الجندل: ما يُقله الرجل من الحجارة.
(٩) قلوت: أبغضت. الحبور: السرور.
(١٠) متربّص: منتظر ماذا يحل به.
(١١) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. وشدة القتل في المعركة. الورى: الخلْق.

لِيَبُلَّ غُلَّتَهُ التي لا ترتوي ... وَيَكُضّ تُهْمَةَ قلبهِ المَغْفُورِ

وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنَّ أفـ ... ـكاري تُرَفْرِفُ في سُفوحِ الطُّورِ[1]

حَيْثُ الطَّبِيعَةُ حُلْوَةٌ فتَّانَةٌ ... تختال بين تَبَرُّجٍ وَسُفُورِ[2]

ماذا أودُّ مِنَ المدينةِ، وَهْيَ غا ... رقةٌ بِمَوَّارِ الدَّمِ المَهْدُورِ؟[3]

ماذا أوَدُّ مِنَ المدنيةِ، وَهْيَ لا ... ترثي لصوتِ تَفجُّعِ المَوْتُورِ؟[4]

مَاذا أودُّ مِنَ المدينةِ، وَهْيَ لا ... تَعْنو لِغَيْرِ الظَّالِمِ الشِّرِّيرِ؟[5]

ماذا أودُّ مِنَ المدينةِ، وَهْيَ مُر ... تادٌ لِكُلِّ دَعَارَةٍ وَفُجُورِ؟

يا أيُّها الشَّادي المغرِّدُ ههنا ... ثَمِلاً بغبطة قَلْبِهِ المسرورِ!

قَبِّل أزاهيرَ الرَّبيعِ، وغنِّها ... رَنَمَ الصَّباحِ الضَّاحِكِ المحبورِ[6]

واشربْ مِنَ النَّبعِ، الجميلِ، الملتوي ... ما بين دَوْحِ صَنَوبَرٍ وَغَدِيرِ[7]

وَاتْرُكْ دموعَ الفَجْرِ في أوراقِها ... حتّى تُرَشِّفَهَا عَرُوسُ النُّورِ[8]

فَلَرُبَّما كانتْ أنيناً صاعداً ... في اللَّيلِ مِنْ متوجِّعٍ، مَقْهُورِ

ذَرَفَتْهُ أجفانُ الصَّباحِ مدامعاً ... الأَقَةً، في دَوْحَةٍ وَزُهورٍ...

يا موت[9]

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد، رحمه الله.

[مجزوء الكامل]

يا مَوْتُ! قَدْ مزَّقتَ صَدْرِي ... وَقَصَمْتَ بالأرزاءِ ظَهْرِي[10]

---

(١) الطُّور: الجبل، وفناء الدار.
(٢) السُّفور: الكشف والظهور.
(٣) الموّار: الذي يتحرّك ويموج.
(٤) الموتور: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك بدمه.
(٥) تعنو: تخضع.
(٦) الرنم: الترنم: الصوت الحسن، التطريب.
(٧) دوح: جمع دوحة: الشجرة العظيمة.
(٨) ترشف: امتص. عروس النور، يعني الشمس.
(٩) نظمها في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ/ غرة أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٢٩ م.
(١٠) قصم: كسر. أرزاء: جمع رُزء: مصيبة.

ورمـيْـتَـنـي مِـنْ حـالـقٍ، وَسَـخِـرتَ مـنّي أيَّ سُـخْـرِ[1]
فَـلَـبِـثْـتُ مـرضـوضَ الـفـؤا دِ أُجُـرُّ أجـنـحـتي بِـذُعْـرِ...
وَقَـسَـوْتَ إذ أبـقـيـتـني في الـكَـوْن أذرَعُ كُـلَّ وَعْـرِ[2]
وَفَـجَـعْـتَـني فِـيـمَـنْ أحِـبُّ، وَمَـنْ إلـيْـهِ أبُـثُّ سرّي
وَأعُـدُّهُ، فَـجْـري الجـمـيـ ـلَ، إذا آدْلَـهَـمَّ عـليَّ دَهْـري[3]
وأعُـدُّهُ، وَرْدِي وَمِـزْ مَـاري، وَكَـاسَـاتي، وَخَمْـري
وَأعُـدُّه، غـابي، وَمِحْـ ـرَابي، وأغْنِيتي، وَفَجْـري...[4]
وَرَزأتَـني في عُـمْـدَتي، وَمَـشُـورَتي في كُـلِّ أمـرِ[5]
وَهَـدَمْـتَ صَرْحـاً، لا ألُـو ذُ بغـيره، وَهَـتَـكْـتَ سِـتْرِي[6]
فَـفَـقَـدْتُ روحـاً، طـاهـراً، شـهـماً، يجَـيش بِـكـلِّ خَـيرِ
وَفَـقَـدْتُ قـلـبـاً، همُّـهُ أن يـسـتـوي في الأفْـقِ بـدْري
وَفَـقَـدتُ كـفَّـاً، في الحـيـ ـاةِ يـصُـدُّ عـنّي كُـلَّ شَرِّ
وَفَـقَـدْتُ وجـهـاً، لا يُـعَـبِّـ ـسُـهُ سـوى حَـزَني وَضُرِّي
وَفَـقَـدْتُ نـفـسـاً، لا تَـني عـن صـوْن أفـراحـي وَبِشْرِي[7]
وَفَـقَـدْتُ رُكـني في الحـيـ ـاة، ورايَـتي، وعـمـادَ قصري

***

يَـا موتُ! قَـدْ مَـزَّقْتَ صَـدْري وَقَـصَـمْـتَ بـالأرزاءِ ظـهـري
يـا مـوتُ! مـاذا تـبـتـغي مـنـ ـي وَقَـدْ مـزّقـتَ صَـدْري؟
مَـاذ تـودُّ، وأنْـتَ قَـدْ سـوّدتَ بـالأحـزانِ فِـكْـري
وَتَـركْـتَـني في الـكَـائِـنَـا تِ أئِـنُّ، منـفـرداً بـإصري[8]
وأجـوبُ صـحـراءَ الحـيـاةِ، أقـولُ: «أيْـنَ تُـراهُ قـبري؟»

---

(١) حالق: أي عال.
(٢) أذرع كل وعر: اجتاز كل صعب.
(٣) ادلهم الظلام: اسودّ.
(٤) المحراب: الغرفة، وصدر البيت، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس.
(٥) رزأتني: أصبتني.
(٦) ألوذ: أحتمي.
(٧) لا تني: لا تفتر.
(٨) الإصْر: الذنْب.

مـاذا تَـوَدُّ مـن المُـعَـذِّ   بِ في الـوجـودِ بِـغَـيْرِ وِزْرِ؟[1]
مـاذا تـودُّ مـن الـشَّـقِـيِّ   بـعـيـشِـهِ، الـنَّـكِـدِ، المُضِرِّ[2]
إنْ كُـنْـتَ تـطلُبـني فَـهـا   تِ الـكـأسَ، أشْـرَبُهـا بِـصَـبْرِ
أو كـنـت تـرقُـبُـني فَـهَـا   تِ السَّهمَ، أرشُقُـهُ بِنَحْـري[3]
خـذني إلـيـكِ، فَـقَـدْ تـبـخَّـ   ـرَ في فـضـاءِ الهـمِّ عُـمـري...
وَتَهَـدَّلَـتْ أغْـصَـانُ أيَّـ   ـامـي، بِـلا ثَـمَـرٍ وَزَهْـرِ[4]
وَتَـنَـاثَـرَتْ أوراقُ أحْـلا   مي عـلى حَسَـكِ المَـمَـرِّ...[5]
خـذني إلـيـك! فـقـدْ ظَـمِئْـ   ـتُ لكـأسِكَ، الكَـدِرِ، الأمَرِّ...
خـذني فَـقَـدْ أصْـبَـحْـتُ أر   قُبُ في فَضَـاكَ الجَوْنِ فَجْـرِي[6]
خـذني، فـما أشـقـى الـذي   يقضي الحيـاةَ بِمِـثْـلِ أمْـرِي..

* * *

يـا موتُ! قـد مـزَّقْتَ صـدري   وقـصـمـتَ بـالأرزاء ظـهـري
يـا مـوت! قـد شَـاعَ الـفُـؤا   دُ، وأقفرتْ عَـرَصَـاتُ صَـدري[7]
وَغَـدَوْتُ أمشي مُـطْرَقـاً مِـنْ   طُـول مـا أثْـقَـلْتَ فِـكْـري[8]
يـا مـوتُ! نـفسي مـلَّتِ الـدُّنْـ   ـيـا، فَـهَـلْ لَمْ يـأتِ دوْري؟

شِعْري[9]

[من المجتثّ]

شِـعْـري نُـفَـاثَـةُ صَـدْرِي   إنْ جَـاشَ فِـيـه شُـعـوري[10]

---

(1) الوزر: الإثم والذنْب.
(2) العيش النَّكِد: الشديد.
(3) النحر: أعلى الصدر.
(4) تهدّل: استرخى.
(5) الحَسَك: نبات له شوك.
(6) الجون: الأسود، والأبيض، ضد. وأراد السواء.
(7) عرصات: جمع عرْصة: فسحة بين الدور لا بناء فيها.
(8) مُطرق: ساكت لا يتكلم. وأطرق، أيضاً، أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.
(9) نظمها في ٢١ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ/ ١٣ جوان ـ حزيران ١٩٢٥ م. وهي مما زيد على الديوان.
(١٠) نُفاثة صدري: مما ينفثه صدري، أي: يقذفه. جاش: اضطرب.

لـولاهُ مَـا انـجـابَ عـنـي غـيْـمُ الحـيـاةِ الخـطيرِ[1]
وَلا وجـدتُ اكـتـئـابي ولا وجـدتُ سُروري
بِـهِ تَـراني حـزيـنـاً أبـكـي بـدمـعٍ غـزيـرِ
بـه تـراني طـروبـاً أجـرُّ ذَيـل حُـبـوري

* * *

لا أنـظُمُ الـشِّـعـرَ أرجـو بـه رضـاءَ الأمـيرِ
بِمِـدْحَـةٍ أو رثـاءٍ تُهـدَى لِـرَبِّ السَّريـرِ[2]
حَـسـبـي إذا قـلـتُ شـعـراً أن يـرتـضـيـهِ ضَـمـيري
مـا الـشِّـعـر إلا فـضـاءٌ يـرفُّ فـيـه مَـقَـالي[3]
فـيـها يَسُرُّ بـلادي وَمَـا يَسُرُّ المـعـالي
ومـا يُـثِـيرُ شُـعـوري مِـنْ خَـافـقـاتِ خَـيَـالي

* * *

لا أقـرُضُ الـشِّـعـرَ أبـغـي بـه اقـتـنـاصَ نَـوَالِ[4]
الـشِّـعـرُ إنْ لمْ يـكـنْ في جمـالِـهِ ذَا جَـلالِ
فـإنَّمـا هُـوَ طـيـفٌ يَـسـعَـى بِـوَادي الـظِّلالِ[5]
يـقضي الحـيـاةَ طـريـداً في ذِلَّـةٍ، واعـتـزالِ
يـا شِـعْـرُ! أنْـتَ مـلاكـي وَطَـارِفي، وتـلادي[6]
أنـا إلـيـكَ مُـرادٌ وأنـتَ نِـعْـمَ مُـرَادي[7]
قِـفْ، لا تَـدَعْـني وحـيـداً ولا أدعْـكَ تـنـادي
فَـهَـلْ وجـدتَ حُـسـامـاً يُـنَـاطُ دونَ نِـجَـادِ[8]

* * *

---

(١) انجاب: انزاح.
(٢) السرير، أي عرش الملك.
(٣) المقال، أي القول.
(٤) النوال: العطاء. ويحدد في هذه القصيدة مفهومه للشعر، فيدعو إلى الجمالية والصدق والترفع.
(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام.
(٦) المال الطارف: المال المكتسب حديثاً. والتّلاد والتّليد: المال الموروث القديم.
(٧) المراد: الهدف والغاية.
(٨) الحسام: السيف. يُناط: يحمل، النجاد: محمل السيف.

كَمْ حطَّمَ الدَّهْرُ ذا هِمَّةٍ كثيرَ الرَّمادِ[1]
ألقاه تحْتَ نعالٍ من ذِلَّةٍ وَجِدَادِ
رِفقاً بأهْلِ بلادي! يا منجنون العوادي! [2]

فكرة الفنّان[3]

[من الكامل]

عِشْ بالشُّعورِ، وللشُّعورِ، فإنَّما دُنْياكَ كونُ عَواطفٍ وشعورِ
شِيدَتْ عَلى العَطْفِ العميقِ، وإنَّها لَتَجِفُّ لو شِيدَتْ على التَّفْكيرِ
وتَظَلُّ جَامِدَةَ الجمالِ، كئيبةً كالهيكلِ، المتهدِّمِ، المهجورِ
وَتَظَلُّ قاسيةَ الملامحِ، جهْمةً كالموتِ، مُقْفِرَةً، بغيرِ سُرورِ[4]
لا الحبُّ يرقُصُ فوقها متغنِّياً للنَّاس، بينَ جداولٍ وَزُهورِ
مُتَوَرِّدَ الوجنَاتِ سَكرانَ الخطى يهتزُّ من مَرَحٍ، وَفَرْطِ حُبورِ
مُتَكَلِّلاً بالوَرْدِ، ينثرُ للورى أوراقَ وردِ «اللَّذة» المنضُورِ[5]
كلَّا! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ في الكون تحْتَ غَمامةٍ من نُورِ
مَتَوشِّحاً بالسِّحْرِ، ينفُخ نايَهُ المشبوبَ بين خمائلٍ وغديرِ[6]
أو يلمسُ العودَ المقدَّسَ، واصفاً للموت، للأيَّام، للدَّيجورِ[7]
ما في الحياة من المسرَّةِ، والأسى والسِّحْرِ، واللَّذاتِ، والتغريرِ[8]
أبدا ولا الأملُ المجنَّحُ منْشِداً فيها بصوتِ الحالمِ، المَخْبُورِ
تلكَ الأناشيدَ التي تَهَبُ الورى عزْمَ الشَّبابِ، وَغِبْطة العُصْفورِ

---

(١) قوله: كثير الرماد، يعني الكريم عن طريق الكناية.
(٢) المنجنون: الدولاب يستقر عليه، والدهر، وأراد ذماً للدهر. والعوادي من الكرْم: ما يُغر أصول الشجر العظام.
(٣) نظمها في ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٠ هـ/ ٧ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٣١ م.
(٤) جهمة: عابسة. مقفرة أي لا شيء فيها.
(٥) الورى: الخلْق.
المنضور، أي النضر والناضر من النبات: الشديد الخضرة.
(٦) الناي: من الآلات الموسيقية. الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف.
(٧) الديجور: الظلام.
(٨) التغرير: التعرُّض للهلكة.

واجعلْ شُعورَكَ، في الطَّبيعة قَائداً ... فَهْوَ الخبيرُ بِتيهِهَا المَسْحُورِ[1]

صَحِبَ الحياةَ صغيرةً، ومشى بها ... بين الجماجم، والدَّمِ المهدورِ

وعَدَا بِهَا فوقَ الشَّواهِق، باسماً ... متغنِّياً، مِنْ أعْصُرٍ وَدُهورِ

والعقلُ، رغْمَ مشيبهِ ووقَاره، ... ما زال في الأيام جِدُّ صغيرِ

يمشي. . ، فَتَصْرَعُهُ الرِّياحُ، فَيَنْثَني ... متَوَجِّعاً، كالطَّائرِ المكسورِ

ويظلُّ يَسْأَلُ نفسه، متفلسفاً ... متَنَطِّساً، في خفَّةٍ وغرورِ:[2]

عمَّا تُحجِّبُهُ الكَوَاكبُ خلفها ... مِنْ سِرِّ هذا العالَمِ المستورِ

وهو المهشَّمُ بالعواصفِ.. إ يا لهُ ... من ساذجٍ، متفلسفٍ، مغرورِ!

***

وافتحْ فؤادكَ للوجودِ، وَخَلِّهِ ... لليَمِّ للأمواجِ، للدَّيجورِ[3]

للثَّلج تنثُرُهُ الزَّوابعُ، للأسى ... للهَوْلِ، للآلامِ، للمقدورِ

واتركْه يقتحِمُ العواصفَ.. ، هائماً ... في أُفْقِها، المتلبِّدِ، المقرورِ[4]

ويخوضِ أحشاءَ الوجود.. ، مغامِراً ... في ليلها، المتهيِّبِ، المحذورِ

حتَّى تُعانِقَه الحياةُ، ويرتوي ... من ثَغرِها المتأجِّجِ، المَسْجُورِ[5]

فتعيشَ في الدُّنيا بقلبٍ زاخرٍ ... يقظِ المشاعرِ، حالمٍ، مسحورِ

في نشوةٍ، صوفيَّةٍ قُدُسيَّةٍ ... هي خيرُ ما في العَالَمِ المنظورِ[6]

---

(١) التيه: المفازة، والضلال.

(٢) متنطِّس: متقذِّر، متأنِّق في الطهارة، وفي المطعم والملبس والكلام.

(٣) اليم: البحر.

(٤) المقرور: الذي أصابه القُر أي البرْد.

(٥) المسجور: الموقد، والساكن أيضاً.

(٦) تتجلى في البيت نزعة الشاعر الصوفية.

قافية السِّين

نظرة في الحياة(1)

[من المجتثّ]

إنَّ الحـيـاةَ صِراعٌ فـيـهـا الـضَّعِـيـفُ يُـداسْ
مـا فَـازَ في مـاضِـغِـيـهـا إلا شَـدِيـدُ المِـراسْ(2)
لـلخِـبُّ فـيـهـا شـجـونٌ فَـكُـنْ فـتى الإحـتـراسْ(3)
الـكَـونُ كـونُ شـقـاءٍ الـكَـونُ كـونُ الْـتـبـاسْ
الـكَـونُ كـونُ اخـتـلاقٍ وضَـجَّـةٌ واخـتـلاسْ
سِـيَّـان عِـنْـديَ فـيـه الـسُّرورُ، والإبـتـئـاسْ
بَـيْنَ الـنَّـوائـبِ بَـوْنٌ لـلنَّـاسِ فـيـه مـزايـا(4)
الـبـعضُ لم يـدرِ إلا الـبِلى يُـنـادي الـبـلايـا
والـبـعضُ مَـا ذَاقَ مـنـهـا سِـوى حَـقـيرِ الـرَّزايـا(5)
إنَّ الحـيـاةَ سُـبـاتٌ سـيـنـقضي بَـالمـنـايـا(6)
ومـا الـرُّؤى فـيـه إلاَّ آمـالُـنَـا، والخَـطـايـا
فـإنْ تَـيَـقُّظَ كـانـت بـين الجـفـون بـقـايـا

* * *

إنَّ الـسَّـكـيـنـةَ رُوحٌ في الـلـيـل لَـيْـسَـت تُـضـامْ(7)

---

(1) نظمها في ١٢ ربيع الأول هـ/ ٣٠ سبتمبر - أيلول ١٩٢٥ م.
(2) المراس: الشدة. وقوله: شديد المراس يعني القوي.
(3) الخِب: الخدّاع. الشجون: جمع الشَّجن: الهم والحزن، وهي هنا بمعنى: الحاجة حيث كانت.
(4) النوائب: جمع النائبة: المصيبة. بَوْن: بُعد.
(5) الرزايا: جمع الرزيّة: المصيبة.
(6) السبات: النوم.
(7) تُضام: تُظلم.

والرُّوحُ شُعْلَةُ نُورٍ مِنْ فوقِ كُلِّ نِظامْ
لا تنطفي بِرياحِ الـ إرهاقِ أو بالحُسَامْ
بَلْ قد يَعُجُّ لَظَاهَا سيلاً، ويطغى الضِّرامْ[1]
كلُّ البلايا... جميعاً تَفنى وَيحيا السَّلامْ!
والذُّلُّ سُبَّةُ عارٍ لا يرتضيه الكرامْ!
الفجر يسطع بعد الدُّجى، ويأتي الضياءْ
ويرقُدُ اللَّيلُ قَسْراً على مِهَادِ العَفَاءْ[2]
وللشُّعوبِ حياةٌ حيناً وحيناً فناءْ
واليأسُ موتٌ ولكنْ موتٌ يُثيرُ الشَّقاءْ
والجِدُّ للشَّعْبِ روحٌ تُوحِي إليهِ الهَناءْ
فإنْ تولَّتْ تَصَدَّتْ حَيَاتُهُ لِلبَلاءْ[3]

شكوى اليتيم[4]

[من المتقارب]

عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، أنّي يضجُّ صُرَاخُ الصَّباحِ وَنَوْحُ المَسَا
تنهَّدتُ من، مُهجتي، أترعَتْ بِدَمْعِ الشَّقاءِ وشوْكِ الأسى[5]
فَضَاعَ التَّنهُّدُ في الضَّجَّةِ بما في ثَنَاياهُ مِنْ لوْعةِ[6]
فَسِرتُ وناديتُ: «يا أمُّ! هيّا إليّ! فقد سئمتني الحياة»
وَجِئْتُ إلى الغابِ، أسْكبُ أوجا عَ قلبي نحيباً، كلفحِ اللّهيبْ
نحيباً تَدافَعَ في مهجتي وَسَالَ يَرُنُّ بِنَدْبِ القلوبْ
فَلَمْ يفهمِ الغَابُ أشجانَهُ وَظَلّ يُرَدِّد ألحانَهُ
فَسِرْتُ وناديتُ: «يا أمُّ هيّا إليَّ! فقد عذّبتني الحياةْ»

---

(١) يعُج: يرفع صوته. الضِّرام: ما اشتعل من الحطب، ويريد الاشتعال عموماً.
(٢) المهاد: جمع المهد، أي: السرير. العفاء: الزوال.
(٣) البلاء: الزوال.
(٤) نظمها في ٢١ صفر ١٣٤٥ هـ/٣١ أوت ـ آب ١٩٢٦ م.
(٥) المهجة: القلب، أو دم القلم، والروح.
(٦) الثنايا: جمع الثنيَّة: العقبَة، أو الطريقة في الجبل.

وقمتُ على النَّهر، أُهْرِق دمعاً تفجَّرَ من فيضِ حُزني الأليمْ
يسيرُ بِصَمْتٍ على وجْنتيَّ ويلمع مثل دموعِ الجحيمْ
فَما خفَّفَ النهرُ مِنْ عذْوِه ولا سَكَتَ النَّهْرُ عن شدْوِه
فسرتُ، وناديتُ: «يا أمّ! هيّا إليّ! فقد أضجرتني الحياة»

* * *

ولمَّا ندبتُ ولم ينفعِ، وَناديْتُ أُمّي فَلَمْ تسمعِ
رَجِعْتُ بحزني إلى وَحْدتي ورددْتُ نُوحِي على مِسمعي
وَعَانَقْتُ في وَحْدتي لوْعتي وقلتُ لنفسي: «ألاَ فاسْكتي!»

حرم الأمومة[1]

[من الكامل]

الأمُّ تَلْثُمُ طِفْلَها، وَتَضُمُّهُ حرمٌ، سَماويُّ الجمالِ، مُقَدّسُ
تَتَألَّهُ الأفكارُ، وهْي جِوارَهُ وَتعودُ طاهرةً هناكَ الأنفسُ[2]
حَرَمُ الحياةِ بِطُهْرِها وَحَنَانِها هل فوقَهُ حَرَمٌ أجلُّ وأقدسُ؟
بوركتَ يا حَرَمَ الأمومةِ والصِّبا كم فيكَ تكتملُ الحياةُ وَتَقْدُسُ[3]

النَّبي المجهول[4]

[من الخفيف]

أيها الشَّعْبُ! ليتني كنتُ حطَّاباً فأهوي على الجذوعِ بفأسي!
ليتني كنتُ كالسُّيولِ، إذا سالتْ تَهُدُّ القبورَ: رمساً برمسِ!
ليتني كنتُ كالرِّياحِ، فأطوي كلَّ ما يخنقُ الزُّهورَ بنحسي
ليتني كنتُ كالشتاءِ، أغشِّي كلَّ ما أذْبلَ الخريفُ بقرسي![5]

---

(١) نظمها في ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٣ أوت - أغسطس - آب ١٩٣٤ م.
(٢) تتألّه: تتعبَّدُ، وألَه: عبد.
(٣) تقدُس، أي: تصير مقدّسة.
(٤) نظمها في ٢٠ شعبان ١٣٤٨ هـ/ ٢١ جانفي - كانون الثاني ١٩٣٠ م.
(٥) القَرْس: البرد الشديد.

ليتَ لي قوَّةَ العواصفِ، يا شعبي *** فأُلقي إليكَ ثورةَ نفسي!

ليت لي قوّةَ الأعاصير، إن ضجَّتْ *** فأدعوكَ للحياةِ بنبسي! [1]

ليتَ لي قوَّةَ الأعاصير..! لكن *** أنتَ حيٌّ، يقضي الحياة برمسٍ..! [2]

أنتَ روحٌ غَبِيّةٌ، تكره النّور، *** وتقضي الدهور في ليل مَلْسٍ... [3]

أنتَ لا تدركُ الحقائقَ إن طافتْ *** حواليكَ دون مسٍّ وَجَسٍّ

في صباحِ الحياةِ ضَمَّخْتُ أكوابي *** وأترعتُها بخمرةِ نفسي...

ثُمَّ قدَّمْتُها إليكَ، فأهرقْتَ *** رحيقي، ودُستَ يا شعبُ كأسي! [4]

فتألّمتُ.. ثمَّ أسْكَتُّ آلامي، *** وَكَفْكَفْتُ من شعوري وحسي

ثُم نَضَّدْتُ من أزاهيرِ قلبي *** بَاقةً لم يمسَّهَا أيُّ إنسي..

ثم قدَّمْتُها إليكَ، فَمزَّقْتَ *** ورودي، وَدُسْتَهَا أيَّ دَوْسِ

ثم ألبَسْتَني مِنَ الحُزْنِ ثوباً *** وَبِشَوكِ الجبالِ تَوَّجْتَ رأسي

* * *

إنّني ذاهبٌ إلى الغاب، يا شعبي *** لأقضي الحياةَ، وحدي، بيأس

إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، علّي *** في صميم الغابات أدفنُ بؤسي

ثُمَّ أنْسَاكَ ما استطعتُ، فما أنت *** بأهلٍ لخمرتي ولكأسي

سوف أتلو على الطُّيور أناشيدي، *** وأُفضي لها بأشواقِ نفسي

فَهْي تدري معنى الحياة، وتدري *** أنّ مجدَ النُّفوسِ يَقْظَةُ حِسّ

ثم أُقضي هناك، في ظلمة اللّيل، *** وأُلقي إلى الوجود بيأسي

ثم تَحْتَ الصَّنَوْبَر، النّاضر، الحلو، *** تخُطُّ السُّيولُ حُفْرَةَ رمسي [5]

وَتظلُّ الطُّيُورُ تلغو علَى قَبْريَ *** ويشدو النَّسِيمُ فوقي بهمس [6]

وَتَظلُّ الفُصُولُ تمشي حواليَّ، *** كما كُنَّ في غَضَارةِ أمسي [7]

أيُّها الشَّعْبُ؟ أنتَ طِفْلٌ صغيرٌ، *** لاعبٌ بالتُّرابِ والليلُ مُغْسٍ..! [8]

---

(١) النَّبس: التكلم بسرعة.

(٢) الرمس: القبر.

(٣) المَلْس: اختلاط الظلام.

(٤) أهرَق: أراق. الرحيق: الخمرة.

(٥) الرمس: القبر.

(٦) تلغو: تتكلّم بما لا يُعتد به.

(٧) الغضارة: النعمة، والسعة والخصب.

(٨) مغسي، أي: مظلم.

أنتَ في الكون قوّةٌ، لم تَسُسْها ... فكرةٌ، عبقريّةٌ، ذاتُ بأسِ
أنت في الكون قوةٌ، كبّلتها ... ظُلُماتُ العُصور، مِنْ أمسِ أمسِ..
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي ... في حَساسِيّتي، ورقّةِ نفسي

* * *

هكذا قال شاعرٌ، ناولَ النّاسَ ... رحيقَ الحياةِ في خير كأسِ
فأشاحوا عنها، ومرُّوا غضاباً ... واستخفُّوا به، وقالوا بيأس:
«قد أضاع الرّشادَ في ملعب الجنِّ ... فيا بؤسَهُ، أُصيبَ بِمَسِّ»
«طالما خَاطبَ العواطفَ في اللّيلِ ... وناجى الأمواتَ في غير رمسِ»
«طالما رافقَ الظّلامَ إلى الغابِ ... ونادى الأرواحَ مِن كلِّ جِنْسِ»
«طالما حدّثَ الشياطين في الوادي، ... وغنّى مع الرّياح بجَرسِ»
«إنه سَاحرٌ، تُعَلِّمُهُ السَّحْرَ ... الشياطينُ، كلَّ مَطْلعِ شَمْسِ»
«فأبعِدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ ... إنَّ الخَبيثَ منبعُ رِجْسِ»[1]
«أطردوه، ولا تُصيخوا إليه ... فهو روحٌ، شريرةٌ، ذاتُ نحسَ»[2]

* * *

هَكَذا قَال شاعرٌ، فيلسوفٌ، ... عاشَ في شعبه الغبيِّ بتَعْسِ
جَهِلَ النّاسُ روحَه، وأغانيها ... فَسَاموا شعوره سَوْمَ بخسِ[3]
فَهْوَ في مَذهبِ الحياةِ نبيٌّ ... وَهْوَ في شعبِهِ مُصَابٌ بمسِّ[4]
هكذا قال، ثمّ سَار إلى الغابِ، ... ليحيا حياةَ شِعْرٍ وقُدس
وبعيدا.. ، هناك.. ، في معبد الغاب ... الذي لا يُظلُّه أيُّ بؤسِ
في ظلال الصّنوبرِ الحلوِ، والزّيتونِ ... يقضي الحياة: حَرْسا بحرسِ[5]
في الصّباح الجميل، يشدو مع الطّير، ... وَيَمْشي في نشوةِ المُتَحَسِّي
نافخاً نايَه، حواليْهِ، تهتزُّ ... ورودُ الرَّبيع مِنْ كلِّ قنْسِ[6]

---

(١) الرجس: القذر، والمأثم، وما استقذر من العمل.
(٢) أصاخ: أصغى.
(٣) السّوم في البيع: المغالاة.
(٤) يدّعي النبوة كما ترى!
(٥) الحرْس: الدهر.
(٦) القنْس: أعلى الرأس. والناي: من الآلات الموسيقية.

شَعْرُهُ مُرْسَلٌ، تُدَاعِبُهُ الرِّيحُ ... علـى منكبيْه مثلَ الدِّمَقْسِ [١]

والطُّيورُ الطِّرابُ تشدو حواليه ... وتلغو في الدَّوحِ، مِنْ كُلِّ جنسِ [٢]

وتراه عند الأصيلِ، لدى الجدول، ... يرنو للطّائرِ المتحسّي

أو يغنّي بين الصَّنوبرِ، أو يرنو ... إلى سُدْفةِ الظَّلامِ المُمَسّي [٣]

فإذا أقْبَلَ الظلامُ، وأمسَتْ ... ظلماتُ الوجود في الأرض تُغسي [٤]

كان في كوخه الجميل، مقيماً ... يَسْأَلُ الكونَ في خشوعٍ وَهَمْسِ

عن مصبِّ الحياةِ، أينَ مَداهُ؟ ... وصميمِ الوجودِ، أيَّانَ يُرسي؟

وأريجِ الوُرودِ في كلِّ وادٍ ... ونَشيدِ الطُّيورِ، حين تُمسّي

وهزيمِ الرِّياح، في كلِّ فَجٍّ ... وَرُسُومِ الحياةِ من أمسِ أمسِ [٥]

وأغاني الرِّعاةِ أينَ يُواريها ... سُكونُ الفَضا، وأيّانِ تُمْسي؟؟

هكذا يَصْرِفُ الحياةَ، ويُفْني ... حَلَقَاتِ السِّنينَ: حَرْساً بحَرْسِ [٦]

يا لها من معيشةٍ في صميم الغابِ ... تُضْحي بين الطيور وتُمْسي! [٧]

يا لها مِنْ معيشةٍ، لم تُدَنِّسْهَا ... نفوسُ الورى بخُبْثٍ وَرِجْسِ [٨]

يا لها من معيشةٍ، هيَ في الكون ... حياةٌ غريبةٌ، ذاتُ قُدسِ

الدّموع [٩]

[من الخفيف]

يَنْقضي العَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ وَيأسِ ... والمُنى بَيْنَ لَوْعَةٍ وَتَأَسٍّ [١٠]

---

(١) الدِّمقس: القز، أو الديباج، أو الكتّان.

(٢) الدَّوح: جمع الدَّوحة: الشجرة العظيمة.

(٣) السُّدفة: الظلام، والطائفة من الليل. يرنو، من الرنو: إدامة النظر بسكون الطَّرف.

(٤) تُغسي: تُظلم.

(٥) الفج: الطريق الواسع بين جبلين. هزيم الرياح: صوت الرياح، والهزيم: الرعد.

(٦) الحرْس: الدهر.

(٧) صميم الغاب، يعني وسطه. وصميم الشيء: خالصه.

(٨) الورى: الخَلْق، الرِّجس: القَذَر.

(٩) نظمها في ١٩ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ/ ٢٠ جوان ـ حزيران ١٩٢٧ م.

(١٠) التأسّي: التصبّر.

هَـذِهِ سُـنَّـةُ الحَـيـاةِ، وَنَـفْسي لا تَـوَدُّ الـرَّحـيـقَ في كَـأْسِ رِجْسِ[1]
مُـلِئ الـدَّهْـرُ بـالـخـداعِ، فكَمْ قَـدْ ضَـلَّلَ الـنـاسَ مِـنْ إمـامٍ وَقَسٍّ[2]
كـلَّما أَسْـأَلُ الحـيـاةَ عَـنِ الحـقِّ تَـكُـفُّ الحـيـاةُ عَـنْ كُـلِّ هَمْسِ
لَمْ أَجِـدْ في الحـيـاةِ لحـنـاً بـديـعـاً يَسْتَبِـيـني سِـوى سَكِـيـنَـةِ نَـفْسي[3]
فَـسَئِـمْـتُ الحـيـاةَ، إلا غِـرَاراً تـتـلاشى بِـهِ أَنـاشِـيـدُ يَـأْسي
نـاولـتـني الحـيـاةُ كـأسـاً دِهَـاقـاً بـالأمَـاني، فَـمَا تَـنَـاولْـتُ كـأسي[4]
وَسَـقَـتْـني مِنَ الـتَّـعَـاسَـةِ أَكْـوابـاً تَجَـرَّعْـتُـهَـا، فَـيَـا شَـدَّ تَـعْسي!
إنَّ في روضـةِ الحـيـاةِ لأشـواكـاً بهـا مُـزِّقَـتْ زَنَـابِـقُ نـفسي

* * *

ضَـاعَ أمسي! وأيـنَ مِـنِّيَ أَمْسي؟ وَقَضَى الـدَّهْـرُ أَنْ أعـيشَ بِـيَـأْسي
وَقَضَى الحـبُّ في سُـكـونٍ مُـريـعٍ سَـاعـةَ المـوتِ بـيـن سُـخْـط وَبُـؤْسِ
لَمْ تُخَـلِّفْ لِيَ الحـيـاةُ مِـنَ الأمسِ سِـوَى لَـوْعَـةٍ، تَهُـبُّ وَتُـرسي
تَـتَـهَـادى مَـا بـيـنَ غَـصَّـاتِ قَـلبـي بِـسُـكُـونٍ وبـيـن أوجـاعِ نَـفْسي
كخيـالٍ مِنْ عَـالَمِ المـوتِ، يَنْـسَـابُ بِـصَـمْـتٍ مـا بـيـنَ رَمْسٍ وَرَمْسِ[5]
تـلكَ أوجـاعُ مـهـجـةٍ، عَـذَّبَـتـهـا في جـحـيـمِ الحيـاةِ أَطْـيَـافُ نَحْسِ[6]

شجون[7]

[من الخفيف]

عـجـبـاً لي! أَوَدُّ أَنْ أفـهـمَ الـكَـوْنَ، ونـفسي لَمْ تـسـتـطعْ فَـهْـمَ نـفسي!
لم أَفِـدْ مِـنْ حـقـائـقِ الـكـونِ إلاّ أَنَّـني في الـوجـود مُـرْتَـادُ رَمْسِ

---

(١) الرحيق: الخمرة.
(٢) البيت يدل على مرارة الشاعر وتألمه من الوصوليين والمستغلين للدين. ولكنه ينطوي على اتهام الدهر بالخداع ومشاركة المستغلّين، وهو ليس كذلك.
(٣) يستبي: يأثر.
(٤) دِهاق: ممتلىء.
(٥) الرمس: القبر.
(٦) المهجة: الروح، أو الدم، أو دم القلب.
(٧) نظمها في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٩ هـ/ ١٨ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٣٠ م.

كُلُّ دَهْرٍ يَمُرُّ يفجعُ قلبي ... ليتَ شعري أينَ الزَّمانِ المؤسّي
في ظلامِ الكُهوفِ أشباحُ شؤمٍ ... وبهذا الفضاءِ أطيافُ نَحْسِ
وَخِلالَ القُصورِ أنّاتُ حُزْنٍ ... وَبتلكَ الأكواخِ أنْضاءُ بؤسِ[1]
والقَضَاءُ الأَصَمُّ يَعْتَسِفُ النّاس ويقضي ما بينَ سَيْفٍ وَقَوْسِ[2]

* * *

هذه صورةُ الحياةِ، وهذا ... لونُها في الوجودِ، مِنْ أمسِ أمسِ
صُورةٌ للشّقاءِ دامِعَةُ الطَّرْفِ ولونٌ يَسُودُ في كلِّ طِرْسِ[3]

(١) الأنضاء: جمع النِّضو: الثوب الخَلَق، أو المهزول من الإبل وغيرها.
(٢) يعتسف: يظلم، أو يخبط على غير هداية. والمعنى: أن القضاء أصم وظالم.
وهذا غير صحيح، ويدل على فساد رأي الشاعر، وسوء ظنه بالقضاء والقدر.
(٣) الطِّرس: الصحيفة.

قافية العيـن

أنشودةُ الرَّعـد[1]

[من مجزوء الرّمل]

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ لَمَّا عَانَقَ الْكَوْنَ الخُشُوعْ
وَاخْتَفَى صَوْتُ الأمَاني خَلْفَ آفَاقِ الهُجُوعْ[2]

* * *

رَتَّلَ الرَّعْدُ نَشِيداً رَدَّدَتْهُ الكَائِنَاتْ
مِثْلَ صَوْتِ الحَقِّ إنْ صَاحَ بِأعْمَاقِ الحَيَاةْ

* * *

يَتَهَادَى بِضَجِيجٍ فِي خَلَايَا الأوْدِيَةْ[3]
مِثْلَ جَبَّارٍ بَنِي الجِنِّ بِأقْصَى الهَاوِيَةْ
فَسَأَلْتُ اللَّيْلَ، واللَّيْلُ كَئِيبٌ، وَرَهِيبْ
شَاخِصاً بِاللَّيْلِ واللَّيْلُ جَمِيلٌ، وَغَرِيبْ

* * *

أتُرَى أنْشُودَةُ الرَّعْدِ أنِينٌ وَحَنِينْ
رَنَّمَتْهَا بِخُشُوعٍ مُهْجَةُ الكَوْنِ الحَزِينْ؟

* * *

(١) نظمها في ١٥ شعبان ١٣٤٤ هـ/ ٢٨ فيفري ـ شباط ١٩٢٦ م.
(٢) الهجوع: النوم ليلاً.
(٣) يتهادى: يتمايل.

أمْ هِـيَ الـقُـوَّةُ تَـسْـعَـى بِـاغْـتِـسَـافٍ واضْـطِـخَـابْ[1]
يَـتَـرَاءَى فِي ثَـنَـايَـا صَـوْتِـهَـا رُوحُ الـعَـذَابْ؟»

* * *

غَـيْـرَ أنْ الـلَّـيْـلَ قَـدْ ظَـلَّ رُكُـوداً، جَـامِـدا
صَـامِـتـاً مِـثْـلَ غَـدِيـرِ الـقَـفْـرِ، مِـنْ دُونِ صَـدَى![2]

إلى البلبـــل[3]

(من مجزوء الرمل)

أيُّـهـا الـبـلـبـل يـا شـاعـرَ أحـلام الـربـيـعْ
غَـنِّـني إنَّ عـلى صـوتـك أنـداءُ الـدمـوعْ
غـنِّـني فـهـو يـريـني أمَـل الـقـلـب الصريـعْ
تـائـه الـفـكـر يـنـاجـي حـيرة الـفـكـر الشريـدْ
بـخـشـوعٍ وسـكـونٍ وحنينْ
يتكلَّـــمْ

انـفـضِ الـطَّلَّ فـفـي الـطلِّ حـيـاةٌ حـائـرة[4]
شرّدتهـا عـن فـؤاد الـلـيـلِ كـفٌّ جـائـرةْ
وتـغـرَّدْ إنَّ لـلوردة عـيـنـاً فـاتـرةْ
أغـضَـتْـهـا راحـةُ الـلـيـل فـقـدْ هـبَّ الـصـبـاحْ
إنّمـا أنـت حـيـاةٌ سـاحـرةْ
تترنّـــم

رتِّـل الـتـغـريـدَ شـعـريـاً عـلى سـمـعِ الـزهـورْ

(١) الاعتساف: الظلم، والخبط على غير هدى.
(٢) الصدى: ما يسمعه المصوِّت في الوادي أو غيره.
(٣) نُشرت في جريدة النهضة بتاريخ أول فيفري ـ شباط ١٩٢٨.
(٤) الطّل: الندى.

واتــركِ الــرِّقــة تهــفــو حــولَ أورادِ الــغــديــرْ
فــعــروس النهــرِ قــد هــبَّت يــنــاغــيــهــا الخــريــرْ
وتــصبَّت نــســمــةُ الــفــجــر الــشــعــاع المــســتــطيرْ
مــثــل هَــفْــافِ الــغــيــومِ الــســابــحــةْ
فــي ضحــاهــا

إنّ ألحــانَ الــظلا مِ أثــرةُ المــكــتــئــبــةْ
تــتــوارى بــســكــون خــلــفَ تــلــك الأســحِــبَــةْ
سَئِــمَ الــوردُ أنــيــ ـنَ الــلوعــةِ المــنــتــحــبــةْ(1)
فــانــشــد الــلحــنَ رخــيــاً يــطرب الــكــونَ رنــيــمــةْ
وادفــنِ الحــســرةَ في الــلحــد الــرحــيــبْ
ورُؤاهـــا

فــيــك يــا بــلــبــلُ مــا في الــشــعــر من وحي تَــعــوبْ
فــيــك مــا في الــفــجــر من رقّــة لألاء طــروبْ
فــيــك مــا في الــكــون مــن فــن ومــن ســحــر خَــلُوبْ
فــيــك مــا في الــزهــرة مــن شــعــر الــدمــوعْ
فــيــك مــا في الــدمــ ـعــة المــنــحــدرةْ
مــن معــاني

انــفُــثِ الــشّــعــرَ فــفــي شــعــرك روح خــالــدةْ
كــلّما هــبّــتْ عــلى تــلــك الــزهــور الــراقــدةْ
أيــقــظت في صــدرهــا نــبضَ الحــيــاة المــاجــدةْ
فــاســتــفــاقــت تــتــغــنّى بــأغــانٍ ســاجــيــةْ(2)
وعــلى أجــفــانها ســحــرٌ نــضــيرْ
وأمـــان

فــيــك يــا طــيرُ تــوجّــســتُ أغــاريــد الحــيــاةْ

---

(1) المنتحبة: التي تبكي بكاءً شديداً.
(2) ساجية: هادئة.

وتسمّعتُ لصوتٍ ضلّ عن قلبي صداه
فغدا ينشده لكنه خاب وتاه
فتهاوى مُضرمَ الغلّة مشبوباً صداه
لأغاريدِ الحياة الضائعة
ولُغاها[1]

إنّ في صدرك أوتار السماء الساجعة
وبأعماقك أحلام الحياة الرائعة
وبآفاقِك فجراً من حياة راتعة
في رياض الظهرِ في تلك المغاني الخالدة[2]
وبأجفانك أضواء عِذابْ
مِنْ سماها

أنت لحنٌ ساحرٌ قد جسّم الدهرُ صَداه
فغدا يهتف صدّاها بأنغام هواهْ
رامقاً في نضرةِ الأزهار أطياف مُناها[3]
ساكباً من قلبه الطافح بالوحي لحونه
في فؤاد الوردة المستمعة
لِرَخيمةْ[4]

مِنْ نشيد القلبِ في ظِلِّ الحياة الشاعرةْ
مِنْ دموع الحب من سحر الأماني الناضرةْ
مِنْ لظى اللوعة في تلك الأغاني الحائرةْ
في عيون الخُرُدِ العين ضياء ضاحكا
صاغكَ الدهرُ مَلاكاً ساحراً
برنيمةْ

(١) اللغا واللغو: ما لا يُعتد به من الحديث.
(٢) المغاني: المنازل.
(٣) أطياف: جمع طيف: الخيال الطائف بالمنام.
(٤) الصوت الرخيم: اللين السهل.

أنتَ قلبُ الشاعر المُترع بالحب النميرْ[1]
ساءه موطنه الضنكُ ومأواه الحقيرْ
فهفا والشوقُ يُدنيه إلى النور النضيرْ
ثم أمسى بين أفنانِ الغياض العازفهْ
شاعراً ينشطر الوحيُ الجميل

من حياته

صوتك المشبوبُ من نارِ الحياة الخالدهْ[2]
جائشاً بالنَّغْمة السكرى الطروب الشاردهْ
يبعث الآمال بالنّفس اليؤوس الخامدهْ
مثلما تنبعث البسمة من جفن الحياهْ
حينما يستيقظ الفجر الجميلْ

من سُباتـه

(١) مُترع: ملآن. نمير: عذب.
(٢) مشبوب: متوقِّد.

قافية الفـــاء

بقايا الخريـف(١)

[من المتقارب]

كَـرِهْـتُ الـقُـصُـورَ، وقُـطَّانَها ... وَمَـا حـولَهـا مـن صِرَاعٍ عـنـيـفْ
وَكَيْـدَ الـضَّعِيفِ لِسَعْي الـقـويِّ ... وعَضْفَ الـقـويِّ بِجَهْـدِ الـضَّعـيفْ
وَجَـاشَـتْ بـنـفسي دُمُـوعُ الحـيـاةِ ... وَعَـجَّتْ بـقـلـبـي رِيَـاحُ الصُّروفْ(٢)
لِقَلْبِ الـفـقـيرِ الحـطيـم الكـسـير ... وَدَمْـعِ الأيـامَى السَّفيحِ الـذَّرِيفْ(٣)
ونَـوْحِ الـيـتَـامى عـلى أمـهـاتٍ ... تَـوَارَيْـنَ خَـلْفَ ظَـلامِ الحُـتـوفْ(٤)
فـسِرْتُ إلى حيـثُ تـأوي أغـاني الـ ... ـرَّبيـعِ، وتـذوي أمـاني الخـريـفْ(٥)
وَحَـيْـثُ الـفَـضَـا شـاعـرٌ، حـالمٌ ... يـنـاجي الـسُّهـولَ بِـوَحْـيٍ طَـريـفْ
وقـد دثَّـرَتْـهُ غـيـومُ المَسَـاءِ ... بـظلٍّ، حـزينٍ، ضَريـجٍ، شفيفْ(٦)
وبـين الـغُـصُـونِ الـتي جـرَّدَتْـهـا ... لـيـالي الخَـريفِ، القـويُّ العَسُـوفْ(٧)
وقَـفْـتُ، وحـوْلي غـديـرٌ، مـواتٌ ... تمـادتْ بـه غَـفَـوَاتُ الـكُـهُـوفْ
قَـضَـتْ في حـفـافِيـهِ تـلكَ الـزُّهُـورُ ... فَـكَـفَّـنـهـا بـالـصَّـقـيـعِ الخَـريـفْ
سـوى زَهْـرةٍ شَـقِـيـتْ بـالحـيـاةِ ... ومـلْبَثُـهـا بـالمُـقَـامِ المُـخِـيـفْ(٨)
يُـرَوِّعُـهَـا فـيـه قَـصْـفُ الـرُّعُـودِ: ... وَيُحْـزِنُهَا فـيـه نـذْبُ الـزَّفـيـفْ(٩)

---

(١) نظمها في ٦ رمضان ١٣٤٦ هـ /٢٧ فيفري ـ شباط ١٩٢٨ م.
(٢) جاش: اضطرب وتحرّك. عجّ: صاح ورفع صوته. الصروف: حدثان الدهر ونوائبه.
(٣) الأيامى: جمع الأيِّم: التي لا زوج لها بكراً أو ثيِّباً. الدمع الذريف: أي المذروف والسائل.
(٤) الحتوف: من الحَتْف: الموت.
(٥) يذوي: يذبل.
(٦) دثَّرته: غطته. شفيف: شفّاف. الضَّريج: المدمّي، أو المصطبغ بالحمرة.
(٧) العَسُوف: الظَّلُوم.
(٨) ملبثها: مقامها.
(٩) الزفيف: السريع، وزفّت الريح: هبّت في مُضي، وأراد ذلك.

وَيَنْتَابُها في الصَّباحِ السَّديمُ ... وفي الليل حُلمٌ، مُريعٌ مُخيفْ[1]
وتُرهِبُها غادياتُ الغَمامِ ... وتُؤلمُها كُلُّ ريحٍ عَصُوفْ[2]
فَترْنُو لما حَوْلها مِنْ زُهُورٍ ... وما ثَمَّ إلا السَّحِيقُ، الجَفِيفْ[3]
فتبكي بكاءَ الغريب، الوحيدِ ... بشجْوٍ كظيمٍ، ونَوْحٍ ضَعِيفْ[4]
تُبَاكِي بِهِ لُبَّها المستطارَ، وَتَرْ ... ثي بِهِ ما طَوَتْهُ الحُتُوفْ[5]
وتشكو أَسَاها بَيَاضَ النَّهارِ ... وتندُبُ حَظَّ الحياةِ السَّخيفْ
ولكنْ لقد فَقَدَتْ في الوجو ... دِ رفيقاً مُصِيخاً، وقلباً رَؤُوفْ
فَما ثَمَّ إلاَّ الصُّخُور القَوَاسي ... وإلاَّ الصَّدى المُسْتَطَارُ المَتُوفْ
فَجَادَتْ بروحٍ شقيٍّ شجيٍّ ... لقد عذَّبته اللّيالي صُنُوفْ
وَمَاتتْ، وَقَدْ غادَرَتْها بِقَاعٍ ... مِنَ الأرضِ ضنْكٍ، حَيَاةُ الصرُوفْ[6]
فَبَانَتْ حِيَالَ الغديرِ الأصمِّ ... وَقد أخرسَ الموتُ ذاك الحَفيفْ
وَقد خَضَّبَتْهَا غيومُ المساءِ ... كَغَانِيةٍ ضَرَّجَتْهَا السُّيوفْ[7]
فسلْها: «تُرى كيف غاضَ الأريجُ؟ ... وكيف ذَوَى سِحْرُ ذاك الرَّفيفْ؟»[8]
«وكيف خَبَتْ بَسَمَاتُ الحياةِ ... بأَجْفَانها، وَعَرَاها الكُسُوفْ؟»[9]
«وكيف لَوَتْ جيدَهَا الحادِثَاتُ ... وألْوَتْ بذاك القوامِ اللّطيفْ؟»[10]
ذَكَرْتُ بمضجَعِها المطمئنِّ ... وَمرقِدَها في السَّفيرِ الجَفِيفْ[11]
مصارعَ آماليَ الغابراتِ ... وخيْبَتَها في الصِّراعِ العَنيفْ
فقلَّبتُ طَرْفي بمهوَى الزُّهُورِ ... وصعَّدته في الفضاءِ الأسيفْ[12]

---

(١) السديم: الضباب الرقيق.
(٢) الغاديات من الغمام: غيوم الصباح، الواحدة غادية.
(٣) ترنو: تديم النظر مع سكون الطَّرْف. السحيق الجفيف، أي المسحوق الجاف.
(٤) الشجو: التطريب. الكظيم: المكروب.
(٥) مُستطار: منتشر. الحتوف: من الحتف: الموت.
(٦) الضَّنْك: الضيق في كل شيء. القاع: الأرض السهلة المطمئنة، الصروف: النوائب.
(٧) خضَّبتها: صبغتها ولونتها. الغانية: الحسناء التي غنيت بجمالها. ضرّجتها: أدمتها.
(٨) الأريج: توهج ريح الطيب. غاض: قل ونقص. الرفيف: المتندّي من الشجر وغيرها.
(٩) خبَت: هدأت. عراها: غشيها.
(١٠) الجيد: العنق. الحادثات: نوائب الزمان.
(١١) السفير: ما تساقط من ورق الشجر. الجفيف: الجاف.
(١٢) الأسيف: الحزين.

وَقُلْتُ: «هُـوَ الكـونُ مَهْـدُ الجمـالِ ولـكِـنْ لـكـلِّ جمـالٍ خَـريـفْ!»
واطـرقـتُ، أصـغـي لِهَـمْسِ الأسى وقـد غَشِيَ الـنفسَ هَـمٌّ كَـثـيـفْ[1]
وَغـاضَـتْ ثُـمالـةُ نُـورِ الـنَّهـارِ وأرْخى ظـلامُ الـوُجـودِ السَّـجـوفْ[2]

---

(١) أطرق: سكت ولم يتكلم.
(٢) غاضت: قلّت. الثمالة: البقية. السجوف: جمع السَّجَف: السِّتْر.

قافية القــاف

الغزال الفاتــن[1]

[من مجزوء الخفيف]

بَــذَرَ الحُــبُّ بَــذْرَهُ فِي فُــؤَادِي فَــأَوْرَقَــا
بِــلِحَــاظٍ نَــوَافِــثٍ فَــجَــنَى حَــظِّيَ الــشَّــقَــا
وَسَــعَــى فِــيــهِ مُــهْــرُهُ عَــادِيــاً، ثُــمَّ أَعْــنَــقَــا[2]

* * *

رُبَّ ظَــبْــيٍ عَــلِقْــتُــهُ بِــالبَــهَــا قَــدْ تَــقَــرْطَــقَــا[3]
ثُــمَّ مِــنْ وَصْــلِهِ الجَــمِــيــلِ غَــدَا الــقَــلْــبُ مُمْــلِقَــا
سَــحَــرَ الــلُّــبَّ طَــرْفُــهُ مَــا دَهَــا الــرِّيــقَ لــو رَقَى[4]
أَوْصَــبَ الــصَّــبَّ صَــدُّهُ والــشَّــقَــا لَــوْ تَــرَفَّــقَــا[5]
صَــارَ مُــلْقــىً بِــحُــبِّــهِ مُــوثَــقــاً لَــيْــسَ مُــطْلَقَــا
صَــارَ ذا جِــنَّــةٍ بِــهِ ذَا عَــذابٍ، مُــؤَرَّقَــا[6]
يَــرْقُــبُ الــبَــدْرَ جَــفْــنُــهُ لِــيُــنَــاجِــيَــهِ مَــا لَــقَــى
هَــامَ فِي الْــعَــيْــنِ غَــرْبُــهُ وَهَمَــى ثُــمَّ أَغْــدَقَــا[7]
وَهَمَــى صَــوْبُ هَمِّــهِ فَــاسْتَقَى مِنْــهُ مَــا اسْــتَقَى[8]

---

(١) نظمها في ٧ رجب ١٣٤١ هـ/ ٢٣ فيفري ـ شباط ١٩٢٣ م.
(٢) الإعناق: ضرب من سير الإبل والدواب مستبطر.
(٣) تقرطق: لبس القُرطق: ضرب من اللباس، معرّب: كُرته الفارسية.
(٤) اللب: القلب، والعقل.
(٥) الصب: المشتاق.
(٦) الجنّة: المس من الجنون.
(٧) الغَرب: الفيضة من الدمع، أو الدمع. همى: سال. أغدق المطر: كثر.
(٨) الصوب: المطر، ويريد الدمع.

كَـمْ قُـلُوبٍ تَـفَـطَّرَتْ وَدَمٍ صَـارَ مُـهْـرَقَـا[1]
وَدُمُـوعٍ تَـسَـلْسَـلَتْ مِـثْـلَ غَـيْـمٍ تَـدَفُّـقَـا
دُونَ أَنْ تَـبْـلَعَ الـنُّـفُـو سُ رُضَـابَ مُـرَوَّقَـا[2]
وَشَـقِـيـقٍ بِـخَـدِّهِ مُـهَـجَ الخَـلْقِ شَـقَّـقَ؟[3]
ثَـغْـرُهُ مِـنْ عُـقُـودِهِ وَدُمُـوعِـي تَـنَـسَّـقَـا
خَـصْـرُهُ مِـنْ نَـحَـافَـتِي وَنُـحُـولِي تَمَـنْـطَقَـا[4]
مَـرْشَـفَـاهُ بِـخَـدِّهِ وَدِمَـائِـي تَخَـلَّقَـا[5]
مِـنْ لَـظَى جَمْـرِ خَـدِّهِ كَـبِـدِي قَـدْ تَحَـرَّقَـا[6]
قَـدُّهُ فَـوْقَ رِدْفِـهِ غُـصْـنُ بَـانٍ عَـلَى نَـقَـا[7]
جِـيـدُهُ تَحْـتَ فَـرْعِـهِ بَـرْقُ غَـيْـمٍ تَـأَلَّـقَـا[8]
نَـسَـبِـي فِي غَـرَامِـهِ نَـسَـبٌ صَـارَ مُـعْـرِقَـا[9]

الحُـبّ[10]

[من البسيط]

الحُبُّ شُعْـلَةُ نُـورٍ سَـاحِـرٍ، هَـبَـطَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فكَـانَتْ سَـاطِـعَ الفَلَقِ[11]
وَمَـزَّقَتْ عَن جفُـونِ الـدَّهْـرِ أَغْشِيَـةً وَعَنْ وُجُـوهِ اللَّيَـالِي بُـرْقُـعَ الـغَسَـقِ[12]
الحُـبُّ رُوحٌ إلهِـيٌّ، مجَـنَّـحَـةٌ أَيَّـامُـهُ بِضِـيَـاءِ الـفَـجْـرِ والـشَّـفَـقِ

---

(١) مُهرق: أي مصبوب.
(٢) الرضاب: الريق.
(٣) المهج: جمع المُهجة: الروح، أو دم القلب، أو الدم.
(٤) تمنطق: شدّ وسطه بمنطقة.
(٥) المرشف: حيث يمصّ الماء.
(٦) اللظى: النار أو لهبها.
(٧) الرِّدف، أي: المؤرخة. النَّقا: القطعة من الرمل محدودبة.
(٨) الفرع: أعلى الشيء، والشَّعر التام.
(٩) قوله: صار معرقاً، يعني صار قديماً.
(١٠) نظمها في ٢٩ صفر ١٣٤٦ هـ/ ٢٨ أوت ـ أغسطس ـ آب ١٩٢٧ م.
(١١) الفَلَق: الصبح.
(١٢) البرقع: القناع. الغَسَق: ظلمة أول الليل.

يـطوفُ في هـذه الـدُّنيـا، فَيَجْعَلُهـا نجـماً، جميلاً، ضَحُـوكـاً، جِـدَّ مُؤْتَلِقِ

لـولاهُ مـا سُـمِعـتْ فِي الكَـوْنِ أُغْـنِيـةٌ ولا تـآلـفَ في الـدُّنـيـا بَـنُـو أُفُـقِ

الحـبُّ جَـدْولُ خـمرٍ، مَـنْ تَـذَوَّقَـهُ خَـاضَ الجحيمَ، وَلَمْ يُشْفِقْ من الحَرَقِ[1]

الحـبُّ غـايـةُ آمـالِ الحـيـاةِ، فـما خـوْفِي إذا ضمَّني قـبرٌ؟ ومـا فَـرَقِي[2]

(١) أشفق: خاف.
(٢) الفَرَق: الخوف.

قافية الكـــاف

ألحاني السَّكــرى[1]

[من الخفيف]

قَــدْ سَكِـرْنـا بِـحُبِّنَـا واكـتـفـيـنـا		يـا مُدِيرَ الكُؤُوس فـاصـرفْ كؤوسَـكْ[2]
واسكبِ الخمـرَ للعَـصَـافِـيرِ والنَّحْـلِ		وَخَـلِّ الـثَّرى يَـضُـمُّ عـروسَـكْ[3]

* * *

مَـا لَـنـا والكـؤوس، نَـطْلُبُ منهـا		نَـشْـوةً والـغَـرَامُ سِـحْـرٌ وسُـكْـرُ!
خَلِّنَـا منـكَ، فـالـرَّبيـعُ لنـا سـاقٍ		وهـذا الـفَـضَـاءُ كـأسٌ وخمـرُ!

* * *

نحن نحيا كـالـطَّيرِ، في الأُفُقِ السَّاجي		وكـالنَّحْـلِ، فـوق غضِّ الـزُّهُـورِ[4]
لا تـرى غـيرَ فـتـنَـةِ الـعَـالم الحـيِّ		وأحـلامِ قـلبـهـا المـسـحـور...
نَـحْنُ نـلهـو تَحْتَ الـظِّلال، كـطفلين		سـعـيـديـن، في غُـرورِ الـطُّفـولَـةْ
وعـلى الـصَّخْـرةِ الجـميـلةِ في الـوادي		وبـيـن المَـخـاوفِ المَـجْـهُـولَـةْ

* * *

نـحـن نـغـدو بـين المـروج ونُمسي		ونـغَـنِّي مَـعَ الـنَّـسـيـمِ المـغـنِّي
وَنُـنَـاجِي روحَ الـطَّبيـعـةِ في الكـون		ونُـصـغـي لِـقَـلْبـهـا المـتـغـنِّي

* * *

(١) نظمها في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ/ ١٥ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣٣ م.
(٢) المدير، يعني: الساقي يقدّم الخمرة.
(٣) الثرى: التراب الندي.
(٤) الساجي: الساكن.

نحنُ مثلُ الرّبيعِ: نمشي على أرضٍ مِنَ الزّهْرِ، والرّؤى، والخَيالِ
فوقها يرقُصُ الغرامُ، ويلهو ويغني في نشوةٍ ودَلالِ

* * *

نحن نحيا في جَنّةٍ مِنْ جِنَانِ السِّحْرِ في عالمٍ بعيدٍ...، بعيدِ...
نحنُ في عُشِّنَا المورَّدِ، نتلو سُوَرَ الحُبِّ للشّبابِ السّعيدِ

* * *

قد تركنا الوُجودَ للنّاس، فَلْيُقْضُوا الحياةَ كيفَ أرادوا
وذهبنا بِلُبِّه، وهْوَ رُوحٌ وَتَركنا القُشُورَ، وَهْيَ جَمادُ

* * *

قَدْ سَكِرنا بحبِّنا، واكتفينا طَفَحَ الكأسُ، فاذهبوا يا سُقاةُ
نحن نحيا فلا نريدُ مزيداً حَسْبُنا ما مَنَحْتِنَا يا حيَاةُ
حَسْبُنا زهرُنَا الّذِي نَتَنَشّى حَسْبُنا كأسُنا التي نترشّفْ[1]
إنّ في ثغرِنا رحيقاً سماويّاً وفي قلبِنا ربيعاً مُفَوَّفْ[2]

* * *

أيُّها الدّهرُ، أيّها الزّمَنُ الجاري إلى غيرِ وُجْهَةٍ وقرارِ![3]
أيُّها الكونُ! أيُّها القَدَرُ الأعمى! قِفُوا حيثُ أنتُمُ! أو فسيرُوا[4]
وَدَعُونا هنا: تُغنّي لنا الأحْلامُ والحبُّ، والوجودُ، الكبيرُ

* * *

وإذا ما أَبَيْتُمُ، فاحْمِلُونا ولهيبُ الغرَامِ في شَفَتَيْنَا
وزهورُ الحياةِ، تعبقُ بالعِطْرِ وبالسِّحْرِ، والصِّبا في يدَيْنَا

---

(١) نترشّف: نمتص. نتنشّى: نشم رائحته.
(٢) الرحيق: الخمرة. مفوّف: من الفُوف وهي ضرب من برود اليمن. وثوب مفوّف، أي رقيق، والربيع المفوّف يعني الملوّن.
(٣) القرار: الثبوت، والاقامة في مكان.
(٤) وصف القدر بأنه أعمى يدل على استخفاف مرفوض بالقضاء والقدر.

الأشواق التّائهة [1]

[من الخفيف]

يا صَميمَ الحياةِ! إنّي وَحِيدٌ ... مُدلجٌ، تائِهٌ، فأينَ شرُوقُكْ؟ [2]
يا صميمَ الحياةِ! إنّي فؤادٌ ... ضائعٌ، ظامئٌ، فأَيْنَ رَحِيقُكْ؟ [3]
يا صميمَ الحياةِ! قد وَجَمَ النَّايُ ... وغام الفضا فأَيْنَ بُرُوقُكْ؟
يا صميمَ الحياةِ! أين أغانيكَ! ... فَتَحْتَ النُّجومِ يُصْغِي مَشُوقُكْ

* * *

كُنْتُ في فجرِكَ، الموشَّحِ بالأ ... حلامِ، عِطْراً، يَرِفُّ فَوْقَ وُرُودِكْ
حالماً، يَنْهَلُ الضِّيَاءَ، ويُصغي ... لكَ، في نشوةٍ بوحيِ نَشِيدِكْ
ثُمَّ جَاءَ الدُّجى.. فأمسيتُ أوراقاً، بِدَاداً، من ذابلاتِ الورودِ [4]
وَضَبَاباً مِنَ الشَّذى، يتلاشى ... بين هولِ الدُّجى وصمتِ الوُجودِ
كنتُ في فجرِكَ المغلَّفِ بالسِّحرِ، ... فضَاءً مِنَ النَّشِيدِ الهادي
وسَحَاباً مِنَ الرُّؤى، يتهادى ... في ضميرِ الآزالِ والآبادِ [5]
وَضِياءً، يُعَانِقُ العالَمَ الرَّحْبَ ... ويَسْرِي في كلِّ خافٍ وَبَادِ [6]
وانقضى الفجرُ..، فانحدرتُ مِنَ ... الأفقِ تراباً إلى صَمِيمِ الوادي

* * *

يا صميمَ الحياةِ! كم أنا في الدُّ ... نيا غريبٌ أشقى بغُرْبَةِ نفسي
بين قومٍ، لا يَفْهَمُون أناشيـ ... ـدَ فؤادي، ولا معانيَ بؤسي
في وجودٍ مكبَّلٍ بقيودٍ ... تائهٍ في ظلامِ شكٍّ ونحسِ
فاحتضِنِّي، وضُمَّني لكَ - كالما ... ضي - فهذا الوجودُ عِلَّةُ يأسي

* * *

---

(1) نظمها في ٥ شعبان ١٣٤٩ هـ/ ٢٦ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٠ م.

(2) صميم الحياة، يعني وسطها، وصميم الشيء: خالصه. المدلج: الذي يسير من أول الليل.

(3) الرحيق: الخمرة.

(4) الدجى: الظلام. بداد: متفرقة.

(5) يتهادى: يتمايل. الآزال: جمع الأزل. القِدَم. الآباد: جمع الأبد: الدهر، والقديم، والدائم.

(6) يسري: يسير ليلاً. الخافي والبادي: يعني المستتر والظاهر.

لم أجد في الوجود إلا شقاءً سَرْمديّاً، ولذَّةً، مُضْمَحِلَّهْ[1]

وأمانيَّ، يُغرِقُ الدَّمعُ أحلاها ويُفني يَمُّ الزَّمانِ صَداها

وأناشيدَ، يأكُلُ اللّهَبُ الدّامي مَسَرَّاتِها، ويُبْقي أساها

وَوُروداً، تموت في قبضةِ الأشْواكِ ما هذه الحياةُ المملَّةْ؟!

سَأمٌ هذه الحياةُ مُعَادٌ وصباحٌ، يكرُّ في إثرِ ليل

ليتني لم أفِدْ إلى هذه الدّنيا، ولم تَسْبَحِ الكواكِبُ حولي![2]

ليتني لم يعانقِ الفجْرُ أحلامي، وَلَمْ يَلْثُمِ الضِّياءُ جفوني!

ليتني لم أزلْ - كما كنتُ - ضوءاً شائعاً في الوجود، غير سَجِينِ!

---

(١) السرمدي، الدائم والطويل من الليالي. مضمحل: المتقلل. والضَّحل: الماء القليل على الأرض.

(٢) لم أفد: لم آت.

قافية اللّام

قلب الأم[1]

[من الكامل]

يا أيُّها الطِّفلُ الَّذي | قَدْ كانَ كالَّلحنِ الجَميلْ
والوردةِ البيضاءِ، تَغـ | ـبُقُ في غِيَابَاتِ الأصيلْ[2]
يا أيُّها الطِّفلُ الذي | قَدْ كانَ في هذا الوُجُودْ
فَرِحاً، يُناجي فتنةَ الـ | ـدُّنيا بمعسول النَّشِيدْ
ها أنتَ ذا قَدْ أطْبَقَتْ | جفنَيْكَ أحْلامُ المَنُونْ
وَتَطَايَرتْ زُمَرُ الملا | ئِكِ حول مضجعِكَ الامينْ
ومضتْ بروحكَ للسَّمـ | ـاءِ عَرَائِسُ النُّورِ الحبيبْ
يحمِلْنَ تيجاناً، مُذَهَّـ | ـبَةً، مِنَ الزَّهَرِ الغَريبْ
ها أنتَ ذا قد جلَّلَتْـ | ـكَ سَكِينةُ الأبدِ الكبيرْ
وبَكَتْكَ هاتيكَ القُلُو | بُ، وضمَّك القبرُ الصغيرْ
وتفرَّق النَّاسُ الذيـ | ـن إلى المقابرِ شيَّعُوكْ
ونَسُوكَ من دنياهُمُ، | حتَّى كأنْ لم يَعْرفوكْ
شَغَلَتْهُمُ عنكَ الحياةُ، | وَحَرْبُ هذي الكائناتْ
إنَّ الحَيَاةَ - وقد قضيْـ | ـتَ قُبَيْلَ معرفةِ الحياةْ -
بحرٌ، قَرَارَتُهُ الردى | ونشيدُ لجتِه، شَكَاةْ[3]
وعلى شَوَاطِئه القُلُو | بُ تئنُّ، داميةً عُراةْ
بحرٌ، تجيشُ به العَوا | صفُ في العَشِيَّةِ والغداةْ

---

(١) نظمها في ٥ شعبان ١٣٥٠ هـ/ ١٦ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣١ م.

(٢) الغيابة: ما سترك. الأصيل: وقت ما قبل الغروب.

(٣) الردى: الهلاك. اللجة: معظم الماء. الشَّكاة: المرض.

وتُظلّهُ سُحُبُ الظّلامِ فَلا سكونَ ولا إياةْ[١]
نَسِيَتْكَ أمواجُ البُحَيْرَةِ، والنُّجومُ اللّامعةْ
والبُلبلُ الشّادي، وهاتيكَ المروجُ الشّاسِعةْ
وَجَداولُ الوادي النَّضيرِ برقْصِها وَخَريرِها[٢]
ومسالكُ الجبلِ الصغيرِ بِعُشْبِها وزُهورها
حتّى الرِّفاقُ..، فإنّهمْ لبثوا مدىً يتساءلونْ
في حيرةٍ مشبوبةٍ: «أين اختفى هذا الأمينْ؟»[٣]
لكنّهمْ علِموا بأنَّكَ في اللّيالي الدّاجيةْ[٤]
حملتكَ غِيلانُ الظّلامِ إلى الجبالِ النّائيةْ[٥]
فَنَسُوكَ مثلَ النّاسِ....، وانصرفوا إلى اللّهْوِ الجميلْ
بينَ الخمائلِ والجداولِ، والرَّوابي، والسُّهولْ[٦]
ونسُوا وداعةَ وجهكَ الهادي، ومنظَرَكَ الوسيمْ
ونسُوا تَغَنِّيكَ الجميلَ بِصَوتكَ الحلوِ، الرخيمْ[٧]
ومضوا إلى المرْجِ البَهيجِ، يطارِدُون طيورَهُ
ويُزحزِحون صُخورَهُ ويعابِثونَ زُهورَهُ
ويشيِّدونَ من الرِّمالِ البيضِ والحَصَبِ النضيرْ[٨]
غُرَفاً، وأكواخاً تُكلِّلُها الحَشائشُ والزُّهورْ
ويُنضِّدون من الرُّبَى بينَ التَّضاحُكِ والحُبُورْ[٩]
طاقاتِ وردٍ، آبدٍ تُزري بأورادِ القُصورْ[١٠]
يُلقُونها في النّهرِ قُرباناً لآلهةِ السُّرورْ

---

(١) إياة: إقامة.
(٢) النضير: شديدة الخضرة.
(٣) مشبوبة: متوقدة.
(٤) الداجية: المظلمة.
(٥) الغيلان: جمع الغول: الهلكة، والداهية، والسّعلاة.
(٦) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثيف الملتف. الروابي: جمع الرابية: المرتفع من الأرض.
(٧) الصوت الرخيم: الليّن السهل.
(٨) الحصب: الحجارة، واحدتها حَصَبة.
(٩) ينضدون: يضمون الأشياء بعضها إلى بعض. الحبور: السرور.
(١٠) تزري، أي تحتقر. آبد: قديم، أو دائم. اوراد: ورد.

فَتَسِيرُ في التيَّار، را قصةً على نَغَم الخرير
كلُّ نسُوكَ، ولم يعودوا يذكرونك في الحياة
والدَّهر يَدْفُنُ في ظلام الموتِ حتَّى الذِّكريات
إلا فؤاداً، ظلَّ يخفُقُ في الوجود إلى لِقَاك
ويودُّ لو بَذَلَ الحيَا ةَ إلى المنيَّةِ، وافتَداك
فإذا رأى طفلاً بكاكَ وإن رأى شبَحاً دعاك
يُصغِي لصوتِكَ في الوجـ ـود، ولا يرى إلَّا بَهاك
يُصغي لنغمتكَ الجميـ ـلةِ في خريرِ السَّاقِية
في رنَّةِ المزْمارِ في لغوِ الطُّيور الشَّادية[1]
في ضَجَّةِ البَحر المجلجِل في هَدير العَاصِفة[2]
في لُجَّة الغَابَاتِ، في صوتِ الرعودِ القَاصِفة[3]
في نُغْيَةِ الحَمَلِ الوَديعِ وفي أناشيدِ الرُّعاة[4]
بين المروجِ الخُضْرِ والـ ـنَّفْحِ المجلَّلِ بالنَّبات
في آهة الشَّاكي، وضو ضاءِ الجموعِ الصَّاخبة
في شهقةِ البَاكي يؤجِّـ ـجُها نُواحُ النَّادبة
في كلِّ أصواتِ الوُجو دِ: طروبِهَا وكئيبِها
ورخيمِها، وعنيفِها وبغيضِها، وحبيبِها[5]
ويراكَ في صُوَرِ الطَّبيـ ـعةِ: حُلوِها، وذميمِها
وحزينِها وبهيجِها وحقيرِها وعظيمِها
في رقَّةِ الفجرِ الوديعِ وفي اللَّيالي الحالمة
في فتنةِ الشَّفقِ البديعِ وفي النجوم الباسمة
في رقصِ أمواجِ البحيـ ـرة، تحْتَ أضواءِ النُّجوم
في سِحْرِ أزهارِ الرَّبيعِ وفي تهاويلِ الغُيوم[6]

---

(١) المزمار: آلة موسيقية. اللغو: الكلام، أو ما لا يُعتد به من الحديث.
(٢) المجلجل: المدوّي.
(٣) اللجة، هنا بمعنى الكثرة.
(٤) النُّغية: أول الخبر قبل أن تستثبته. ونغى: تكلم بكلام يُفهم، وأراد ههنا صوت الحَمَل.
(٥) الصوت الرخيم: السهل اللين.
(٦) التهاويل: الألوان المختلفة.

في لَمْعَةِ البرق الخَفُوقِ ... وفي هُوِيِّ الصَّاعقةْ[1]
في ذِلَّةِ الوادي، وفي ... كِبْرِ الجبال الشَّاهقةْ
في مَشْهَدِ الغابِ الكئيبِ ... وفي الورود العاويةْ[2]
في ظُلْمة اللَّيل الحزين، ... وفي الكُهوفِ العاريةْ
أعَرفتَ هذا القلْبَ في ... ظلماءِ هاتيكَ اللُّحُودْ؟[3]
هُوَ قَلْبُ أُمِّكَ، أُمِّكَ ... السَّكْرَى بأحزانِ الوجودْ
هو ذلك القَلْبُ الذي ... سيَعيشُ كالشَّادي الضريرْ
يشدُو بشكْوى حزنِهِ الدَّا ... جي إلى النَّفَسِ الأخيرْ[4]
لا ربَّةُ النِّسْيانِ ترحمُ ... حُزْنَهُ وترى شقاهْ
كلا! ولا الأيامُ تُبْلي ... في أناملِها أساهْ[5]
إلا إذا ضَفَرَتْ لهُ الأقْـ ... ـدَارُ إكليلَ الجنونْ![6]
وغدا شقِيّاً ضاحكاً ... تلهو بمرآهُ الشُّئُونْ
هو ذلك القلبُ الذي ... مهما تقلَّبتِ الحياةْ
وتدفَّعَ الزَّمَنُ المُدَمْدِمُ ... في شِعَابِ الكائناتْ[7]
وتغنَّتِ الدُّنيا، وغرَّ ... دَ بلبلُ الغَابِ الجميلْ
سَيَظلُّ يعبُدُ ذكريا ... تِكِ: لا يَمَلُّ، ولا يميلْ
كالأرض: تمشي فوق تُر ... بَتِها المسرَّةُ، والشَّبابْ
والليلُ، والفجرُ المجنَّحُ ... والعواصفُ والسَّحابْ
والحبُّ تَنْبُتُ في موا ... طِنِه الشَّقائِقُ، والورودْ
والموتُ يَحْفرُ - أينما ... يخطو - المقابرَ واللحودْ

---

(١) الهُوِيّ: السقوط من علوٍ إلى سُفل. الصاعقة: العذاب، والصاعقة: الهلاك، والموت، ونار تسقط من السماء.
(٢) ورود: جمع ورد، وهي بمعنى أسد، ههنا.
(٣) لحود: جمع لحد: قبر.
(٤) الداجي: المظلم.
(٥) الأنامل: رؤوس الأصابع والواحدة: الأنمُلَة. الأسى: الحزن. تُبلي: تدرس.
(٦) ضفر الحبل: فتله. وضَفْر الشّعر: نسج بعضه على بعض عريضاً.
(٧) المدمدم: الغاضب. الشِّعاب: جمع الشعبة: الطائفة من الشيء.

وتمر بين فجاجها الـلّذاتُ، حالمةً، تميدْ[1]
سكرى، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفقِ البعيدْ...[2]
وَتَظَلُّ تَرْقُصُ للأسى للّهْوِ، أشْبَاحُ الدُّهورْ
حتّى يُوَارِيَها ضَبَا بُ الموتِ في وادي الدُّثورْ[3]
وَتَظَلُّ تُورِقُ، ثمّ تُزْهِرُ ثُمّ يَنْشُرُها الصَّبَاحْ
للموتِ، للشّوكِ الممزّقِ للجَداولِ، للرِّيَاحْ
بَسَمَاتُ ثَغْرٍ، حالمٍ يفترُّ في سَهْوِ السُّرورْ
وَوُرودُ روضٍ، باسِمٍ يُصغي لألحانِ الطُّيورْ
وتظلُّ تخفقُ، ثمّ تشْدُو ثمّ يطويها التّرابْ
قَبْلٌ، وأطيارٌ، تُغرِّدُ للحياةِ وللشّبابْ
وتظلُّ تمشي في جوَارِ الموتِ أفراحُ الحياةْ!...
ويغرِّدُ الشّحرورُ ما بيْـ ـنَ الجَمَاجِمِ والرُّفاتْ[4]
والأرضُ حالمةٌ: تغنّي بين أسرابِ النّجومْ
أنشودةَ الماضي البعيدِ وسُورةَ الأزلِ القديمْ...

أراكِ[5]

[من المتقارب]

أراكِ، فَتَحْلو لَدَيّ الحياةُ ويملأُ نَفسي صَبَاحُ الأملْ
وتنمو بصدري وُرُودٌ، عِذابٌ وتحنو على قلبيَ المشتَعِلْ
ويفتِنُني فيكِ فيضُ الحياةِ وذاكَ الشّبابُ، الوديعُ، الثَّمِلْ[6]
ويفتنُني سِحْرُ تلك الشِّفاهِ ترفرفُ مِنْ حَوْلِهِنّ القُبَلْ
فأعبُدُ فيكِ جمالَ السَّماءِ، ورقّةَ وَرْدِ الرّبيعِ، الخضِلْ[7]

---

(١) الفِجاج: جمع الفَج: الطريق الواسع بين جبلين. تميد: تضطرب.
(٢) ترنو: من الرَّنو. إدامة النظر بسكون الطَّرْف، وهو مع شغل قلب، وإعجاب.
(٣) يواري: يخفي ويستر. الدثور: الامّحاء.
(٤) الرُّفات: الحطام.
(٥) الأزَل: القِدَم.
نظمها في ١١ جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ/ ٢٤ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٣١ م.
(٦) الثمِل: السكران.
(٧) الخضِل: الندي.

وطُهْرَ الثلوجِ، وسِحْرَ المروج مُوَشَّحَةً بِشُعاعِ الطَّفَلْ[1]

* * *

أراكِ، فأُخْلَقُ خلقاً جديداً كأنّيَ لَمْ أبْلُ حربَ الوجودْ[2]
ولم أحتمل فيه عِبئاً، ثقيلاً من الذِّكْرَياتِ التي لا تَبيدْ[3]
وأضغاثَ أيّاميَ، الغابراتِ وفيها الشَّقيُّ، وفيها السَّعيدْ[4]
ويغْمُرُ روحي ضِياءٌ، رَفيقٌ تُكلّله رَائعاتُ الورودْ
وتُسْمِعُني هاتِهِ الكائِنَاتُ رقيقَ الأغاني، وَحُلْوَ النَّشيدْ
وَتَرْقُصُ حولي أمانٍ، طِرابٌ وأفراحُ عُمْرٍ خَليٍّ، سَعيدْ

* * *

أراكِ، فتخفُقُ أعصابُ قلبي وتهتَزُّ مِثْلَ اهتزازِ الوَتَرْ
ويُجري عليها الهوى، في حُنُوٍّ أناملَ، لُدْناً، كَرَطْبَ الزَّهَرْ[5]
فتخطو أناشيدُ قلبيَ، سكْرَى تغرِّدُ، تَحْتَ ظِلالِ القَمَرْ
وتملأني نَشْوةٌ، لا تُحَدُّ كأنِّيَ أصْبَحْتُ فوقَ البَشَرْ
أودُّ بروحي عِناقَ الوجودِ بما فيه من أنفُسٍ، أو شَجَرْ
وليلٍ يفرُّ، وفجرٍ يكرُّ وغَيْمٍ، يوَشِّي رداءَ السَّحَرْ

زوبعة في ظلام[6]

[من السّريع]

لو كَانَتِ الأيّامُ في قبضتي أذَرْتُها للرِّيحِ، مِثْلَ الرمالْ
وقلتُ: «يا ريحُ، بها فاذهبي وبدِّديها في سحيقِ الجبالْ[7]

(١) طفل العشي: أحره عند الغروب.
(٢) لم أبلُ: لم أختبر.
(٣) لا تبيد: لا تذهب، لا تنقطع.
(٤) ضغث الحديث: خلطه.
(٥) الأنامل: رؤوس الأصابع. اللدن: اللين.
(٦) نظمها في ٧ رمضان ١٣٥٢ هـ/ ٢٤ ديسمبر. كانون الأول ١٩٣٣ م.
(٧) بذد: فرّق.

«بـل في فـجـاجِ المـوتِ.. في عـالمٍ لا يـرقُصُ الـنّـورُ بِـهِ والـظُّلالْ..

* * *

لـو كـان هـذا الـكـونُ في قبـضـتي ألـقيْـتُـه في النّـار، نـارِ الجـحـيـمْ

مـا هـذه الـدّنـيـا، وهـذا الـورى وذلـكَ الأُفـقُ، وَتِـلْكَ الـنُّـجُـومْ؟

الـنّـارُ أَوْلى بـعـبـيـدِ الأسى، ومـسـرحِ المـوتِ، وعشِّ الهـمـومْ

يـا أيّهـا المـاضي الـذي قـد قَضى وضـمَّـهُ المـوتُ، ولـيـلُ الأبَـدْ

يـا حـاضِرَ الـنّـاسِ الـذي لم يَـزل! يـا أيُّهـا الآتي الـذي لم يَـلِدْ

سَـخَـافَـةٌ دنـيـاكُـمُ هـذه تـائـهـةٌ في ظـلـمـةٍ لا تُحَـدْ..

غرفة من يـمّ(١)

[من البسيط]

ضُـعْفُ الـعَـزيمَـةِ لَحْـدٌ، في سكِـينَـتِـهِ تقضي الحياةُ، بَنَاهُ اليـأسُ والـوجـلُ(٢)

وفي الـعَـزيمَـةِ قُـوّاتٌ، مُـسَـخَّـرَةٌ يخِـرُّ دُونَ مَـداهَـا الشَّـامِـخُ الجَـبَـلُ

وَالنّـاسُ شَخْصَانِ: ذَا يَسْعَى بِـهِ قـدَمٌ مِنَ القُنُـوطِ، وَذَا يَسْعَى بِـهِ الأمَـلُ(٣)

هـذا إلى الموت، والأجْدَاثُ سَاخِـرةٌ، وَذَا إلى المَجْـدِ، والـدُّنْيَـا لَـهُ خَـوَلُ(٤)

مَـا كُـلُّ فِعْـلٍ يُجِـلُّ النَّـاسُ فَـاعِـلَهُ مَجْـداً، فـإنَّ الـوَرَى في رَأْيِهِمْ خَـطَلُ(٥)

فَـفِي التَّمَـاجُـدِ تَمْـوِيـهٌ، وشَـعْـوَذَةٌ، وَفِي الحَقِيقَـةِ مَـا لا يُـدْرِكُ الـدَّجِـلُ(٦)

مَـا المَجْـدُ إلاّ ابْتِسَـامَـاتٌ يَفِيضُ بهـا فَمُ الـزمـانْ، إذَا مَـا انْسَـدَّتِ الحِيَـلُ

وَلَيْسَ بِـالمَجْـدِ مَـا تَـشْقَى الحَيَـاةُ بِـهِ فَيَحْسُـدُ اليـوْمُ أمْسـاً، ضَمَّـهُ الأزَلُ(٧)

فَـمَا الحُـرُوب سِـوَى وَحْشِيَّـةٍ، نَهَضَتْ في أَنْفُسِ النَّـاسِ، فَانْقَـادَتْ لَهَـا الـدُّوَلُ

وَأَيْقَـظَتْ في قُلُوبِ النَّـاسِ عَـاصِفَـةً غَـامَ الـوُجُـودُ لهـا، وارْبَـدَّت السُّبُـلُ(٨)

---

(١) نظمها في ١٣ رمضان ١٣٤٤ هـ/٢٧ مارس - آذار ١٩٢٦ م.
(٢) الوجل: الخوف.
(٣) القنوط: اليأس.
(٤) الأجداث: جمع الجدث: القبر. الخَوَل: ما أعطاك الله تعالى من النَّعم والعبيد والإماء.
(٥) الورى: الخَلق. الخَطَل: فساد الرأي.
(٦) التمويه، أي: التضليل. الدَّجِل: الكاذب.
(٧) الأزل: القِدم.
(٨) ارْبَدَّ: صار لونه إلى الغُبرة.

فَـالـدَّهْـرُ مُنْتَعِـلٌ بـالنَّـارِ، مُلْتَحِـفٌ ... بِـالهَوْلِ، والـوَيْـلِ، والأيـامُ تَشْتَعِـلُ
وَالأَرْضُ دَامِيَـةٌ، بِـالإِثْـمِ طَـامِيَـةٌ، ... وَمَـارِدُ الشَّرِّ في أَرْجَـائِـهَـا ثَـمِـلُ[1]
وَالمَـوتُ كَـالمَـارِدِ الجَبَّـارِ، مُنْتَـصِـبٌ ... في الأَرْضِ، يَخْطُفُ مَنْ قَدْ خَانَهُ الأَجَـلُ
وَفي المَـهَـامِـهِ أَشْـلاءٌ، مُمَـزَّقَـةٌ ... تَتْلُو عـلى القَفْـرِ شِعْـراً، لَيْسَ يُنْتَحَلُ[2]

ذكرى صباح[3]

[من الخفيف]

قـدَّسَ الـلَّهُ ذِكْـرَهُ مِـنْ صَـبَـاحٍ ... سَـاحِـرٍ، في ظِـلالِ غـابٍ جمـيـلِ
كـان فيـه النَّسيمُ، يـرقُصُ سَكْـرانـاً ... عـلى الـوردِ، والـنَّبـاتِ الـبَـليـلِ[4]
وضَـبَـابُ الجبـالِ، يَنْسَـابُ في رفقٍ ... بـديـعٍ، عـلى مُـروجِ الـسُّـهـولِ
وأغـاني الـرُّعـاةِ، تخـفُـقُ في الأغـوارِ ... والـسَّـهْـلِ، والـرُّبَى، والـتُّـلولِ[5]
ورحـابُ الـفضـاءِ، تَـعْبُقُ بـالألحـانِ ... والـعِـطْرِ، والـضِّـيَـاءِ الجَـمـيـلِ[6]
والمـلاكُ الجـمـيـلُ، مـا بـين ريحـانٍ ... وعُـشْـبٍ، وسِـنـديـانٍ، ظَـلـيـلِ
يتغنَّى مـع الـعَـصَـافِـيرِ، في الـغَـابِ ... ويـرنـو إلى الـضَّـبـابِ الـكَـسُـولِ[7]
وشـعـورُ المـلاكِ تـرقُصُ بـالأزهـارِ ... والـضـوءِ، والـنَّـسـيـمِ الـعَـلـيـلِ
حُـلُمٌ سـاحـرٌ، بـه حَـلُمَ الـغـابُ ... فَـواهـاً لِحُـلْـمِـهِ المَـعْـسُـولِ!
مِـثْـلُ رؤيـا تَلوحُ لـلشَّـاعِـرِ الـفنَّـانِ ... في نـشـوةِ الخـيـالِ الجَـلـيـلِ
قـد تَمَـلَّيْـتُ سِـحْـرَهُ في أنـاةٍ ... وحـنـانٍ، وَلَـذَّةٍ، وَذُهُـولِ[8]
ثُمَّ نـاديتُ، حينـما طفـحَ الـسِّـحْـرُ ... بـأرجـاءِ قَـلـبـيَ المبـتـولِ[9]

---

(١) طامية: يغمرها الماء.

(٢) المهامه: جمع المهمة: المفازة البعيدة. القفر: الخلاء من الأرض. الأشلاء: جمع الشلو: العضو. يُنتَحل: ينسب إلى غير صاحبه.

(٣) نظمها في ١٢ ذي القعدة ١٣٥١ هـ/ ٩ مارس ـ آذار ١٩٣٣ م.

(٤) البليل: المبلل.

(٥) الأغوار: جمع الغَور: القعر. الربى: جمع الرابية: التلّة.

(٦) عبق به الطيب: لزق به.

(٧) يرنو: يديم النظر بسكون الطَّرْف، ويُعجب بالشيء.

(٨) الأناة: الصبر والحلم.

(٩) المبتول: المنقطع.

يا شُعُورٌ تميدُ في الغابِ بالرَّ يحان، والنّورِ، والنَّسيمِ البَليل[1]
كَبِّليني بهاتِهِ الخِصَلِ المرخَاةِ في فتنةِ الدَّلالِ المَلُول[2]
كَبِّلي يا سَلاسلَ الحبِّ أفكاري، وأحلامَ قلبيَ الضِّلِّيل[3]
كبِّليني بكلِّ ما فيكِ من عِطْرٍ وسحرٍ مُقَدَّسٍ، مَجْهول
كبِّليني، فإنَّما يُصْبِحُ الفنَّانُ حرّاً، في مثلِ هذي الكبُول[4]

* * *

ليت شعري! كَمْ بينَ أمواجِكِ السّودِ، وطيّاتِ ليلِكِ المسدول[5]
من غرامٍ، مذَهَّبِ التّاجِ، مَيْتٍ وفؤادٍ، مصفَّدٍ، مغلول[6]
وزهورٍ من الأمانيِّ تذوي في شُحُوبٍ، وخيبةٍ، وخمول[7]
أنتِ لا تعلمين. . ، واللَّيلُ لا يعلَمُ كَمْ في ظلامِهِ مِنْ قَتِيلِ
أنتِ أُرْجُوحَةُ النَّسيمِ فميلي بالنَّسيمِ السَّعيدِ كلَّ مَميلِ
ودَعي الشَّمسَ والسَّماءَ تُسَوِّي لكِ تاجاً، من الضّياءِ الجميلِ
ودعي مُزهِرَ الغُصُونِ يُغَشِّيكِ بأوراقِ وَردِهِ المطلول[8]

* * *

لِلشُّعاعِ الجميلِ أنتِ، وللأنسامِ، والزَّهرِ، فالعبي، وأطيلي
ودعي لِلشقيِّ أشواقه الظّمأى وأوهامَ ذِهْنِهِ المعلولِ
يا عروسَ الجبالِ، يا وردةَ الآمالِ، يا فتنةَ الوجودِ الجليلِ
ليتَني كنتُ زَهْرَةً، تتثنَّى بينَ طيَّاتِ شَعْرِكَ المصقولِ![9]
أو فَراشاً، أحُومُ، حولكِ مسحوراً غريقاً، في نشوتي، وذُهُولي!
أو غصوناً، أحنو عليكِ بأوراقي حُنُوَّ المدلَّهِ، المتبول[10]

---

(١) يميد: يتحرك.
(٢) الملول: الضجِر.
(٣) الضِّلِّيل: كثير الضلال.
(٤) الكبُول: القيود.
(٥) المسدول: المنسدل، أي المسترخي.
(٦) مصفَّد مغلول، أي: مقيَّد.
(٧) تذوي: تذبل.
(٨) المطلول: الذي أصابه الطل، أي الندى.
(٩) تتثنى: تتمايل.
(١٠) المتبول: الذي ذُهب بعقله لشدة الحب. والمدلّه كالمتبول.

أو نسيماً، أضمُّ صدركِ في رِفقٍ، إلى صَدْريَ الخفوقِ، النَّحيلِ
آهِ! كم يُسْعِدُ الجمالُ، ويُشْقي من قلوبَ شِعْريَّةٍ، وعقولِ...

خَلِّه للموت[1]

[من الرَّمل]

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الخَسْفَ، وَمَا مَلَّ مِنْ ذُلِّ الحَيَاةِ الأَرْذَلِ[2]
كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيهِ الدِّمَا دُونَ أَنْ يَثْأَرَ لِلْحَقِّ الجَلي
خَلِّهِ لِلْمَوْتِ يَطْوِيهِ!.. فَمَا حَظُّهُ غَيْرُ الفَنَاءِ الأَنْكَلِ[3]

---

(1) نظمها في ١ محرّم ١٣٤٣ هـ/ ٢ أوت ـ آب أغسطس ١٩٢٤ م.
(2) الخسْف: الذل. يقال: سامه خسْفاً أي ذلاً.
(3) الأنكل: الذي يُنكِّل أي: يلحق الشر والأذى بغيره.

قافية الميم

أكثرت يا قلبي فماذا تروم؟[1]

[من السريع]

يا قلبيَ الدّامي! إلامَ الوُجومْ!؟ يَكْفِيكَ! إنَّ الحُزْنَ فظٌّ، غَشُومْ[2]
هذي كؤوسي مُرّةٌ، كالرَّدى ما مِلْؤُها إلاّ عصيرُ الهُمومْ[3]
وذاك نايِي صامتٌ، وَاجِمٌ يُصغي إلى صوتِ الغَرام القديمْ[4]
يا قلبيَ الباكي إلامَ البُكا؟ ما في فضاءِ الكونِ شيءٌ يَدُومْ
فانثُرْ غُبارَ الحُزْن فوقَ الدُّجى واسمعْ إلى صوتِ الشّبابِ الرخِيمْ[5]
وانقُرْ على دَفِّ الهوى لحنَهُ وارقُصْ مَعَ النُّور الضّحوك الوسيمْ
يا قلبيَ الدّاجي! إلامَ الوُجومْ؟ إن لَمْ ألُمْ قلبي فَمَنْ ذَا ألُومْ؟
ما لَكَ لا تُصْغي لغيرِ الأسى؟ ما لَكَ لاَ ترْنُو لغيرِ الكُلُومْ؟[6]
ما لَكَ قد أصْبَحْتَ لا تصرفُ الأيّامَ إلاّ في شِعَابِ الجَحِيمْ؟
أما تَرَى البُلْبُلَ في غَابِهِ؟ يشدو وفوق الغابِ تخطُو النّجومْ؟
أما ترى الأسْحار تبدو بها الغابات؟ كالأحلام - خلْفَ السّديم؟[7]
أما ترى الآمالَ في سِحْرِهَا؟ أما ترى الليلَ يُنَاغِي النُّجومْ؟[8]

---

(١) نظمها في ١٢ صفر ١٣٤٨ هـ / ٢٠ جويلية - تموز ١٩٢٩ م.

(٢) فظ: غليظ. غشوم: ظلوم.

(٣) الردى: الموت والهلاك.

(٤) الناي: من الآلات الموسيقية. واجم: ساكت على غيظ.

(٥) الرخيم: اللين، السهل. الدجى: الظلام.

(٦) ترنو: تديم النظر بسكون طَرْف، الكُلُوم: الجراح.

(٧) السديم: الضباب الرقيق.

(٨) يناغي: يلاطف.

يـا قـلبيَ الـدّاجي! إلامَ الـوُجـومْ؟ أكـثرت يـا قـلبـي فـماذا تـرومْ؟[1]
هَـلْ تحْـسَـبُ الأيـامَ في زَخْـفِـهَـا تـرثِـي لِمَنْ قَـدْ هـدَّمَتْـهُ الـرّجـومْ،
كَـلّا! فَـإنَّ الـدَّهْـر يمضي ولا يـلوي عـلى مـا خَـلْفَـهُ مِنْ كَـلِيـمْ[2]
والـيـمُّ لا يَـرْثِـي لِمَـنْ طـمَّـهُ والسَّيـلُ لا يبكي لَنَـوْحِ الهَشِيـمْ[3]
والـعَـاصِـفُ الجـبَّـار في سُـخْـطِهِ لا يَـرْحَمُ الغُصْنَ، الـرَّشيقَ، القَـوِيمْ
هـذي هِـيَ الـدُّنـيـا فَـمَـاذَا الأسى يـا قلبي الـدّامي، ومـاذا الـوُجُـومْ!

إلى عازف أعمى[4]

[من مخلّع البسيط]

أدركـتَ فَـجْـرَ الحَـيَـاةِ أعـمـىً وكُـنْـتَ لَا تَـعْـرِفُ الـظَّلامْ
فَـأطْـبَـقَـتْ حَـوْلَـكَ الـدَّيَـاجِـي وَغَـامَ مِـنْ فَـوْقِـكَ الْـغَـمَـامْ[5]
وَعِـشْـتَ في وَحْـشَـةٍ، تـقـاسي خـواطـراً، كـلّهـا ضرامْ
وَغُـرْبَـةٍ، مَـا بِهـا رَفـيـقٌ وظـلمـةٍ، مَـا لَهَـا خِـتَـامْ
تـشـقُّ تِـيـهَ الـوجـودِ فرداً قـد عـضَّـك الـفَـقْـرُ والسَّـقَـامْ[6]
وَطَـاردتْ نَـفْـسَـكَ المـآسي وَفَـرَّ مِـنْ قَـلْبِـكَ الـسَّـلامْ

* * *

هَـوِّنْ عـلَى قـلبـك المـعـنَّى إنْ كُـنْـتَ لَا تُـبْـصِرُ الـنُّـجـومْ
ولا تـرى الـغـابَ، وهْـو يـلغـو وفـوقـه تَخْـطُرُ الـغُـيُـومْ[7]
ولا تـرى الجَـدْوَلَ المـغـنّي وَحَـوْلَـهُ يَـرْقُصُ الـغـيـم
فـكـلّنـا بـائسٌ، جَـديـرٌ بـرأفَـةِ الخَـالِـقِ الـعَـظِـيـمْ

---

(1) الداجي: المظلم. تروم: تطلب، تبغي.
(2) كليم: جريح.
(3) اليم: البحر. الهشيم: نبت يابس متكسّر.
(4) نظمها في ٢٨ صفر ١٣٤٧ هـ/ ١٨ أوت ـ آب أغسطس ١٩٢٨ م.
(5) الدياجي: الحنادس، وكأنه جمع الدَّيجاة.
(6) التيه: الصَّلَف والكبر. السُّقام: المرض.
(7) يلغو: يتكلم، أو يتكلم بما لا يُعتد به.

وكـلُّنـا في الحـيـاة أعـمـى يـسُـوقـه زَعْـزَعٌ عَـقِـيـمْ[1]
وحـولـه تـزْعَـقُ المـنَـايَـا كـأنَّهـا جِـنَّـةُ الجَـحِـيـمْ:[2]

* * *

يـا صـاح! إن الحـيـاة قـفـرٌ مـروِّعٌ، مـاؤه سَرَابْ[3]
لا يجـتـني الـطَّرْفُ مـنـه إلاّ عَـوَاطِـفَ الـشَّـوْكِ والـتُّرابْ
وأسـعـدُ الـنَّـاسِ فـيـه أعـمـى لا يُـبْـصِرُ الهـول والمُـصَـابْ
ولا يـرى أنـفُسَ الـبَرَايـا تَـذُوب في وقْـدَةِ الـعَـذَابْ[4]
فـاحمـد إلـهَ الحـيـاة، واقـنـعْ فـيـهـا بـألْحَـانِـكَ الـعِـذَابْ
وعِشْ، كـما شـاءتِ الـلَّيـالي مـن آهَـةِ الـنَّـاي والـرَّبَـابْ[5]

أغاني التّائـه[6]

[من الرمل]

كَـانَ فِي قَـلـبـيَ فَـجْـرٌ، وَنُـجُـومْ، وَبِـحَـارٌ، لا تُـغَـشِّـيـهـا الـغُـيُـومْ
وأنـاشـيـدُ، وأطـيـارٌ تَحُـومْ ورَبـيـعٌ، مُـشْـرِقٌ، حُـلْوٌ، جَمِـيـلْ
كـان في قـلـبـي صَـبَـاحٌ، وإيـاهْ وابتِـسَـامَـاتٌ ولـكـنْ. . . وأسَـاهْ![7]
آه! مـا أهـولَ إعْـصَـارَ الحـيـاهْ! آه! مـا أشـقـى قُـلُوبَ الـنَّـاسِ! آه!
كَـانَ فِي قَـلـبـيَ فـجـرٌ، ونـجـومْ، فـإذا الـكـلُّ ظَـلاَمٌ وَسَـدِيـمْ. . .[8]
كَانَ في قلبيَ فجرٌ، وَنُجومْ

يـا بـني أمِّي! تُـرى أيـن الـصَّـبَـاحْ؟ قـد تـقضّى العُـمْـرُ والـفَـجْـرُ بـعـيـدْ

---

(١) الزَّعزَع: الأمر الشديد من شدائد الدهر. ريح عقيم أي: شديدة.
(٢) الجِنّة: الجن.
(٣) السَراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.
(٤) الوقدة: شدة الحر. البرايا: المخلوقات الواحدة بريئة.
(٥) الناي والرباب: آلتان موسيقيتان.
(٦) نظمها في ١٥ شوّال ١٣٤٧ هـ/ ٢٧ مارس - آذار ١٩٢٩ م.
(٧) الإياة يعني: الشعاع.
(٨) السديم: السحاب الرقيق.

وَطَغى الوادي بِمَشْبُوبِ النواحْ وانقضَتْ أنشودةُ الفَصْلِ السَّعيدْ[1]
أينَ نايي؟ هل تَرامَتْهُ الرِّياحْ؟ أين غابي؟ أين محرابُ السُّجودْ..؟[2]
خبِّروا قلبي - فما أقسى الجراحْ! - كيف طارت نشوةُ العيشِ الحَميدْ!
يا بني أُمِّي! تُرى أين الصَّباحْ؟ أوراءَ البَحْرِ؟ أمْ خَلْفَ الوُجودْ؟
يا بني أُمِّي؟ تُرى أينَ الصَّباحْ!

* * *

ليت شِعْرِي! هَلْ سَتُسْليني الغداةْ وتعزِّيني عن الأمسِ الفَقيدْ
وتُريني أنَّ أفراحَ الحياةْ زُمَرٌ تمضي، وأفواجٌ تعودْ[3]
فإذا قلبي صَبَاحٌ، وإياه..، وإذا أحلاميَ الأولى وُرُودْ..،
وإذا الشُّحْرورُ حُلْوُ النَّغماتْ..، وإذا الغَابُ ضِيَاءٌ وَنَشيدْ..؟
لَيت شعري! هل سَتُسْلِيني الغَداةْ أم سَتَنْسَاني، وتبقيني وَحيدْ؟
ليتَ شِعْري! هل تُعَزِّيني الغَداةْ؟

ليتَ شعري [4]

[مجزوء الرمل]

مَزَّقَتْ ثوبَ سكونِ الليلِ أنَّاتُ كَليمْ
بين طَيَّات سِجافِ الغاسِقِ، الدَّاجي البهيمْ[5]
حَرَّكَتْ مِنِّي شعورا كان مِنْ قبلُ رميمْ[6]
فتَحَسَّسْتُ مكانَ الصوتِ، في ذاك الأديمْ[7]
فإذا بالأرضِ مُلقى هَيكَلٌ نِضْوٌ كَلُومْ[8]

---

(١) مشبوب: متوقد.
(٢) الناي: من الآلات الموسيقية. المحراب: مقام الإمام من المسجد، وصدر البيت.
(٣) زُمر: جماعات. الواحد: زُمرة.
(٤) القصيدة ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.
(٥) السِّجاف: الشَّق. الداجي: المظلم. الغاسق: الليل.
(٦) الرميم: البقايا المحطَّمة.
(٧) أديم النهار: بياضه.
(٨) نِضو: مهزول. كَلوم: جريح.

عَفَّرَتْهُ التُّرْبُ والعَيْنُ على الخَدِّ سَجومْ[1]
فَتَأَمَّلْتُ مَلِيًّا وجهه تحت الغيومْ
فإذا المُلْقَى بوادي وطني جِسْمُ العلومْ
يا بني الأوطانَ هُبّوا فلقد طال الوجومْ[2]
وانهضوا نهضةَ جَبّارٍ بعزمٍ مُستقيمْ
لَسْتُ أبغي نهضة العاجزِ يتلوها الحُسُومْ
ليتَ شِعري! هل سحابُ الجهل تَذْرُوهُ العقيمْ؟
فترى الأعينُ بَذْرَ العلم قد شقّ الغيوم؟
ليتَ شعري! يا بلادي هل تصافيكِ العلومْ؟

في الظّلام[3]

[من الرمل]

رَفْرَفَتْ في دُجْيَةِ اللَّيْلِ الحَزِينْ زُمرةُ الأحلامْ[4]
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ غَمَامَاتِ الشُّجُونْ مِلْؤُهَا الآلامْ[5]

* * *

شَخَصَتْ، لَمَّا رَأَتْ، عَيْنُ النُّجُومْ بَغْتَةَ العُشَّاقْ
وَرَمَتْهَا مِنْ سَمَاهَا بِرُجُومْ تَسْكُبُ الأَحْرَاقْ[6]

* * *

كُنْتُ إذْ ذَاكَ عَلَى ثَوْبِ السُّكُونْ أَنْثُرُ الأَحْزَانْ
وَالهَوى يَسْكُبُ أَصْدَاءَ المَنُونْ في فُؤَادٍ فَانْ[7]

---

(١) سجوم: تذرف الدمع.
(٢) الوجوم: العبوس.
(٣) نظمها في ٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ/٢٧ جوان ـ حزيران ١٩٢٥ م.
(٤) الزمرة: الجماعة. الدجية: الظلمة.
(٥) الشجون: الأحزان.
(٦) الرجوم: جمع الرَّجْم: ما يُرجم به من حجارة أو غيره. رجمه: قذفه.
(٧) المنون: الموت. الفاني: الذي يفنى.

سَاكِتاً مِثْلَ جَمِيعِ الكَائِنَاتْ رَاكِدَ الألحَانْ[1]
هَائِمٌ قَلْبِي بِأَعْمَاقِ الحَيَاةْ تَائِهٌ، حَيْرَان

* * *

إنَّ لِلحبِّ عَلى النَّاسِ يَداً تَقْصِفُ الأعْمَارْ
وَلَهُ فَجْرٌ على طُولِ المدى سَاطِعُ الأنْوَارْ
ثَوْرَةُ الشرِّ، وأحْلامُ السَّلامْ، وَجَمالُ النُّورْ
وابتسامُ الفَجْرِ في حُزْنِ الظَّلامْ، في العيونِ الحُورْ[2]

صوت تائه[3]

[من الكمال]

قَضَّيْتُ أدْوارَ الحياةِ، مُفَكِّراً في الكَائِنَاتِ، مُعَذَّباً، مَهْمُوماً
فَوَجَدْتُ أعراسَ الوُجود مآتماً ووجدتُ فِرْدَوسَ الزَّمانِ جَحيماً
تَذْوي مَخارِمُهُ بِضَجَّةِ صَرْصَرٍ، مشبوبةٍ، تَذَرُ الجبلَ هَشِيماً[4]
وَحَضَرْتُ مَائِدَةَ الحياة فَلَمْ أَجِدْ إلا شراباً، آجناً، مَسْمُوماً[5]
وَنَفضْتُ أعماقَ الفضَاءِ، فَلَمْ أَجِدْ إلاَّ سُكوناً، مُتعَباً مَحْمُوماً
تَتَبَخَّرُ الأعْمارُ في جَنَبَاتِهِ وَتَموتُ أشواقُ النُّفوسِ وُجُوماً[6]
وَلَمَسْتُ أوتارَ الدُّهورِ، فَلَمْ تُفِضْ إلا أنيناً، دامياً، مَكْلُوماً[7]
يَتْلُو أقاصيصَ التَّعاسةِ والأسى ويُصيرُ أفراحَ الحياةِ هُمُوماً
شُرِّدْتُ عَنْ وطني الجميل.. أنا الشَّقِـيُّ، فَعِشْتُ مَشْطورَ الفؤادِ، يتيماً...
في غُربةٍ، رُوحيَّةٍ، مَلْعُونةٍ أشواقُها تَقْضي، عِطاشاً، هِيماً...[8]

---

(1) راكد: ثابت، جامد.
(2) الحَوَر: شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها مع اتّساع.
(3) نظمها في ٣ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ/ ٢٠ أوت - أغسطس آب ١٩٢٨ م.
(4) المخارم: جمع المخرم وهو من الجبل: أنفه. والمخارم: الطرق في الغِلظ. ريح صَرصَر: أي: شديدة الصوت. تذر: تترك. الهشيم: الأرض التي يبس شجرها.
(5) الشراب الآجن: الشراب المتغير.
(6) الوُجوم: العُبوس.
(7) مكلوم: جريح.
(8) هيم: أي، عطاش.

يـا غُـربـةَ، الـرُّوحِ المُـفـكِّـرا إنَّـهُ ... في النَّـاسِ يحيا، سـائـماً، مَشْؤومـاً[1]
شُرِدَتْ لِـلدُّنـيـا. . وَكُـلٌّ تـائـهٌ ... فـيـهـا يُـرَوِّعُ رَاحـلاً ومـقـيـماً
يـدعـو الحياةَ، فلا يُجيبُ سـوى الرَّدى ... لـيـدُسَّـهُ تَحْـتَ الـتُّرابِ رَمـيـماً[2]
وتَـظَلُّ سَـائِـرةً، كـأنَّ فـقـيـدهـا ... مَـا كَـانَ يـومـاً صَـاحـبـاً وحميـماً! [3]

* * *

يـا أيُّهـا السَّـاري! لقـد طـال السُّرى ... حتَّام تَرْقُبُ في الظَّلامِ نُجُوماً. . . ؟[4]
أتَخَـالُ في الـوادي الـبعيـدِ المـرْتَجى؟ ... هيهـاتَ! لَـنْ تَلْقَى هنـاكَ مَـرُومـاً[5]
سِرْ مـا اسْـتَطَعْتَ، فَسَـوْفَ تُلفِي - مثلما ... خلَّفتَ - مَشُـوقَ الغُـصـونِ حَـطِيـماً[6]

إلى الشَّعب[7]

[من الخفيف]

أينَ يـا شعبُ قلبُـكَ الخَـافقُ الحسَّـاسُ؟ ... أيـنَ الـطُّمـوحُ. والأحْـلامُ؟
أين يـا شعبُ، رُوحُـكَ الشَّـاعـرُ الفنَّـانُ ... أيـنَ، الخـيـالُ والإلهـامُ؟
أين يـا شعبُ، فنُّـك السَّـاحـرُ الخـلّاقُ؟ ... أيـنَ الـرُّسـومُ والأنـغـامُ؟
إنَّ يَـمَّ الحـيـاةِ يَـدْوِي حـوالَـيْـكَ ... فـأيـنَ المُـغـامِـرُ، المِـقْـدَامُ[8]
أيـنَ عَـزْمُ الحـيـاةِ؟ لا شيءَ إلَّا ... المـوتُ، والصمْتُ، والأسى، والـظَّلامُ
عُـمُـرٌ مَـيِّـتٌ، وَقَـلْـبٌ خَـواءٌ ... ودمٌ، لا تُـثـيـرُهُ الآلامُ[9]
وحـيـاةٌ، تَـنـامُ في ظُـلْـمـةِ الـوادي ... وتـنـمـو مـن فـوقـهـا الأوهـامُ
أيُّ عـيـشٍ هـذا، وأيُّ حـيـاةٍ؟! ... (رُبَّ عيشٍ أخفُّ مـنـه الحِـمَـامُ)[10]

---

(١) السائم: المكلّف في أمرٍ يُعذب فيه.
(٢) الردى: الهلاك. الرميم: البالي.
(٣) الحميم: القريب.
(٤) الساري: الذي يسير في الليل. والسرى: سير الليل.
(٥) المروم: المطلوب.
(٦) تلفي: تجد. حطيم: محطّم.
(٧) نظمها في ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٢هـ/ ١٥ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٥٣ م.
(٨) اليم: البحر.
(٩) خوّاء: فارغ.
(١٠) العجز من بيت للمتنبي.
والحِمام: قضاء الموت وقدره.

قد مشتْ حولكَ الفُصولُ وغَنَّتْكَ فلَمْ تبتهجْ، ولَمْ تترنَّمْ
ودَوَتْ فوقكَ العَواصِفُ وأنواءُ حتّى أوْشَكْتَ أن تتحطَّمْ[1]
وأطافَتْ بكَ الوُحوشُ وناشتْكَ فلم تَضْطَرِبْ، ولم تتألَّمْ[2]
يا إلهي أما تحسُّ؟ أمَا تشدو؟ أما تشتكي؟ أما تتكلَّمْ؟[3]
ملَّ نهرُ الزّمانِ أيّامَكَ الموتَى وأنقاضَ عُمرِكَ المتهدِّمْ
أنتَ لا ميِّتٌ فيبلَى، ولا حيٌّ فيمشي، بل كائنٌ، ليس يُفْهَمْ
أبداً يرمقُ الفراغَ بطرفٍ جامدٍ، يرى العوالِمَ، مُظْلِمْ[4]
أيُّ سِحْرٍ دهاكَ، هَلْ أنتَ مسحورٌ شقيٌّ؟ أم ماردٌ، يَتَهكَّمْ؟

* * *

آه! بل أنتَ في الشُّعوبِ عجوزٌ، فيلسوفٌ، محطَّمٌ في إهابِهْ[5]
ماتَ شوقُ الشَّبابِ في قلبِه الذّاوي، وعزمُ الحياةِ في أعصابِهْ[6]
فمضى يَنْشُدُ السَّلامَ... بعيداً.. «في قبورِ الزّمانِ» خلفَ هضابِهْ[7]
وهناكَ، اصطفى البقاءَ مع الأمواتِ، «في قبرِ أمسِهِ» غيرَ آبِهْ...[8]
وارتضى القبرَ مسكناً، تتلاشى فيه أيّامُ عُمرِهِ المتشابِهْ
وتناسى الحياةَ، والزَّمَنَ الذّاوي وما كانَ مِنْ قديمِ رِغابِهْ
فالْزَمِ القبرَ، فَهُوَ بيتٌ، شبيهٌ بكَ في صَمْتِ قلبِهِ، وخرابِهِ
واعبدِ «الأمسَ» وادَّكِرْ صُوَرَ الماضي فدُنْيا العجوزِ ذِكرى شبابِهْ[9]
وإذا مرَّتِ الحياةُ حوالَيْكَ جميلًا، كالزَّهْرِ غضّاً صِباها
تتغنّى الحياةُ بالشوقِ والعَزْمِ فيُحْيي قلبَ الجمادِ غِناها
والرَّبيعُ الجميلُ يرقصُ فوقَ الوردِ، والعُشْبِ، مُنشِداً، تيّاها[10]

---

(1) الأنواء: جمع النَّوء: النجم مال للغروب.
(2) ناشه: تناوله.
(3) في هذا البيت سخرية وتهكّم بالخاملين من الناس.
(4) يرمق: ينظر نظراً خفيفاً.
(5) الإهاب: الجلد.
(6) الزاوي: الذابل.
(7) ينشُد: يطلب.
(8) غير آبه: غير مكترث.
(9) ادَّكر: تذكَّر.
(10) تيّاه: مختال.

ومشى النّاسُ خلفَها، يتَملّوْنَ ... جمالَ الوجودِ في مرآها
فاحذرِ السِّحْرَ! أيها النّاسكُ القِديسُ ... إنَّ الحياةَ يُغْوي بَهاها
والرَّبيعُ الفنّانُ شاعِرُهَا المفتونُ ... يُغْري بحبِّها وهواها
وَتَمَلَّ الجمالَ في رِمِمِ الموتَى...! ... بعيداً عن سِحْرِهَا وَصَدَاها[1]
وَتَغَزَّلْ بسِحرِ أيّامِكَ الأولى ... وخَلِّ الحياةَ تخطو خطاها

* * *

وإذا هَبَّتِ الطُّيورُ مَعَ الفجرِ، ... تُغنّي بينَ المروجِ الجميلة
وتُحَيِّي الحياةَ، والعالَمَ الحيَّ، ... بِصَوْتِ المحبَّةِ المعسولة
والفَراشُ الجميلُ رَفْرَفَ في الرَّوْضِ، ... يناجي زهورَهُ المطلولهْ[2]
وأفاقَ الوجودُ لِلْعملِ المجْدِي ... ولِلسَّعي، والمعاني الجليلة
وَمَشَى النّاسُ في الشِّعابِ، وفي الغاب، ... وفوق المسَالكِ المجهولة
يَنْشُدُونَ الجمالَ، والنّورَ، والأفراحَ ... والمجدَ، والحياةَ النبيلة
فاغضُضِ الطَّرفَ في الظَّلام! وحاذِرْ ... فِتْنَةَ النّورِ..! فَهْيَ رُؤْيَا مَهُولَهْ...
وَصَبَاحُ الحياةِ لا يُوقِظُ الموْتَى ... ولا يَرْحَمُ الجفونَ الكليلهْ[3]
كلُّ شيءٍ يُعاطِفُ العالَمَ الحيَّ، ... ويُذكِي حياتَه، ويُفيدُهْ
والذي لا يجاوِبُ الكونَ بالإحساسِ ... عِبْءٌ على الوجودِ، وُجودُهْ
كُلُّ شيءٍ يُسايرُ الزَّمنَ الماشي ... بعزمٍ، حتّى التّرابُ، ردُودُهْ
كلُّ شيءٍ - إلّاكَ - حيٌّ، عَطوفٌ ... يُؤنِسُ الكونَ شَوْقُه، ونشيدُهْ
فَلِماذا تعشُ في الكون يا صَاحِ! ... وما فيكَ من جنًى يستفيدُهْ
لسيت يا شيخُ للحياةِ بأهْلٍ ... أنت داءٌ يُبيدُهَا وتُبيدُهْ[4]
أنت قَفْرٌ، جهنّميٌّ لَهِينٌ، ... مُظْلِمٌ، قاحِلٌ، مريعٌ جمودُهْ[5]
لا ترفُّ الحياةُ فيه، فلا طيرَ ... يغنّي ولا سَحَابَ يجودُهْ

* * *

(١) رمم الموتى: بقاياهم. تملّ، أي: املأ.
(٢) المطلولة: التي أصابها الطّل، أي: الندى.
(٣) الكليلة: الضعيفة المنكسرة.
(٤) يبيدها: يذهب بها.
(٥) قاحل: لا ينبت شيئاً. القفر: الفلاة.

أنتَ يا كَاهِنَ الظَّلام حياةٌ ... تعبدُ الموتَ...! أنت روحٌ شقيٌّ
كافرٌ بالحياةِ والنُّورِ...! لا يُصغي ... إلى الكون قلبُه الحجريُّ
أنتَ قلبٌ، لا شوقَ فيه ولا عزمٌ ... وهذا داءُ الحياةِ الدَّويُّ[1]
أنتَ دُنيا، يُظلُّها أُفُقُ الماضي ... وليلُ الكآبةِ الأبديُّ
ماتَ فيها الزَّمانُ، والكونُ إلا ... أمسُها الغابرُ، القديمُ، القصيُّ[2]
والشقيُّ الشقيُّ في الأرض قلبٌ ... يومُهُ ميِّتٌ، وماضيهِ حيُّ
أنتَ لا شيءَ في الوجودِ، فغادِرْهُ ... إلى الموتِ فهْوَ عنك غنيُّ

الأبد الصَّغير[3]

[من البسيط]

يا قلبُ! كم فيكَ من دُنْيا محجَّبَةٍ ... كأنَّها، حين يبدو فجرُها «إرَمُ»[4]
يَا قلبُ! كمْ فيك من كونٍ، قدِ اتَّقَدَتْ ... فيه الشُّموسُ وعاشتْ فَوقَهُ الأممُ
يا قلبُ! كم فيكَ من أُفُقٍ تُنَمِّقُهُ ... كَواكبٌ تَتَجلَّى، ثُمَّ تَنعَدِمُ
يا قلبُ! كمْ فيك من غابٍ ومن جَبَلٍ ... تَذْوِي به الرِّيحُ أو تسمو به القممُ
يا قلبُ! كمْ فيك من كهفٍ قد انبجست ... منه الجداولُ تجري ما لها لُجَمُ[5]
تمشي...، فتحملُ غُصناً مُزْهِراً نَضِراً ... أو وَرْدَةً لم تُشَوِّهْ حُسنَها قَدَمُ
أو نَحْلةً جرَّها التَّيارُ مُندَفِعاً ... إلى البحارِ، تُغنِّي فوقها الدِّيَمُ[6]
أو طائراً ساحراً مَيْتاً قد انْفجرتْ ... في مُقْلَتَيْهِ جِراحٌ جَمَّةٌ وَدَمُ[7]
يا قلبُ! إنَّك كونٌ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ ... إن يُسْألِ النَّاسُ عن آفاقه يجِمُوا[8]

---

(١) الروي: أي: الصوت الشديد.

(٢) القصي: البعيد.

(٣) نظمها في ٢٠ رمضان ١٣٤٨ هـ/ ١١٩ب فيفري - شباط ١٩٣٠ م.

(٤) إرَم: إسم مدينة قديمة ذكرت في القرآن الكريم: سورة الفجر: آية ٧ ﴿إرَم ذات العماد﴾. وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية أو موضع ببلاد فارس.

(٥) انبجس: انفجر.

(٦) الدِّيَم: جمع الدِّيمة. المطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق.

(٧) جمّة: كثيرة.

(٨) الوجوم: العبوس.

كـأنَّكَ الأبـدُ المجهولُ. . . ، قـد عَجـزَتْ عنكَ النُّهى، واكْفَهَرَّتْ حَـوْلَكَ الـظُّلَمُ[1]

* * *

يـا قـلبُ! كـمْ مـن مَسرَّاتٍ وأخْيـلةٍ ولـذَّةٍ، يَـتَـحَـامَـى ظِـلَّهـا الألمُ
غَنَّتْ لفجـرِكَ صوتـاً حـالمـاً، فَرِحـاً نَـشْـوانَ ثم تـوارتْ، وانـقضى النَّغمْ
وكـم رأى لَيْـلُكَ الأشبـاحَ هـائـمـةً مَـذْعُـورةً تَتَهـاوى حَـوْلها الـرُّجمُ
وَرَفْـرَفَ الألمُ الـدَّامِـي، بـأجـنـحـةٍ مِـنَ الـلَّهيـبِ، وأنَّ الحُـزْنُ والـنَّـدَمُ[2]
وكمْ مُشَتْ فـوقكَ الـدُّنيـا بـأجمعهـا حتَّى تـوارتْ، وَسَـار المـوتُ والـعـدمُ
وشـيِّـدتْ حـولَـكَ الأيَّـامُ أبـنـيـةً مِـنَ الأنـاشيـدِ تُـبْنَى، ثُـمَّ تَـنْـهـدمُ

* * *

تَمضي الحَيـاةُ بمـاضيهـا، وَحَـاضرهـا وتَـذهَبُ الشَّمْسُ والشُّـطآنُ والـقِـمَـمُ
وأنتَ، أنتَ الخِضَمُّ الـرَّحْـبُ، لا فَـرَحٌ يَبْقَى على سطحكَ الطَّاغي، ولا ألمُ[3]

* * *

يـا قـلبُ كم قـد تملَّيتَ الحيـاةَ، وكمْ رقَّصتَهـا مَـرَحـاً، مـا مسَّـكَ السَّأمُ
وكمْ تَـوَشَّحْـتَ من ليـلٍ، ومن شَـفَقٍ ومـن صبـاحٍ تُـوَشِّي ذيْلَهُ الـسُّـدُمُ[4]
وَكَـمْ نَـسَـجْـتَ مِـنَ الأحـلامِ أرديـةً قـد مـزَّقَتْهـا الـلَّيـالي، وهي تَبْتَسِمُ
وَكَـمْ ضَـفَـرْتَ أكـالـيـلاً مـوردَّةً طـارتْ بهـا زَعْـزَعٌ تـدوي وتحْتَـدِمُ[5]
وَكَـمْ رسمتَ رسـومـاً، لا تُشـابِهُهَـا هـذي العَـوَالمُ، والأحـلامُ، والـنُّـظُمُ
كـأنَّها ظُـلَلُ الـفِـرْدَوْسِ، حـافِـلةً بـالحُـورِ، ثم تـلاشتْ، واختفى الحُلُمُ

* * *

تبـلُو الحيـاةَ فـتـبليـهـا وتخلَعُـهـا وتـسـتـجـدُّ حـيـاةً، مـا لهـا قِـدمُ
وأنـتَ أنتَ: شـبـابٌ خـالـدٌ، نضرٌ مِـثـلُ الـطَّبيعـةِ: لا شَيْبٌ ولا هَـرَمُ

---

(١) النُّهى: العقل. اكفهَرّ السحاب: تراكم.
(٢) أنّ، من الأنين: الصوت الضعيف.
(٣) الخِضَم: البحر.
(٤) السُّدُوم: يُقال ماء سُدُم أي: مندفق.
(٥) ريح زعزع: ريح تزعزع الأشياء. ضفر الشعر: نسج بعضه على بعض.

زئير العاصفة(1)

[من الطويل]

تُسَـائلني: «مـا لي سَكَـتُّ، ولم أهِـبْ بقـومي، وديجـورُ المصـائبِ مُـظْلِمُ(2)»
«وَسَيْـلُ الـرَّزايـا جَـارفٌ، متـدفّـعٌ غضوبٌ، ووجهُ الـدَّهرِ أربـدُ، أقْتَمُ؟»(3)

* * *

سَكَـتُّ، وقـد كـانت قنـاتيَ غـضَّـةً تُـصِيـخُ إلى همْسِ الـنَّسيـم، وتحـلُمُ(4)
وقلتُ، وقـد أصغتْ إلى الـرِّيـحِ مـرَّةً فـجَـاشَ بهـا إعـصـارُهُ المـتـهـزِّمُ(5)
وقلتُ وقـد جـاش القَـريضُ بخـاطـري كـما جاش صخَّـابُ الأواذيِّ، أسْحَمُ:(6)
«أرى المجـدَ معصـوبَ الجبـين مجـدَّلاً عـلى حسَـكِ الآلام، يغمـره الـدَّمُ»(7)
«وقـد كـان وضَّـاحَ الأسـاريـرِ، بـاسـماً يهـبُّ إلى الجـلَّى، ولا يَـتَـبـرَّمُ»(8)

* * *

«فـيـا أيُّهـا الـظُّلمُ المـصـعِّـرُ خَـدَّهُ رويـدكَ! إنَّ الـدَّهْـرَ يبني ويهـدُمُ»(9)
«سـيـثـأر لـلعـزِّ المـحـطَّم تَـاجُـهُ رجَّـالٌ إذا جـاشَ الـرَّدى فـهُـمُ هُـمُ»
«رجـالٌ يَـرَوْنَ الـذُّلَّ عـاراً وسُـبَّـةً ولا يـرْهبـون المـوتَ، والمـوتُ مقـدمُ»
«وهـل تـعـتـلي إلا نُـفُـوسٌ أبـيَّـةٌ تصـدِّع أغـلالَ الهـوانِ، وتحْـطِمُ»(10)

---

(1) لم يؤرخ لها.
(2) الديجور: الظلام.
(3) الرزايا: جمع الرزيّة. المصيبة. أربد: مغبر. أقتم: أسود.
(4) تصيخ: تصغي. ويقصد بالقناة قامته.
(5) جاش: اضطرب.
(6) القريض، أي الشعر. الأواذي: الموج. الأسحم: السحاب.
(7) الحَسَك: نبات له شوك. وأراد هنا الحقد والعداوة.
(8) يتبرّم: يتضجّر.
(9) المصعِّر خده: المائل خده.
(10) الأغلال: القيود. الواحد غل.

إلى الطّاغية(1)

[من الطويل]

يَقُولُون: «صَوْتُ المُسْتَذِلِّين خَافِتٌ ... وَسَمْعُ طُغَاةِ الأرضِ (أَطْرشُ) أَصْخَمُ»(2)
وَفي صَيْحَةِ الشَّعْبِ المُسَخَّرِ زَعْزَعٌ ... تَخُرُّ لَهَا شُمُّ العُرُوشِ، وَتُهْدَمُ(3)
وَلَعْلَعَةُ الحقّ الغَضُوبِ لها صَدًى ... وَدَمْدَمةُ الحَربِ الضَّروسِ لَهَا فَمُ(4)
إذَا التَفَّ حَوْلَ الحقِّ قَوْمٌ فَإنَّهُ ... يُصَرِّمُ أَحْدَاثَ الزَّمانِ وَيُبْرِمُ(5)

***

لَكَ الوَيْلُ يَا صَرْحَ المَظَالِمِ مِنْ غَدٍ ... إذا نَهَضَ المُسْتَضْعَفُونَ، وَصَمَّمُوا!
إذا حَطَّمَ المُسْتَعبدُونَ قيودَهُمْ ... وصبُّوا حَمِيمَ السُّخْطِ أَيَّانَ تَعْلَمُ..!
أَغَرّكَ أَنَّ الشَّعْبَ مُغْضٍ عَلَى قَذًى ... وَأَنَّ الفَضَاءَ الرَّحْبَ وَسْنَانُ، مُظْلِمُ؟(6)
أَلا إنَّ أَحْلامَ البِلادِ دَفِينَةٌ ... تُجَمْجِمُ في أعْمَاقِهَا مَا تُجَمْجِمُ(7)
ولكِنْ سَيَأْتِي بَعْدَ لأيٍ نُشُورُهَا ... وَيَنْبَثِقُ اليومُ الَّذي يتَرنَّمُ(8)
هُوَ الرَّوعُ، إنْ هَبَّ الضَّعِيفُ ببأسِهِ، ... سَتَعْلَمُ مَنْ مِنَّا سَيَجْرُفُهُ الدَّمُ
إلى حَيْثُ تَجْنِي كَفُّهُ بَذْرَ أَمْسِهِ ... وَمُزْدَرعُ الأوْجَاعِ لا بُدَّ يَنْدَمُ(9)
سَتَجْرَعُ أَوْصَابَ الحياةِ، وَتَنْتَشِي ... فَتُصْغِي إلى الحَقِّ الذي يَتَكَلَّمُ
إذا مَا سَقَاكَ الدَّهْرُ مِنْ كَأسِهِ التي ... قُرَارَتُها صَابٌ مَرِيرٌ، وَعَلْقَمُ
إذَا صَعِقَ الجَبَّارُ تَحتَ قُيُودِهِ ... يُصِيخُ لأوجاعِ الحَيَاةِ وَيَفْهَمُ!!

---

(1) نظمها في ١٥ شعبان ١٣٤٥ هـ/ ١٨ فيفري - شباط ١٩٢٧ م.
(2) أصخم يعني: يابس. وأصحمت وأصخمتْ الأرض: تغيّر نبتها وأدبر مطرها.
(3) زعزع يعني: الريح الزعزع التي تزعزع الأشياء. شُم: عالية.
(4) الدمدمة: الغضب.
(5) يصرِّم: يقطع. يبرم: يُحكِم.
(6) وسنان: ناعس.
(7) يجمجم: لا يبين كلامه.
(8) اللأي: الإبطاء والشدّة.
(9) مزدرع الأوجاع يعني: مستقرها. وازدرع بمعنى زرع.

يا حماة الدِّين[1]

[من الطويل]

لَقَدْ نامَ أهلُ العِلْمِ نوماً مغنطَساً ... فَلَمْ يسمعوا مَا ردّدَتْهُ العَوَالِمُ[2]
ولكنَّ صوتاً صارخاً، متصاعداً ... مِنَ الرُّوح يَدري كُنْهَهُ المُتَصَامِمُ[3]
سيُوقِظُ منهمْ كلَّ مَنْ هُوَ نَائمٌ ... ويُنطِقُ منهمْ كلَّ مَنْ هو وَاجِمُ[4]

* * *

سَكَتُّمْ حماةَ الدين سَكْتَةَ واجمٍ ... وَنِمْتُمْ بِمِلْءِ الجَفْنِ، والسَّيلُ دَاهِمُ
سَكَتُّمْ، وقد شِمتمَ ظلاماً، غُضُونُه ... علائمُ كفرٍ ثائرٍ ومَعَالِمُ[5]
مَوَاكبُ إلحادٍ وراءَ سكوتِكُم ... تَضُجُّ، وها إنَّ الفَضاءَ مَآتِمُ
أفيقوا فليلُ النَّومِ ولَّى شبابُهُ ... ولاحتْ للألاءِ الصَّباحِ عَلائِمُ[6]
فدونَ ضجيجِ الفاسقين سَكِينةٌ ... هيَ الموتُ، مِمّا أورثَتْه التَّمَائِمُ[7]
عوائدُ تُحيي في البلاد نوائباً ... تقُدّ قُوامَ الدِّين، والدِّينُ قَائِمُ[8]
أفيقوا، وهُبّوا هَبَّةً ضَيْغَمِيَّةً ... ولا تحجُمُوا، فالموتُ في الجُبْنِ جَاثِمُ[9]
فدون نِقَابِ الصَّمتِ تنمو ملامحٌ ... تبرقعتِ الشرُّ الذي لا يُقَاوِمُ
فَقَدْ فتَّ في زَنْدِ الدِّيانةِ مَعْشَرٌ ... أثاروا على الإسْلامِ مَنْ قد يُهَاجِمُ
فوالحقِّ، ما هذي الزَّوايا وأهلُها ... سوى مصنعٍ فيه تُصَاغُ السَّخَائِمُ[10]
لحى الله مَنْ لَمْ تَسْتَثِرْه حميةٌ ... على دِينه، إنْ دَاهمتْهُ العَظَائِمُ
لحى الله قوماً، لم يُبالوا بأسْهُمٍ ... يُصوِّبها نحوَ الدِّيَانَةِ ظَالِمُ

---

(1) نظمها في ١٦ جمادي الأولى ١٣٤٩ هـ.
(2) مغنطس، يعني إنه نام نوماً مصطنعاً.
(3) كنهه: جوهره وسره. المتصامم، يريد الذي أغلق أذنيه.
(4) واجم: عابس.
(5) شام: نظر.
(6) الآلاء: النعم.
(7) التمائم: جمع التميمة وهي خرزة رقطاء تُنظم في السَّير ثم يُعقد في العنق.
(8) النوائب: المصائب والنوازل.
(9) هبّة ضيغمية، هبّة منسوبة إلى الضيغم، أي: الأسد. جاثم: مقيم.
(10) السخائم: جمع السخيمة: الحقد.

السَّعادة[٢]

[من البسيط]

تَـرجُـو السَّعـادةَ يـا قلبي ولـو وُجِـدَتْ ... في الـكـونِ لم يـشـتـعـلْ حُـزْنٌ ولا أَلَمُ

ولا استحـالـتْ حيـاةُ النَّـاسِ أجمعُـهـا ... وزُلـزلـتْ هـاتِـه الأكـوانُ والـنُّـظُمُ

فـما السَّعـادة في الـدُّنيـا سـوى حُلُمٍ ... نـاءٍ تُـضَـحِّي لـه أيَّـامَهـا الأمَـمُ[٢]

نـاجتْ بـه النَّـاسَ أوهـامٌ معَـرْبِـدةٌ ... لَمَّـا تـغَـشَّـتْـهُـمُ الأحْـلامُ والـظُّلَمُ[٣]

فَـهَـبَّ كـلٌّ يُـنـاديـهِ ويـنْـشُـدُهُ ... كـأنَّـما النَّـاسُ مـا نـامـوا ولا حَلُمُـوا

* * *

«خُـذِ الحيـاةَ كـما جـاءتْـك مبتسـماً ... في كفِّهـا، الغـارُ أو في كفِّهـا العَـدَمُ»

وارقصْ عـلى الـوَردِ والأشـواكِ متَّئِـداً ... غنَّتْ لـكَ الطَّيرُ، أو غنَّت لـكَ الرُّجُمُ[٤]

واعمـلْ كـما تـأمُرُ الـدُّنيـا بـلا مَضَضٍ ... والجمْ شُعـورَكَ فـيـهـا، إنَّها صَـنَـمُ[٥]

فَـمَـنْ تـألَّمَ لَمْ تُـرْحَـمْ مَـضَـاضَـتُـهُ ... وَمَـنْ تجـلَّد لم تَهْـزأ بـه الـقـمَـمُ

هـذي سعـادةُ دُنيـانـا، فَكُنْ رجـلاً ... - إن شئْـتَـهـا - أَبَـدَ الآبـاد يَبْـتَـسِـمُ!

وإن أردتَ قـضـاءَ الـعـيشِ في دَعَـةٍ ... شـعـريَّـةٍ لا يُـغَشِّي صَـفْـوَهَـا نَـدَمُ

فـاتـركْ إلى النَّـاس دنيـاهمْ وضجَّتَهُـمْ ... ومـا بنـوا لِنِـظامِ الـعيشِ أو رَسَـمـوا

واجعـلْ حيـاتَـكَ دوحـاً مُـزهـراً نَضِـراً ... في عُـزْلَـةِ الغـابِ ينمـو ثُمَّ ينعـدمُ[٦]

واجعـل ليـاليـك أحـلامـاً مُغَـرِّدَةً ... إنَّ الحـيـاةَ ومـا تـدوي بـه حُـلُمُ

النَّاس[٧]

[من البسيط]

مـا قـدَّسَ المـثـلَ الأعـلى وجمَّـلَهُ ... في أعـينِ الـنَّـاسِ إلَّا أنَّـه حُـلُمُ!

---

(١) نظمها في ٢٦ رمضان ١٣٥١ هـ/ ٢٣ جانفي - كانون الثاني ١٩٣٣ م.

(٢) النائي: البعيد.

(٣) معربدة: سيئة الخُلُق.

(٤) متئد: متمهل. الرُّجم: ما يرجم به، أي يُقذف به.

(٥) المضض: وجع المصيبة.

(٦) الدّوح: جمع الدَّوحة: الشجرة العظيمة.

(٧) نظمها في ٢٠ شعبان ١٣٥٢ هـ/ ٨ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٣ م.

ولــو مَشَى فـيـهــمُ حـيّـاً لحـطَّمَـهُ قــومٌ، وقــالــوا بخبثٍ: «إنّــهُ صَنَـمُ»!
لا يـعـبـدُ الـنّـاسُ إلا كـلَّ منـعـدمٍ مُمـنّـعٍ، ولمـنْ حـابَـاهُـمُ الـعَـدَمُ!
حـتّى الـعَـبَـاقِـرةُ الأفـذاذُ، حُـبُّـهُـمُ يلقى الشقـاءَ وتَلْقَى مجـدَهـا الـرِّمَمُ[1]

* * *

الـنّـاسُ لا يُنْـصِفُـونَ الحـيّ بيـنهـمُ حـتَّى إذا مـا تـوارى عنـهـمُ نَـدِمـوا!
الـويْـل لـلنّـاسِ من أهْـوائهمْ أبـداً يمشي الـزَّمـانُ وريـحُ الشرِّ تحـتـدمُ..

(٢)
(؟)[1]

[من الطويل]

أرى هَـيْـكَـلَ الأيّـام يـعلُو، مُـشـيّـداً ولا بـدَّ أنْ يـأتي عـلى أُسِّـهِ الهَـدْمُ
فـيُصبِـحُ مـا قـد شيّـد الله والـورى خـرابـاً، كـأنَّ الكُـلَّ في أمسـه وَهْمُ![3]
فقـل لي: «ما جـدْوَى الحياةِ وكـربهـا، وتلكَ التي تَـذْوِي، وتلك التي تنمـو؟»[4]
«وفـوْجٍ، تـغـذّيـه الحـيـاةُ لِـبَـانَهَا، وفـوجٍ يُـرى تحتَ الـتُّرابِ لَـهُ رَدْمُ؟»
«وعقـلٍ، من الأضواءِ، في رأسِ نـابغٍ وعقـلٍ، من الـظلماءِ، يحمله فَـدْمُ؟»[5]
وأفئـدةٍ حَسْرى، تَـذُوبُ كـآبـةً وأفئـدةٍ سكـرى، يـرفُّ لهـا الـنَّجْمُ؟
لِتَعْسِ الـوَرى، شـاءَ الإلـه وجـودَهم فكـانَ لَهُمْ جهـلٌ، وكـانَ لَهُمْ فـهمُ!!

الغاب[6]

[من البسيط]

بيتٌ، بَـنـتْـهُ ليَ الحـيـاةُ من الـشّـذَى والـظِّلِّ، والأضـواءِ، والأنـغـامِ
بيتٌ، من الـسِّحـر الجميـلِ، مشَـيّـدٌ لـلحـبِّ، والأحـلامِ، والإلهـامِ

(١) أفذاذ: جمع فَذّ: فرْد. الرِّمم: جمع الرِّمة: العظم البالي.
(٢) نظمها في ٢٥ ربيع الأول ١٣٥٠ هـ/ ١٠ أوت ـ أغسطس، آب ١٩٣١ م، وهي دون عنوانٍ كذا.
(٣) الورى: الخَلْق.
(٤) تذوي: تذبل.
(٥) الفَدْم: الغليظ الأحمق الجافي.
(٦) نظمها في ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٢٣ جويلية ـ تموز ١٩٣٤ م.

في الغابِ سِحْرٌ، رائعٌ متجدِّدٌ ... باقٍ على الأيَّامِ والأعوامِ
وشذًى كأجنحةِ الملائكِ غامضٌ ... ساهٍ يُرفرفُ في سُكونٍ سامِ
وجداولٌ، تشدو بمعسولِ الغِنا ... ونسيرُ حالمةً، بغيرِ نظامِ
ومخارفٌ نَسَجَ الزمانُ بساطَها ... مِنْ يابسِ الأوراقِ والأكمامِ[1]
وحنا عليها الدَّوحُ، في جبروتهِ ... بالظلِّ، والأغْصانِ والأنْسَامِ
في الغاب، في تلك المخارف، والرُّبى، ... وعلى التِّلاعِ الخُضْرِ، والآجامِ[2]
كم من مشاعِرَ حلوةٍ، مجهولةٍ ... سَكْرَى، ومِنْ فِكَرٍ، ومن أوهامِ
غنَّتْ كأسرابِ الطُّيورِ، ورفرفت ... حولي، وذابتْ كالدُّخانِ، أمامي
ولَكَمْ أصَخْتُ إلى أناشيدِ الأسى ... وتنهُّدِ الآلامِ والأسقامِ[3]
وإلى الرِّياحِ النَّائحاتِ كأنَّها ... في الغابِ تبكي ميِّتَ الأيَّامِ
وإلى الشَّبابِ، مغنِّياً، مترنِّماً ... حوْلي بألحانِ الغَرامِ الظَّامي[4]
وَسَمِعْتُ للطيْرِ، المغرِّدِ في الفضا ... والسِّنديانِ، الشَّامخِ المتسامي
وإلى أناشيدِ الرِّعاةِ، مُرِفَّةً ... في الغابِ، شاديةً كسِرْبِ يمامِ[5]
وإلى الصَّدى، المْمِراحِ، يهتُفُ راقصاً ... بين الفِجَاجِ الفيحِ والآكامِ[6]
حتَّى غدَا قلبي كنايٍ، مترع ... ثَملٍ من الألحانِ والأنغامِ[7]
فَشَدَوْتُ باللَّحنِ الغريبِ مجنَّحاً ... بكآبةِ الأحلامِ والآلامِ
في الغابِ، دنيا للخيالِ، وللرُّؤى، ... والشِّعرِ، والتفكيرِ، والأحلامِ
لله يومَ مضيتُ أوَّلَ مرَّةٍ ... للغابِ، أرزحُ تحت عبءِ سَقامي[8]
ودخَلتُهُ وحدي، وحوْلي موكبٌ ... هَزِجٌ، من الأحلامِ والأوهامِ
ومشيتُ تحتَ ظِلالهِ متهيِّباً ... كالطِّفلِ، في صَمْتٍ، وفي استسلامِ
أرنو إلى الأدْواحِ، في جبروتها ... فأخالُها عَمَدَ السَّماءِ، أمامي[9]
قد مَسَّها سِحْرُ الحياةِ، فأوْرَقَتْ ... وَتَمَايَلَتْ في جنَّةِ الأحلامِ

---

(١) المخارف: جمع المخرف: جنى النخل.
(٢) الأجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
(٣) أصخت: أصغيت. الأسقام: الأمراض.
(٤) الظامىء: العطشان.
(٥) اليمام: الحمام الوحشي.
(٦) الفجاج: جمع الفج: الطريق بين جبلين. فيح جمع فَيحاء: واسعة. آكام: جمع أكمة: تلّة.
(٧) متع: ملآن. ثمل: سكران. والناي: آلة موسيقية.
(٨) أرزح: أسقُط إعياءً.
(٩) أرنو: أديم النظر بسكون الطَّرف، وانظر متعجباً.

وأصِيغُ للصّمتِ المفكّرِ، هاتِفاً … في مِسمعي بغرائبِ الأنغامِ
فإذا أنا في نَشْوَةٍ شعريةٍ … فيّاضَةٍ بالوحيِ والإلهامِ
ومشاعري في يَقظةٍ مسحورةٍ … ....(1)
وَسْنَى كيقظةِ آدمٍ لَمّا سَرَى … في جسمه رُوحُ الحياة النّامي(2)
وَشَجَتْه موسيقى الوجودِ، وعانقتْ … أحلامَهُ، في رقّةٍ وسَلامِ(3)
ورأى الفَراديسَ، الأنيقةَ، تنثني … في مترَفِ الأزهارِ والأكمامِ(4)
ورأى الملائكَ، كالأشعّةِ في الفَضا … تَنْسَابُ سابحةً، بغير نظامِ
وأحسَّ رُوحَ الكونِ تخفقُ حوله … في الظِّلّ، والأضواءِ، والأنسامِ(5)
والكائناتِ، تحوطُهُ بِحَنانها … وبحبِّها، الرَّبِ، العميقِ، الطّامي(6)
حتّى تَمَلّا بالحياةِ كيانُهُ … وسعى وراءَ مواكبِ الأيّامِ
ولَرُبَّ صُبْحٍ غائمٍ، متحجّبٍ … في كِلَّةٍ من زَعْزَعٍ وغَمامِ(7)
تتنفّسُ الدُّنيا ضَباباً، هائماً … متدفّعاً في أفْقِهِ المُترامي
والرِّيحُ تخفقُ في الفضاءِ، وفي الثّرى … وعلى الجبالِ الشُّمِّ والآكامِ(8)
بَاكَرْتُ فيه الغابَ موهونَ القُوَى … متخاذِلَ الخُطُواتِ والأقدامِ(9)
وجلستُ تحتَ السِّنديانةِ، واجماً … أرنو إلى الأفُقِ الكئيبِ، أمَامي
فأرى المباني في الضَّبابِ، كأنّها … فِكْرٌ، بأرضِ الشّكِّ والإبهامِ
أو عَالَمٌ، ما زال يولَدُ في فضا … ءِ الكونِ، بين غياهبٍ وسدامِ(10)
وأرى الفِجَاجَ الدّامِسَاتِ، خلالَهُ … ومشاهدَ الوديانِ والآجامِ(11)
فكأنّها شُعَبُ الجَحيمِ، رهيبةً … ملفوفةً في غُبْشَةٍ وَظَلامِ(12)

---

(١) كذا النقص في الأصل.
(٢) وسْنى: ناعسة.
(٣) شَجتْه: أطربته.
(٤) الفراديس: جمع الفِردوس: البستان الذي يجمع ما في البساتين.
(٥) الأنسام، يعني: النسائم.
(٦) تحوطه: تحفظه. الطامي: الغامر.
(٧) الزعزع، يعني الريح الزعزع التي تحرّك. والكِلّة: الستر الرقيق.
(٨) الشم: العالية. آكام: جمع أكمة: تلّة.
(٩) موهون القوى: ضعيف.
(١٠) الغياهب: الظلمات. السُّدام: جمع السديم: الغيم الرقيق.
(١١) الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
(١٢) الغُبشة: بقية الليل، أو ظلمة آخره.

صُـوَرٌ مـن الـفـنِّ المُـرَوِّع، أعـجـزتْ وَحْـي الـقـريض وريشـةَ الـرَّسَّـامِ[(١)]
وَلَـكَـمْ مَـسَـاءٍ، حَـالمٍ مـتـوَشِّـحٍ بـالـظِّلِّ، والضَّـوءِ الحـزين الـدَّامي
قـدْ سِـرْتُ في غـابي، كَفِكـرٍ، هـائمٍ في نَـشْـوةِ الأحْـلامِ والإلهـامِ
شِعْـري، وأفكـاري، وكُـلُّ مشـاعـري مَـنْـشُـورةٌ لـلـنُّـور والأنـسـامِ
والأفْـقُ يـزخَـرُ بـالأشـعَّـةِ والشَّـذَى والأرضُ بـالأعـشـابِ والأكـمـامِ[(٢)]
والـغـابُ سَـاجٍ، والحيـاةُ مُصِيحَـةٌ والأفْـقُ، والشَّفَـقُ الجميـلُ، أمـامـي
وعـروسُ أحـلامـي تُـداعبُ عُـودَهَـا فـيـرنُّ قـلـبي بـالصَّـدى وعـظـامـي
روحُ أنـا، مَـسْـحُـورةٌ في عَـالمٍ فَـوْقَ الـزَّمـانِ الـزَّاخِـرِ الـدَّوَّامِ

***

في الغـابِ، في الغـابِ الحبيبِ، وإنَّـه حَـرَمُ الـطَّبيعـةِ والجـمـالِ السَّـامي
طهَّـرْتُ في نـار الجـمـالِ مَشَـاعـري ولـقـيـتُ في دنـيـا الخَـيـالِ سَـلامي
وَنَسِيتُ دنيـا النَّـاسِ، فَهْـيَ سَخَـافـةٌ سَـكْـرَى مـن الأوهـامِ والآثـامِ[(٣)]
وَقَبِسْتُ من عَـطْفِ الـوجـود وحُبِّـه وجمـالِـه قـبـسـاً، أضـاءَ ظـلامـي[(٤)]
فـرأيـتُ ألـوانَ الحـيـاةِ نـضـيـرةً كـنضـارةِ الـزَّهْـرِ الجميـلِ النَّـامي
ووجـدتُ سحْرَ الكـون أسمى عنصـراً وأجـلَّ مـن حُـزْني وَمِـنْ آلامـي
فـأهَبْتُ ـ مسحـورَ المشـاعـرِ، حـالمـاً نشـوانَ ـ بـالقلب الكئيب الـدَّامي:
«المـعبـدُ الحـيُّ المقـدَّسُ هـا هـنـا يَـا كَـاهِـنَ الأحْـزانِ والآلامِ»
«فـاخلَعْ مُسُوحَ الحـزنِ تحتَ ظِـلالِـهِ والـبسْ رِدَاءَ الـشِّـعـرِ والأحـلامِ»[(٥)]
«وارفَـعْ صَـلاتَـكَ للجمـالِ، عَميقـةً مـشـبـوبـةً بِـحَـرَارة الإلهـامِ»[(٦)]
«واصـدَحْ بـألحـان الحـيـاة، جميـلةً كـجـمـال هـذا الـعـالَمِ البـسَّـامِ»[(٧)]
«واخفقْ مع العِطْرِ المرفرفِ في الفضـا وارقصْ مـع الأضـواء والأنـسـامِ»
«ومَعَ اليَنَابيـعِ الطَّليقـةِ، والصَّدَى، ....[(٨)]

---

(١) القريض: الشعر.
(٢) الشذى: قوة ذكاء الرائحة.
(٣) الآثام: جمع الإثم: الذَّنب.
(٤) قبست: أخذت شعلة نار.
(٥) المسوح: جمع المِسح: البلاس والجادة.
(٦) مشبوبة: متوقدة.
(٧) الصداح: رفع الصوت بغناء.
(٨) كذا فراغ في الأصل.

وَذَرَوْتُ أفكـاري الحـزينـةَ لـلدّجى ... وَنَـشَـرْتُهـا لِـعَـواصِـفِ الأيّـامِ [1]
وَمَضَيْتُ أشْـدُو لـلأشعَّـةِ سـاخـراً ... من صـوت أحـزاني، وبـطش سقـامي
وهتفتُ: «يـا روحَ الجمـالِ تَـدَفَّقِي ... كـالنَّهـرِ في فِكـرِي، وفي أحْـلامي»
«وتـغلغـلي كـالنُّـورِ، في روحي التي ... ذَبُـلَتْ مِـنَ الأحْـزنِ والآلامِ»
«أنـتِ الشُّعـورُ الحيُّ يَـزْخَـرُ دافـقـاً ... كـالنَّـار، في روح الـوجـودِ النَّـامي»
«وَيَضُـوعُ أحـلامَ الـطَّبيعةِ، فـاجعـلي ... عُـمُـري نـشيـداً سَـاحـرَ الأنـغـامِ»
«وشـذًى يَضُـوعُ مـع الأشعَّةِ والـرُّؤى ... في مـعبَـدِ الحـقِّ الجليـلِ السَّـامي[2]

يا رفيقي [3]

[من الخفيف]

يَـا رفـيـقـي! وَأيْـنَ أنـتَ؟ فَـقَـدْ ... أعْـمَـتْ جـفـوني عَـواصِـفُ الأيّـامِ
ورمـتْـني بِمَـهْـمـهٍ، قَـاتِـمٍ، ... قفـرٍ، تُغَشّيـهِ دَاجِيـاتُ الغَمَـامِ.. [4]
خُـذْ بِـكَـفِّـي، وغـنِّـني، يـا رفـيـ ... ـقي، فسبيـلُ الحيـاةِ وَعْـرٌ أمـامـي
كـلَّما سِـرْتُ زلَّ بي فِـيـهِ مَـهْـوَى، ... تَـتَـضَـاغـى بـه وُحُـوشُ الحِـمَـامِ [5]
شَـعَّـبَـتْـهُ الـدُّهـورُ، وانـطمسَ النُّـ ... ـورُ، وقـامـتْ بـه بَـنَـاتُ الـظَّلامِ
رَاقِـصـاتٍ، يخْـلُبْـنَ في حـلَكِ الـ ... ـلَّيـلِ، ويلعبْنَ بـالقُـلوبِ الـدَّوَامِي [6]
غـنِّـني، فـالـغِـنـاءُ يَـدْرَأُ عَـنْـ ... ـنَا السَّاحِرَ الجنَّ...، سَاكِنَ الآجَامِ [7]
قَـدْ تَـفَـكَّـرْتُ في الـوجـودِ، فَـأَعْـ ... ـيـاني، وأدبـرتُ آيـسـاً لِـظَلامـي [8]
أنْـشُـدُ الـرَّاحَـةَ الـبَـعِـيـدَةَ، لـكـن ... خَـابَ ظَـنٌّ وأخـطأتْ أحـلامـي
فَـمَـعِـي في جـوانـحـي أبـدَ الـدَّ ... هـرِ فـؤادٌ إلى الحـقـيـقـة ظـامـي [9]

---

(١) ذروت: نثرت. الدجى: الظلام.
(٢) يضوع: ينوح.
(٣) نظمها في ٢٧ محرّم ١٣٤٧ هـ/ ١٦ جويلية ـ تموز ١٩٢٨ م.
(٤) المهمة: القفر. داجيات: جمع داجية: مظلمة.
(٥) تتضاغى: تتصايح. الحِمام: قضاء الموت وقدره.
(٦) يخلبن: يسلبن.
(٧) يدرأ: يدفع. الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
(٨) آيس: يائس.
(٩) الجوانح: الجوانب، والأضلاع، والواحد جانحة. ظامي: عطشان.

مَـا تـراخـى الـزَّمَـانُ إلاّ والـقـى ... في طَـوَايَـاهُ قـبْـضَـةً مِـنْ ضِرَام
تَـتَـلَظَّى، يـدُ الحـيـاةِ وَزَادَ ... تْ مُعضـلاتُ الـدُّهـورِ والأعـوام![1]
أظـمـأتْ مُـهْـجَتي الحـيـاةُ، فَـهَـلْ ... يـومـاً تُـبـلُّ الحياةُ بعضَ أوامي؟![2]
يـا رفيقي! مـا أحـسبُ المنبـعَ المـ ... ـنشـودَ إلا وراءَ لـيْـلِ الـرُّجَـام![3]
غنِّني، يـا أخيَّ فـالـكـوْنُ تَـيْـهَـاءُ، ... بهـا قـد تمـزَّقـتْ أقْـدَامـي[4]
غـنِّـني، عَـلَّني أُنِـيـمُ هـمـومـي، ... إنَّـني قَـدْ مَـلَلْتُ مِـنْ تَهْـيَـامـي[5]

* * *

يَـا رفيـقـي! أمـا تـفـكَّـرْتَ في الـنَّـ ... ـاس، ومـا يحـمـلون مِـنَ آلامِ؟
فـلـقـد حـزَّ في فـؤاديَ مـا ... يـلْقَـوْنَ مـن صَـوْلَـةِ الأسى الـظُّلاَّمِ
فـإذا سرَّني مـن الـفـجـر نُـورٌ ... سـاءني مـا يُسِرُّ قـلـبُ الـظَّلام
كَـمْ بـقـلـبِ الـظَّلامِ مِـنْ أنَّـةٍ ... تهـفـو بِغُـصَّـاتِ صِـبْـيَـةٍ أيـتـام
وَنـشـيـجٍ مُـضـرَّمٍ مـن فـتـاةٍ، ... أبْـهَـظَـتْـهـا قَـوارعُ الأيّـامِ[6]
ونُـواحٍ يَـفـيـضُ مـن قَـلْـبِ أمٍّ ... فُـجِـعـتْ في وحـيـدهـا الـبَـسَّـامِ،
فَـطَـمَ الموتُ طِـفْـلَهـا، وَهْـوَ نـورٌ ... في دجـاهـا، مِنْ قَبْـلِ عَهْـدِ الفِـطَامِ
وانـيـنٍ مِـنْ مُـعْـدَمٍ، ذي سَـقَـامٍ ... عضَّـهُ الـدَّهْـرُ بـالخُـطُوبِ الجِسَامِ[7]
مـا إخـالُ الـنُّـجـومَ إلاّ دمـوعـاً، ... ذَرَفَـتْـهـا محَـاجِـرُ الأعـوامِ
فَـلَقَـدْ ضرَّم الـشُّـجـونَ بـنـوهـا، ... فـإذا بـالـشُّـجـونِ سَـيْـلٌ طَـامٍ![8]
وإذا بـالحـيـاة في مَـلْعَـبِ الـدَّ ... هْـرِ تَـدُوس الـرُّؤوسَ بـالأقـدَامِ
وإذا الـكـون فَـلْذَةٌ مِـنْ جَـحِـيـ ... ـمٍ، تَـتَـغَـذّى بـكـلِّ قَـلْبٍ دَامِ
وهُـمْ في جَحِـيـمـهـمْ يـتـنـاغَـوْنَ ... بمـا في الـوجـود مِـنْ أنْـغَـامِ!

---

(١) تتلظّى: تتحرّق.
(٢) المهجة: الدم، أو دم القلب، والروح.
(٣) الرُّجام: المرجاس، وما يبنى على البئر. والمرجاس حجر يُشد في حبل فيدلى في البئر، فتُمخض الجثة حتى تثور ثم يُستقى ذلك الماء، فتنقى البئر.
(٤) تيهاء: أرض يُتاه فيها.
(٥) التهيام: التحير.
(٦) النشيج: الغصة في البكاء.
قوارع الأيام يعني نوائب الأيام.
(٧) الخطوب: المصائب، الواحد خطب. قوله: عضّه الدهر: أي نكبه.
(٨) الشجون: الأحزان. طام: غامر، عال.

عـجبـاً لِـلنُّفـوسِ، وَهِـيَ بَـوَاكٍ، عـجـبـاً لـلقـلوب، وَهْـيَ دَوَامِ
كيف تشـدُو وفي محاجـرهـا الـدَّمْـعُ، وتـلهـو مـا بـينَ سُـودِ المَـوَامِـي[1]

* * *

يـا رفـيقـي! لـقـدْ ضَـلَلْتُ طـريـقـي، وَتَخَـطَّتْ مَحَجَّتي أقـدامـي
خُـذْ بـكـفـي، فَـإنَّـني تـائِـهٌ، أعـمى، كـثـيرُ الضَّـلالِ والأوْهـامِ
وانـفُـخِ الـنَّـايَ، فـالحـيـاةُ ظَـلامٌ مَـا لِمُـرْتَـادِهِ مـن الهَـوْلِ حَـامِ
مِـلءُ آفـاقِـهِ فَـحِـيـحُ الأفـاعـي، وَعَـجِـيـجُ الآثـامِ والآلامِ[2]
فـانْـفُـخِ الـنَّـايَ، إنَّـهُ هِـبَـةُ الأمْـلاَكِ لـلمسـتـعـيـذِ بـالإِلْهَـامِ
واغـذُذِ الـسَّـيْرَ، فـالنَّـهـارُ بـعـيـدٌ، وَسَبِـيـلُ الحيـاةِ جَمُّ الـظَّلامِ...[3]

قيود الأحلام[4]

[من الكمال]

وَأَوَدُّ أنْ أحـيـا بـفـكْـرةِ شَـاعـرٍ فَـأرى الـوُجـودَ يَضِيـق عَنْ أحـلامـي
إلَّا إذا قَـطَّعـتُ أسْـبـابي مَـعَ الـدُّنـيـا وَعِـشْـتُ لِـوَحْـدتي وَظَـلامـي
في الغـابِ، في الجبلِ البعيـدِ عن الورى حيثُ الـطَّبيعـةُ، والجمـالُ السَّـامي[5]
وَأعـيشُ عِـيـشَـةَ زاهـدٍ متَـنَـسِّـكٍ مـا إنْ تُـدَنِّـسـه الحَـيـاةُ بِـذَامِ
هَـجَـرَ الجَـماعَـةَ لـلجبـال، تَـوَرُّعـاً عنهـا وعـن بَـطْشِ الحيـاة الـدَّامي
تمشي حـواليـه الحـيـاةُ كـأنَّها الحلمُ الجميـلُ، خـفيـفـةَ الأقـدامِ
وَتَخِـرُّ أمـواجُ الـزَّمـان بـهَـيْـبَـةٍ قُـدْسِـيَّـةٍ، في يَمِّـهـا المُـتَرَامِـي
فَـأعـيشُ في غـابي حَـيـاةً، كُـلُّهَـا لـلفـنِّ لـلأحـلامِ، لـلإلهـامِ
لـكِـنَّـني لا أسـتـطيـعُ، فـإنَّ لي أُمّـاً، يَـصُـدُّ حَـنَـانُها أوهـامـي
وصِـغـارَ إخـوانٍ، يَـرونَ سَـلامَـهُـمْ في الكَـائِنـاتِ مُـعَـلَّقـاً بِـسَـلامـي

---

(١) الموامي: جمع الموماة: الفلاة.
(٢) الآثام: جمع الإثم: الذَّنْب.
(٣) الإغذاذ في السير: الإسراع فيه.
(٤) نظمها في ٧ صفر ١٣٥٠ هـ/ ٢٤ جوان ـ حزيران ١٩٣١ م.
(٥) الورى: الخلْق.

فَقَـدُوا الأبَ الحـاني، فكنتُ لـضُعْـفِـ ـهِمْ كهْـفـاً يَصُـدُّ غـوائـلَ الأيّـامِ[1]
وَيَـقِيـهِـمُ وَهَـجَ الحيـاة، وَلَـفْـحَـهـا ويَـذود عـنـهـمْ شَـرَّةَ الآلامِ[2]
فـأنـا المكبَّـلُ في سَـلاسِـلَ، حيَّـةٍ، ضَـحَّـيْـتُ مِـنْ رَأْفي بهـا أحـلامِـي
وأنـا الَّـذي سَكَنَ المـدنيـةَ، مُكْـرَهـاً ومشى إلى الآتي بِـقَـلْـبٍ دامِ
يُصْغي إلى الـدُّنيـا السَّخيفـةِ راغـماً ويـعـيشُ مـثـلَ النَّـاسِ بـالأوهـامِ
وأنـا الـذي يحيـا بـأرضٍ، قَـفْـرةٍ مَـدْحُـوَّةٍ لـلـشَّـكِّ والآلامِ...[3]
هَـجَـمَـتْ بيَ الـدُّنيـا عـلى أهـوالهـا وخِضَمُّهـا الرَّحْبُ، العميقُ الـطَّامي[4]
مِـن غـير إنـذارٍ فَـأحْمِـلَ عُـدتي وأخـوضَـهُ كـالـسَّـابـحِ الـعَـوَّامِ
فـتـحـطَّمـتْ نـفسي عـلى شُـطْآنـهِ وتـأجَّـجـتْ في جَـوِّهِ آلامـي

* * *

الـويـلُ في الـدُّنيـا التي في شَـرْعِـهَـا فـأسُ الـطَّعـام كـريشـةِ الـرَّسَّـامِ؟

متاعب العظمة[5]

[من الطويل]

إذا صَغُـرَتْ نفسُ الـفتى كـان شـوقُـهُ صـغـيـراً، فـلم يـتـعبْ، ولم يـتجشَّمِ[6]
وَمَـنْ كـان جبَّـارَ المـطامِـعِ لم يَـزَلْ يـلاقـي في الـدُّنيـا ضَراوةَ قَـشْـعَـمِ[7]

---

(1) الغوائل: جمع الغائلة: الداهية، والأمر المنكر.
(2) يذود: يدفع، ويحمي.
(3) مدحوّة: منبسطة.
(4) الخِضَمّ: البحر. الطامي: العالي.
(5) نظمها في ٢٣ شعبان ١٣٥٢ هـ/ ١١ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٣ م.
(6) تجشّم: تكلّف.
(7) القشعم: الأسد.

قافية النّون

المساء الحزين[1]

[من المتقارب]

أَظَلَّ الوُجُودَ المَسَاءُ الحَزِينُ، وَفِي كَفِّهِ مِعْزَفٌ لا يُبِينْ[2]
وفي ثَغْرِهِ بَسَمَاتُ الشُّجُونِ، وفي طَرْفِهِ حَسَرَاتُ السِّنِينْ[3]
وفي صَدْرِهِ لَوعَةٌ لا تَقِرُّ، وفي قَلْبِهِ صَعَقَاتُ المَنُونْ
وقَبَّلَهُ قُبَلاً صَامِتَاتٍ، كما يَلْثُمُ الموتُ وَرْدَ الغُصُونْ
وأفضى إليه بِوَحْيِ النُّجومِ، وَسِرِّ الظَّلامِ، وَلَحْنِ السُّكُونْ
وأوْحى إليْه مَزَامِيرَهُ، فَغَنَّتْ بها في الظَّلامِ الحُزُونْ[4]
وَعَلَّمَهُ كيف تَأْسَى النُّفُوسُ، وَيَقْضِي يَؤُوساً لديها الحَنِينْ
وَأَسْمَعَهُ صَرَخَاتِ القُلُوبِ، وَأَنْهَلَهُ مِنْ سُلافِ الشُّؤُونْ[5]
فأغفى على صَدْرِهِ المطْمَئِنِّ، وَفِي رُوحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكِينْ
قويٌّ، غَلُوبٌ، كَسِحْرِ الجُفُونِ، شجيٌّ، لَعُوبٌ، كزهرٍ حَزِينْ
ضَحُوكٌ، وَقَدْ بَلَّلَتْه الدُّمُوعُ، طَرُوبٌ، وقد ظَلَّلَتْهُ الشُّجُونْ
تُعَانِقُه سَكَرَاتُ الهَوى، وتحضُنُهُ شَهَقَاتُ الأنينْ
يُشَابِهُ رُوحَ الشَّبَابِ الجميـ ـلِ إذا ما تألَّقَ بين الجُفُونْ
أعادَ لِنَفْسي خيالاً جميلاً... لقد حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السِّنينْ[6]
فَطَافَتْ بها هَجَسَاتُ الأسى، وَعَادَتْ لها خُطُواتُ الجُنُونْ

---

(١) نظمها في ٢٧ رجب ١٣٤٦ هـ / ٢٠ جانفي ـ كانون الثاني ١٩٢٨ م.
(٢) المِعزَف: ما يُعزف عليه من الآلات الموسيقية.
(٣) الشجون: الأحزان.
(٤) الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.
(٥) السلاف: الخمرة، الشؤون: مجاري الدمع إلى العين. أنهله: من النَّهل وهو أول الشرب.
(٦) الصُّروف: النوائب.

أظَلَّ الفَضَاءَ جناحُ الغروبِ، فألقى عليه جَمالاً كئيبْ
وَألبَسَه حُلَّةً من جَلالٍ، شجيٍ، قويٍّ جميلٍ، غَلُوبْ
فَنامَتْ على العُشْبِ تلك الزُّهورُ لمرأى المَساءِ الحزينِ الرَّهيبْ
وَآبتْ طُيورُ الفضاءِ الجميلِ لأوكارِها، فرِحاتِ القُلوبْ[1]
وَقدْ أضْمَرَتْ بأغاريدها خيالَ السَّماءِ الفسيحَ الرَّحيبْ
وَولّى رُعاةُ السَّوامِ إلى الحيِّ يُزجُونها في صُماتِ الغُروبْ[2]
فتَشْغُو، حنيناً لِجِمْلانِها، وَتقْطفُ زهْرَ المُروجِ الخَصيبْ
وَهُمْ يُنْشِدُون أهازيجَهُمْ بصوتٍ، بهيجٍ، فَروحٍ، طَرُوبْ
ويَسْتَمْنِحُونَ مَزاميرهم، فتمنحُهُمْ كُلَّ لحنٍ عَجيبْ
تَطِير بِهِ نَسَماتُ الغُروبِ إلى الشَّفَقِ المُسْتَطِيرِ الخَلُوبْ[3]
وتوحي لهم نَظَراتُ الصَّبايا أناشيدَ عَهْدِ الشَّبابِ الرَّطيبْ
وَأقْبَلَ كلٌّ إلى أهلِهِ، سوى أمَلي، المستطارِ، الغَريبْ
فَقَدْ تاه في مَعْسَبات الحياة، وسُدَّتْ عليه مَناحِي الدُّروبْ[4]
وَظَلَّ شَريداً، وحيداً، بعيداً، يُغَالِبُ عُنْفَ الحياةِ العَصِيبْ
وقد كَان مِنْ قَبْلُ ذا غبطةٍ، يُرَفرِفُ حَوْلَ فؤادي الخَصِيبْ

* * *

وَلَمَّا أظلَّ المَساءُ السَّماءَ، وأسْكَرَ بالحُزْنِ روحَ الوُجُودْ
وقفتُ، وساءلْتُهُ: «هل يؤوبُ لِقَلْبي رَبيعُ الحياةِ الشرُودْ»؟
«فَتَخْفُقُ فيه أغاني الورودِ ويخضرُّ فِرْدَوسُ نفسي الحَصِيدْ»؟[5]
«وتختالُ فيه عَروسُ الصَّباحِ، وَتَمْرَحُ نَشْوَى بِذاكَ النَّشيدْ»؟
«وَيَرجع لي مِنْ عِراصِ الجَحيمِ سلامُ الفؤادِ، الجَميلُ العهيدْ»[6]
«فقد كبَّلَتْهُ بناتُ الظَّلامِ، وألقَيْنَهُ في ظلامِ اللُّحودْ»؟
فَأصْغَى إلى لَهْفي المستمرِّ، وَخاطَبني مِنْ مكانٍ بعيدْ:

---

(١) آبت: رجعت.

(٢) السوام: الماشية التي ترسل لترعى. يُزجونها: يسوقونها.

(٣) الخلوب: الذي يخلب أي: يسلب.

(٤) قوله: معسبات الحياة يعني مصاعبها. والعسبة: الشق في الجبل.

(٥) الفردوس: البستان، فيه من كل البساتين.

(٦) العِراص: جمع العرصة: البقعة بين الدور الواسعة ليس فيها بناء. العهيد: قديم العهد.

«تَعُودُ أدِّكاراتُ ذاكَ الهَوَى، ولكنَّ سِحْرَ الهَوَى لا يَعودْ»[1]
فَجَاشتْ بنفسي مآسي الحياة، وسخطُ القُنُوطِ القويُّ المُريدْ[2]
ولمّا طَغَتْ عَصَفَاتُ القُنُوط فمادتْ بكلِّ مَكِينٍ، عَتِيدْ[3]
أهَبْتُ بقلبي، الهلوع، الجزوعِ، وكان مِنْ قَبْلُ جَلْداً، شَدِيدْ:
«تجلَّدْ، ولا تَسْتَكِنْ للّيالي، فما فازَ إلا الصَّبورُ، الجَليدْ»
«ولا تَأْسَ مِنْ حَادثاتِ الدُّهورِ، فَخَلْفَ الدَّياجيرِ فَجْرٌ جَديدْ»[4]
«ولولا غيومُ الشتاءِ الغِضَابُ لما نَضَّدَ الرَّوضُ تلك الوُرُودْ»[5]
«ولولا ظَلامُ الحياةِ العَبُوسُ لَمَا نَسَجَ الصُّبْحُ تِلْكَ البُرُودْ»[6]

الذّكرى[7]

[من مجزوء الكامل]

كُنّا كَزَوْجَيْ طَائرٍ، في دَوْحَةِ الحُبِّ الأمينْ[8]
نَتْلُو أناشيدَ المنى بين الخمائلِ والغُصُونْ[9]
مُتَغَرِّدَيْنِ مع البلابلِ في السُّهولِ وفي الحزون[10]
مَلأ الهوى كأسَ الحيا ةِ لنا، وَشَعْشَعَها الفُتونْ[11]
حتّى إذا كِدْنا نُرشِّفُ خَمْرَها، غَضِبَ المَنُونْ[12]
فَتَخَطَّفَ الكأسَ الخلو بَ، وحطَّم الجامَ الثَّمِينْ[13]

---

(١) ادِّكارات: ذكريات.
(٢) القنوط: اليأس.
(٣) ماد: اضطرب. العتيد: الحاضر المهيّأ.
(٤) الدياجير: جمع الديجور: الظلام. لا تأس: لا تحزن.
(٥) نضّد: ضم بعضه إلى بعض.
(٦) البُرود: جمع البُرد: ضرب من الثياب.
(٧) نظمها في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٩٢٧ م.
(٨) الدوحة: الشجرة العظيمة.
(٩) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف.
(١٠) الحزون: جمع الحَزْن: الأرض الغليظة.
(١١) شعشع: فرّق.
(١٢) المنون: الموت.
(١٣) الجام: إناء من فضّة. الخلوب: السّلُوب.

وأراق خَمْـرَ الحُـبِّ في وادي الـكـآبَـةِ والأنْـينْ
وأهَـابَ بـالحُـبِّ الـوديـع، فَـوَدَّعَ الـعُشُّ الأمـينْ
وَشَـدا بِـلَحْـنِ المـوتِ في الأفُـق الحَـزيـنِ المُسْـتَـكـينْ
ثُـمَّ اختـفى خَلْفَ الغُـيـومِ، كـأنَّـه الـطَّيفُ الحَـزِينْ... [1]

* * *

يـا أيُّهـا الـقَـلبُ الـشَّـجـيُّ! إلامَ تُخـرِسُـكَ الشُّجـونْ [2]
رُحْمـاكَ قَـدْ عَـذَّبْـتَـني بـالصّمتِ والـدَّمْـعِ الهَتُـونْ [3]
مَـاتَ الحَـبيـبُ، وَكُـلُّ مـا قـد كُنْتَ تـرجُـو أن يكـونْ
فَـاصْـبِرْ عـلى سُـخْطِ الـزَّمـا، ومـا تُـصَـرِّفُـهُ الـشُّـؤونْ
فَـلَسَـوْفَ يُـنْـقِـذُكَ المَـنُـونُ، وَيَـفْـرَحُ الـرّوحُ الـسَجـينْ...

* * *

وَرْدُ الحـيـاةِ مـرَنَّـقٌ، والمَـوْتُ مَـوْرِدُهُ مَـعـينْ [4]
وَلَـرُبَّمـا شَـاقَ الـرَّدى الـدَّاجـي، وأعـمـاقُ المـنـونْ
قَـلْبـاً، تُـرَوِّعُـهُ الحـيـاةُ، ولا تُهـادِنُـهُ الـسُّـنُـونْ
وَمَـشَـاعِـراً حسْرَى، يـسـيرُ بهـا الـقُـنُـوطُ إلى الجُـنُـونْ [5]

الصبّاح الجديد [6]

[من مجزوء الخفيف]

أسْـكُـني يـا جِـرَاحْ واسْـكُـتي يَـا شُـجُـونْ
مَـاتَ عَـهْـدُ الـنُّـوَاحْ وَزَمَـانُ الجُـنُـونْ
وَأَطَـلَّ الـصَّـبَـاحْ مِـنْ وراءِ الـقُـرُونْ

* * *

(١) الطّيف: الخيال الطائف في المنام.
(٢) الشجون: الأحزان.
(٣) الهتون: الذي يسيل بغزارة.
(٤) مُرنَّق: مكدَّر.
(٥) القنوط: اليأس.
(٦) نظمها في ١٣ ذي الحجة ١٣٥١ هـ/ ٩ أفريل - نيسان ١٩٣٣ م.

في فِجاجِ الرّدى قد دفنتُ الألَمْ[1]
ونشرتُ الدُّموعْ لِرِيَاحِ العَدَمْ
واتَّخذتُ الحَياةْ مِعزَفاً للنَّغَمْ
أتغنَّى عليهْ في رِحَابِ الزَّمَانْ
وأذبتُ الأسَى في جمال الوُجودْ
وَدَحَوْتُ الفؤادْ واحةً للنَّشِيدْ[2]
والضِّيا والظِّلالْ والشَّذَى والورودْ
والهوى والشَّبابْ والمنى والحنَانْ

* * *

اسكُني يا جراحْ واسكُتي يا شُجونْ
مات عهدُ النواحْ وزَمانُ الجنونْ
وَأَطَلَ الصَّبَاحْ مِنْ وراءِ القُرونْ

* * *

في فؤادي الرحيبْ مَعْبدٌ للجَمَالْ
شيَّدتْه الحياةْ بالرُّؤَى، والخيَالْ
فَتَلَوْتُ الصَّلاة في خشوع الظِّلالْ...
وَحَرَقْتُ البُخُورْ... وأَضَأْتُ الشُّموعْ...

* * *

إن سِحْرَ الحياةْ خَالدٌ لا يزولْ
فَعلامَ الشَّكَاةْ مِنْ ظَلامٍ يَحُولْ[3]
ثمّ يأتي الصبَّاح وَتَمُرُّ الفُصولْ...؟
سوف يأتي رَبِيعْ إن تقضَّى رَبِيعْ
أُسكُنِي يا جراحْ واسكُتي يا شُجونْ
مَاتَ عهدُ النّواحْ وَزَمَانُ الجنونْ
وأطلَّ الصَّباحْ مِنْ وراءِ القُرُونْ

---

(١) الردى: الهلاك. الفِجاج: جمع الفج: الشق بين الجبلين.
(٢) دحوت: بسطتُ. الواحة: أي: الساحة.
(٣) الشكاة: الشكوى. يحول: يتحول ويتغير.

مــن وراءِ الــظَّلامْ وهــديــرِ المــيــاهْ
قــد دعــاني الــصَّــبــاحْ وَرَبــيــعُ الحَــيَــاه
يــا لَــهُ مِــنْ دُعــاءْ هــزَّ قــلبــي صَــداهْ
لَمْ يَــعُــدْ لي بــقَــاءْ فــوق هــذه الــبــقــاعْ

* * *

ألْــوَداعَ! الــوَداعْ يــا جــبَــالَ الهُــمــومْ
يــا ضَــبــابَ الأسى! يــا فِــجَــاجَ الجــحــيــمْ(١)
قــد جــرى زوْرَقِــي في الخِــضَــمِّ الــعَــظــيــمْ..(٢)
ونــشــرتُ الــقِــلاعْ... فــالــوَداعَ! الــوَداعْ

تحت الغصون(٣)

[من الخفيف]

هَهُنــا في خمــائــل الغــابِ، تحتَ الــزَّا نِ والــسِّــنــديــان، والــزَّيــتــونِ(٤)
أنــتِ أشــهــى مــن الحــيــاةِ وأبْهــى مــن جمــالِ الــطَّبــيــعــةِ المــيــمــونِ
مــا أرقَّ الشبــابَ، في جِسْمِــكِ الغضِّ وفي جيــدكِ البَــديــعِ، الثَّمــيــنِ!(٥)
وأدقَّ الجمــالَ في طــرفِــك السَّــاهــي، وفي ثــغــركَ الجــمــيــلِ، الحَــزيــنِ!
وألــذَّ الحــيــاةَ حــينَ تــغــنِّــيــن فَــأُصْــغِــي لــصــوتِــكِ المحــزُون
وأرى روحــكِ الجــمــيــلة عِــطــراً ضــايــعــاً في حــلاوة الــتَّــلحــيــنِ!(٦)
قَــدْ تَــغَــنَّــيْــتِ مــنــذُ حــينٍ بــصــوتٍ نــاعــمٍ، حــالمٍ، شــجــيٍّ حــنــونِ
نَــغَــمــاً كــالحــيــاة عــذبــاً عــمــيــقــاً في حَــنَــانٍ، ورقَّــةٍ، وحــنــيــنِ
فــإذا الــكــون قِــطــعــةٌ مــن نــشــيــدٍ عــلــويٍّ، مــنــغَّــمٍ، مــوزونِ
فَــلِمَــنْ كــنــتِ تُــنــشــديــن؟ فــقــالــتْ: «لــلــضــيــاءِ الــبَــنــفــجــيِّ الحــزيــنِ»
«لــلــضَّــبــاب المــورَّد، المــتــلاشي كــخــيــالاتِ حَــالمٍ، مــفــتــونِ
«لــلــمــســاءِ المــطلِّ لــلشَّــفَــق الــسَّــا جــي لِــسِحْــرِ الأسى، وَسِحــرِ الــسُّكــونِ»

---

(١) الفجاج: جمع الفج: الشق بين الجبلين.
(٢) الخِضَم: البحر.
(٣) نظمها في جمادي الثانية ١٣٥٢ هـ/ ٢١ سبتمبر - أيلول ١٩٣٣ م.
(٤) الخمائل: جمع الخميلة: الشجر الكثير الملتف. الزان، والسنديان والزيتون: ضروب من الشجر.
(٥) الجيد: العنق.
(٦) ضايع: منتشر.

«للعبير الذي يرفرف في الأفـ ـقِ ويفنى، مثلَ المنى، في سكونِ»
للأغاني التي رددها الرَّا عي بمزماره الصغير، الأمينِ
«للربيعِ الذي يؤجج في الدُّ نيا حياةَ الهوى، وروحَ الحنينِ
«ويوشّي الوجودَ بالسحرِ، والأحلا مِ والزهرِ، والشذى، واللحونِ(١)
«للحياةِ التي تغني حواليَّ! على السهلِ، والربى والحزونِ»(٢)
«للينابيعِ، للعصافيرِ، للظلِّ لهذا الثرى، لتلكَ الغصونِ»
«للنسيمِ الذي يضمّخ أحلا مي بعطرِ الأقاحِ والليمونِ(٣)
«للجمالِ الذي يفيض على الدُّ نيا لأشواقِ قلبيَ المشجونِ»
«للزمانِ الذي يوشح أيا مي بضوءِ المنى وظلِّ الشجونِ
«للشباب السكرانِ، للأملِ المعـ ـبود، لليأسِ، للأسى، للمنونِ»(٤)

* * *

فتنهدتُ، ثمّ قلتُ: «وقلبي مَنْ يغنّيه؟ مَنْ يُبيدُ شُجوني؟
قالت: «الحبُّ» ثمَّ غنّتْ لقلبي قُبَلاً عبقريّةَ التلحينِ
قُبَلاً، علّمتْ فؤادي الأغاني، وأنارتْ لهُ ظلامَ السنينَ
قبلاً، ترقصُ السعادةُ، والحبُّ على لحنِها العميقِ الرصينِ

* * *

..وأفقنا، فقلتُ كالحالمِ المسـ ـحورِ: قولي، تكلّمي، خبّريني
«أيُّ دنيا مسحورةٍ، أيُّ رؤيا طالعتني في ضوء هذي العيونِ:»
«زُمَرٌ من ملائكِ الملأ الأعـ ـلى «يُغنّونَ في حُنُوٍّ حنونِ»
«وصبايا رواقصٌ، يتراشقـ ـنَ بزهرِ التفاحِ والياسمينِ»
«في فضاءٍ، مورَّدٍ حالمٍ سا ءٍ أطافتْ به عذارى الفنونِ»(٥)
«وجحيمٍ تؤجّجُ تحتَ فراديـ ـسَ كأحلامِ شاعرٍ مجنونِ»(٦)

---

(١) يوشّي: يلوِّن. الشذى: قوة ذكاء الرائحة.
(٢) الربى: جمع الرابية: التلّة. الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.
(٣) يضمّخ: يلطِّخ بالطيب. الأقاصي: من النباتات البرية ذات زهر أحمر.
(٤) المنون: الموت.
(٥) أطافت: أحاطت.
(٦) تؤجج: تتأجج أي تتوهج. الفراديس: جمع الفردوس: البستان - يجمع كل ما يكون في البساتين.

«أيُّ خمرٍ مؤجَّجٍ ولهيبِ   مُسكرٍ؟ أيُّ نشوةٍ، وجنونِ؟»

«أيُّ خمرٍ رشفتُ، بل أيُّ نارٍ   في شفاهٍ، بديعةِ التَّكوينِ»

«وَرَدتْها الحياةُ في لَهَبِ السُّحـ   ـرِ، ونُورِ الهوى، وَظلِّ الشُّجونِ»

«أيُّ إثمٍ مقدَّسٍ، قد لبسنا   بُرْدَهُ في مسائنا الميمونِ؟»[1]

فَبَدَا طيفُ بسمةٍ، سَاحِرٌ، عَذْ   بٌ، على ثغرِها، قَويُّ الفُتونِ

واجابتْ - وكلُّها فتنةٌ تُغـ   ـوي، وتُغري بالحبِّ، بلْ بالجنونِ :

أبداً! أنتَ حالمٌ، فاسألِ اللَّيـ   ـلَ، فعندَ الظَّلامِ عِلْمُ اليقينِ. . »

وسكتنا، وَغَرَّدَ الحبُّ في الغا   بِ، فأصغى حتّى حفيفُ الغُصونِ

وبنى اللَّيلُ والرَّبيعُ حواليـ   ـنا من السِّحرِ والرُّؤى والسُّكونِ

معبداً للجمالِ، والحبُّ شِعريًّا،   مَشِيداً على فِجاجِ السنينِ[2]

تَحتَهُ يزخرُ الزَّمانُ، ويجري   صَامتاً، في مَسيلِه المحزونِ

وتمرُّ الأيَّامُ، والحُزْنُ، والمو   تُ، بعيداً! عن ظلِّه المأمونِ

معبداً، ساحراً، مباخرُهُ الزَّهـ   ـرُ، على الصخرِ، والثَّرى، والغُصونِ

كلُّ زهرٍ يَضُوعُ منه أريجٌ   من بخُورِ الرَّبيعِ، جَمُّ الفُتونِ

ونجومُ السَّماءِ فيه شموعٌ   أوْقَدَتْها للحُبِّ روحُ القُرونِ

ومضتْ نسمةٌ تُوَسْوِسُ للغا   بِ، وتشدُو في عمق ذاكَ السُّكونِ[3]

وطُغَى السِّحرُ، والغرامُ بقلبي   فتوسَّلْتُ ضارعاً بجفوني:

«طهِّري يا شقيقةَ الرُّوحِ ثغري   بلهيبِ الحياةِ، بَلْ قبِّليني»

«إنَّ نارَ الحياةِ والكوثرَ المنـ   ـشودَ، في ثغرِكِ الشهيِّ، الحزينِ»[4]

«فهو كأسٌ سِحْريَّةٌ، لرحيقِ الـ   ـخُلْدِ قد صاغها إلهُ الفنونِ»

«قَبِّليني، وَأسْكِري ثغريَ الصَّا   دي وقلبي، وفِتنتي، وجنوني»[5]

علَّني أستطيعُ أنْ أتغنَّى   لجمالِ الدُّجى بوحيِ العُيونِ»

«آه ما أجملَ الظَّلامَ! وأقوى   وحيَهُ في فؤادي المفتونِ!»

«انظري اللَّيلَ فهو حلَّةُ الأحـ   ـلامِ يمشي على الذُّرى والحُزُونِ»[6]

---

(١) الإثم: الذَّنب. البُرد: ضرب من الثياب المخططة.

(٢) الفِجاج: جمع الفج: الشق بين جبلين.

(٣) توسوس من الوسوسة: حديث النفس بما لا خير فيه.

(٤) الكوثر: النهر، ونهر في الجنة.

(٥) الصادي: الشديد العطش.

(٦) الذُّرى: جمع الذروة: القمَّة. الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.

«واسمعي الغـابَ، فهـو قيثـارةُ الكـو ... نِ تـغـنـي لحـبِّـنـا الـمـيـمـونِ»[1]
إن سِحْـرَ الضَّبـاب، واللَّيـلِ، والغَـا ... بِ بـعـيـدُ المـدى، قـويُّ الـفُـتـونِ
«وجمـالَ الـظَّلامِ يـعـبـقُ بـالأحـ ... ـلامِ والحُبِّ.. فـابْسِمي، والْثُمِـني»[2]
....
آهِ! مـا أعـذَبَ الـغَـرامَ! وأحـلى ... رنَّـةَ اللَّثْمِ في خُشوعِ السُّكونِ!

***

.وَسَكِـرْنـا هنـاك.. في عـالمِ الأحـ ... ـلامِ تحت السَّماءِ، تحتَ الغصـونِ..
وتـوارى الـوجـودُ عـنَّـا بمـا فـيـ ... ـه.. وغبـنـا في عـالمٍ مـفـتـونِ..
ونسيـنـا الحيـاةَ، والمـوتَ، والسُّكـو ... نَ ومـا فـيـه مـن مُـنًى وَمَـنُـونِ[3]

كَهرباءُ الغرام[4]

[الخفيف]

كهـربـاءُ الغـرام في الأعـينِ النُّجـلِ ... وتـيَّـارهـا بـسِـلـك الجـفـونْ[5]
يـرسـل الـلحظ لـلقـلوب كـنُـور ... فـإذا مَـسَّـهـا فـنـارُ المـنـون[6]
فـإذا مـا انـجـلى نِـقـابُ الأمـاني ... صـار حـبًّـا، مَـدَلَّهـاً، ذا فُـتـون[7]
يـقـرع الـسِّـن حُـرقـةً وابـتـهـالاً ... ويـصـير الحـبـورُ لـيـلَ شـجـون[8]

(١) القيثارة: من الآلات الموسيقية.
(٢) اللثم: التقبيل.
(٣) المنون: الموت.
(٤) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».
(٥) الأعين النجل: الواسعة.
(٦) المنون: الموت.
(٧) النِّقاب: الغطاء.
(٨) الحبور: الفرح. الشجون: الحزن.

أغنية الشّاعر[1]

[من البسيط]

يا ربّةَ الشّعرِ والأحلام، غنّيني   فَقَدْ سَئمتُ وُجُومَ الكونِ، مِنْ حِينِ

إن الليالي اللّواتي ضمّخَتْ كَبِدي   بالسِّحْر أضحتْ مع الأيّامِ ترميني

نَاخَتْ بنفسي مآسيها، وَمَا وَجَدَتْ   قلباً عَطوفاً يُسَلّيها، فَعزّيني

وَهَدَّ مِنْ خَلَدي نَوْحٌ، تُرَجِّعُه   بَلْوَى الحياةِ، وأحزانُ المساكين[2]

على الحياة أنا أبكي لِشِقْوَتها   فَمَنْ إذا مُتُّ يبكيها ويبكيني؟

يَا رَبَّةَ الشّعرِ، غنّيني، فقد ضَجِرَتْ   نفسي مِنَ النّاسِ أبناءِ الشّياطينِ

تَبَرَّمَتْ بَيْنيَ الدُّنيا، وَأَعوزَهَا   في مِعزفِ الدّهرِ غرّيدُ الأرانين[3]

وَراحةُ اللّيلِ ملأى مِنْ مَدَامِعِهِ   وَغَادَةُ الحُبِّ ثكلى، لا تغنّيني[4]

فهل إذا لُذْتُ بالظّلماءِ، مُنْتَحِباً   أسلو؟ وما نَفْعُ مَحْزُونٍ لمحزونِ؟[5]

يا ربّةَ الشّعرِ إنّي بائسٌ تَعِسٌ   عَدِمْتُ ما أرتجي في العالَمِ الدُّونِ

وفي يديكِ مزاميرٌ يُخَالِجُها   وَحْيُ السّماءِ، فهاتيها، وغنّيني

ورتّلي حولَ بيتِ الحُزْنِ أغنيَةً   تجلُو عن النّفسِ أحوانَ الأحابين[6]

فإنَّ قلبيَ قبرٌ، مُظْلِمٌ، قُبِرتْ   فيه الأماني، فما عادتْ تناغيني

لولاكِ في هذه الدُّنيا لَمَا لَمَسَتْ   أوتارَ رُوحيَ أصْواتُ الأفانينِ

ولا تغنَّيْتُ مأخوذاً.. ولا عَذُبَتْ   ليَ الحياةُ لدى غضِّ الرّياحين

ولا ازدهى النّفْسَ في أشجانها شَفَقٌ   يُلَوِّنُ الغيْمَ هَوناً أيَّ تلوين

ولا استخفَّ حياتي، وَهْيَ هائمةٌ   فجرُ الهوى في جفون الخُرَّدِ العين[7]

---

(١) نظمها في ١٦ رمضان ١٣٤٦ هـ/ ٨ مارس ـ آذار ١٩٢٨ م.

(٢) الخَلَد: البال والنّفس والقلب.

(٣) الأرانين: يعني الأصوات.

(٤) الثكلى: التي فقدت.

(٥) لُذت: التجأت. منتحب، من النحيب: شدة البكاء.

(٦) أحايين: جمع الجمع من أحيان أي أوقات.

(٧) الخُرَّد: جمع الخريدة: الخفرة الطويلة السكوت، أو البكر التي لم تُمس.

الإعتراف [1]

[من البسيط]

مـا كنتُ أحْسَبُ بعدَ موتـكَ يـا أبي ـ ومشاعري عمياءُ بالأحزانِ
أنّي سأظمأ للحياةِ، وأحتسي مِنْ نَهرِها المتوهِّجِ النّشوانِ
وأعودُ للدُّنيا بقلبٍ خافقٍ للحبِّ، والأفراحِ، والألحانِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُوَرِ المنى وغرائبِ الأهواءِ والأشْجانِ [2]
تحرَّكتْ السُّنونَ، وأقبلتْ فِتَنُ الحياةِ بخرِهَا الفتّانِ
فإذا أنا ما زلت طفلاً، مُولَعاً بتعقُّبِ الأضْواءِ والألوانِ [3]
وإذا التَّشاؤُمُ بالحياةِ ورفضُهَا ضَرْبٌ من البُهْتَانِ والهَذَيانِ [4]
إنَّ ابنَ آدمَ في قرارةِ نفسِهِ عبدُ الحياةِ الصَّادقُ الإيمانِ

الحياة [5]

[من الخفيف]

إنَّ هذِي الحَيَاةَ قِيثَارَةُ الله، وَأهْلُ الحَيَاةِ مِثْلُ اللُّحُونِ [6]
نَغَمٌ يَسْتَبِي المَشَاعِرَ كَالسِّحْرِ، وَصَوْتٌ يُخِلُّ بالتَّلْحِينِ [7]
وَاللَّيَالِي مَغَاوِرٌ، تُلْحِدُ اللَّحْنَ وَتَقْضي عَلَى الصَّدَى المِسْكِينِ [8]

---

(1) نظمها في ٣ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ/ ١٧ فيفري ـ شباط ١٩٣٤ م.
(٢) الأشجان: الأحزان، الواحد شَجَن.
(٣) التعقّب: التتبع.
(٤) البهتان: الكذب. الهذيان: الكلام لا معنى له.
(٥) نظمها في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ/ ٢١ ديسمبر ـ كانون الأول ١٩٢٥ م. وهي مما نشره الأستاذ السنوسي.
(٦) القيثارة: من الآلات الموسيقية. اللحون: الألحان والأنغام.
(٧) يستبي: يستلب.
(٨) المغاور: جمع المغارة: الكهف. الصّدى: ما يسمعه المصوّت في المغارة أو في الوادي.

قافية الهاء

أنا أبكيك للحبّ[1]

[من مجزوء الرمل]

لَستُ يا أمسِيَ أبكيـ ... ـكَ لِمَجدٍ أو لِجاهْ
فَسَلَبتهُ منيَ الدُّنيا، ... وبزّتني رداهْ[2]
فأنا أحتقرُ المجـ ... ـدَ وأوهامَ الحياهْ

* * *

أو لِعُمرٍ، بَلَغتْ مَنـ ... ـهُ الليالي مُنتهاهْ
وتَلاشتْ في خِضَمِّ الـ ... ـزَمَنِ الطّاغي قواهْ[3]
فأنا ما زلتُ في فَجـ ... ـرِ شبابي أو ضُحاهْ
لا، ولا أبكيكَ يا أمسِـ ... ـي، إذا ما قلتُ: «آهْ»
لِنَعيمٍ، لم يَنلْ قلـ ... ـبي منهُ مُشتهاهْ
فبنو الأيّامِ في الدُّ ... نيا كما شاءَ الإلهْ

* * *

إنّما أبكيكَ للحبِّ، ... الذي كانَ بَهاهْ
يملأُ الدُّنيا فأنّى ... سِرتُ في الدُّنيا أراهْ
فإذا ما لاحَ فجرٌ، ... كانَ في الفَجرِ سَناهْ[4]
وإذا غرّدَ طَيرٌ، ... كانَ في الشَّدوِ صَداهْ

---

(١) نظمها في ٨ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ/ ٢١ سبتمبر ـ أيلول ١٩٣١ م.
(٢) بزّتني: غلبتني وسلبتني. الرداء: الثوب.
(٣) الخضم: البحر. تلاشت: توارت.
(٤) السنا: الضوء.

وإذا ما ضَاعَ عِطْرٌ، كان في العِطْر شَذَاهْ
وإذا ما رفّ زهرٌ، كان في الزّهر صِبَاهْ
فهو في الكونِ جمالٌ، يملأ الأفقَ ضِياه
وَتُوَشِّي هذه الأكـ ـوانَ بالسّحر رُؤاهْ
وهو في قلبي ـ الذي عانقهُ الفجرُ ـ إلَهْ!
عَبْقريُّ السِّحرِ، ممرا حٌ وديعٌ في سَمَاهْ[1]
يَنسجُ الأحلامَ في قلـ ـبي بأضواءِ الحَيَاهْ
ويُغنّيني، فأنسَى في معسرّاتِ غِناهْ
كُلَّ ما في الكونِ مِنْ حُزنٍ وأفراحٍ، عَدَاهْ

يا ابن أمّي[2]

[من المتقارب]

خُلقتَ طَليقاً كَطَيْفِ النّسيمِ، وَحُرًّا كَنُورِ الضُّحى في سَماهْ[3]
تُغَرِّد كالطّيرِ أيْنَ اندفعتَ، وتشدو بما شاءَ وَحْيُ الإلهْ
وَتَمْرَحُ بينَ وُرودِ الصَّبَاحِ، وتنعَمُ بالنُّورِ، أنّى تَراهْ
وَتَمْشي ـ كما شِئتَ ـ بينَ المُروجِ، وَتَقْطُفُ وَرْدَ الرُّبى في رُباهْ
كذا صَاغَكَ الله، يا ابنَ الوجودِ، وألقَتْكَ في الكونِ هَذِي الحياهْ
فما لَكَ ترضَى بذلِّ القُيودِ، وتَحني لِمَنْ كَبَّلوك الجِبَاهْ؟
وتُسْكِتُ في النَّفْسِ صوتَ الحياةِ القويَّ إذا ما تغنَّى صَدَاهْ؟
وتُطْبِقُ أجفانَكَ النَّيراتِ عَنِ الفَجْرِ، والفجرُ عَذْبٌ ضِيَاهْ
وتقْنَعُ بالعيشِ بَيْنَ الكهوفِ، فأيْنَ النَّشيدُ؟ وأينَ الإِيَاهْ؟[4]
أتخشى نشيدَ السَّماءِ الجميلَ؟ أتَرْهَبُ نورَ الفَضا في ضُحَاهْ؟
ألا انهضْ وَسِرْ في سبيلِ الحياةِ، فَمَنْ نَامَ لم تَنْتَظِرْهُ الحَيَاهْ؟
ولا تَخْشَ مِمَّا وراءَ التلاعِ.. فما ثَمَّ إلا الضُّحى في صِبَاهْ...

---

(١) فرس ممراح: نشيط.
(٢) نظمها في ١٠ رمضان ١٣٤٧ هـ / ٢٠ فيفري ـ شباط ١٩٢٩ م.
(٣) الطيف: الخيال الطائف في المنام.
(٤) الإياة، يعني: الشعاع.

وإلاّ ربيعُ الوجودِ الغريرُ، يطرِّزُ بالوردِ ضافي رِدَاهْ..[1]
وإلاّ أريجُ الزُّهورِ الصِّباحِ، ورقصُ الأشعَّةِ بين المياهْ...
وإلا حَمَامُ المروجِ الأنيقُ، يغرِّدُ منطلقاً في غِناهْ...
إلى النُّورِ! فالنُّورِ عذبٌ جميلٌ، إلى النُّورِ فالنُّورُ ظِلُّ الإلهْ

إلى طغاة العالم[2]

[من المتقارب]

ألا أيّها الظَّالمُ المستبدُّ حَبيبُ الظَّلامِ، عَدوُّ الحياهْ
سَخِرْتَ بأنَّاتِ شَعْبٍ ضَعيفٍ وَكَفُّكَ مخضوبَةٌ من دماهْ[3]
وَسِرْتَ تُشَوِّه سِحْرَ الوجودِ وَتَبْذُرُ شوكَ الأسى في رُباه
رُوَيْدَكَ! لا يخدعنك الربيعُ وصحوُ الفضاءِ، وضوءُ الصباحْ
ففي الأفُق الرَّحْب هولُ الظَّلامِ وقصفُ الرُّعودِ، وعَصْفُ الرِّياحْ
حَذارِ! فَتَحْتَ الرَّمادِ اللهيبُ وَمن يَبْذرِ الشَّوكَ يَجْنِ الجراحْ
تأملْ! هنالِكَ.. أنّى حَصَدْتَ رؤوسَ الورى، وزهورَ الأملْ[4]
وَرَوَّيْتَ بالدَّمِ قَلْبَ التُّرابِ وأشْربتَه الدَّمعَ، حتّى ثَمِلْ[5]
سيجرُفُكَ السَّيْلُ، سَيْلُ الدِّماءِ ويأكلُكَ العَاصِفُ المشتَعِلْ

تونسُ الجميلة[6]

[من الخفيف]

لَسْتُ أبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَويلٍ، أوْ لِرَبعٍ غَدَا العَفَاءُ مَرَاحهْ[7]

---

(١) الغرير من العيش: ما لا يفزّع أهله، والغرير: الشاب لا تجربة له. ويريد ههنا الحُسن.
(٢) نظمها في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٢ هـ/ ٨ أفريل - نيسان ١٩٣٤ م.
(٣) مخضوبة: مصطبغة.
(٤) الورى: الخلْق.
(٥) ثمِل: سكر.
(٦) نظمها في ١٠ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ/ ٢ جوان - حزيران ١٩٢٥ م.
(٧) العسف بالليل: الخبط على غير هدى، والاعتساف يبغي طلبة. المراح: ثلاث شِعاب ينظر بعضها إلى
(٨) بعض. العفاء: الزوال.

إنَّما عَبْرَتِي لِخَطْبٍ ثَقِيلٍ، قَدْ عَرَانَا، وَلَمْ نَجِدْ مَنْ أزاحهْ[1]

كُلَّما قَامَ فِي البِلادِ خَطِيبٌ مُوقِظٌ شَعْبَهُ يُرِيدُ صَلاَحَهْ

أَلْبَسُوا رُوحَهُ قَمِيصَ اضْطِهَادٍ فَاتِكٍ شَائِكٍ يَرُدُّ جِمَاحَهُ[2]

أَخْمَدُوا صَوْتَهُ الإِلهِيَّ بِالعَسْفِ، أَمَاتُوا صُدَاحَهُ وَنُوَاحَهْ[3]

وَتَوَخَّوْا طَرَائِقَ العَسْفِ والإِرْ هَاقِ تَوًّا، وَمَا تَوَخَّوْا سَمَاحَهْ[4]

هَكَذا المُخْلِصُونَ فِي كُلِّ صَوْبٍ رَشَقَاتُ الرَّدَى إليهم مُتَاحَهْ[5]

غَيْرَ أَنَّا تَنَاوَبَتْنَا الرَّزَايَا وَاسْتَبَاحَتْ حِمَانَا أيَّ اسْتِبَاحَهْ[6]

أَنَا يَا تُونُسَ الجَمِيلَةَ فِي لُجِّ الهَوَى قَدْ سَبَحْتُ أَيَّ سِبَاحَهْ[7]

شِرْعَتِي حُبُّكِ العَمِيقُ وإنِّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَاحَهْ[8]

لَسْتُ أَنْصَاعُ للوَاحِي وَلَوْ مُتُّ وَقَامَتْ عَلَى شَبَابِي المَنَاحَهْ[9]

لا أُبَالِي.. وَإنْ أُرِيقَتْ دِمَائِي فَدِمَاءُ العُشَّاقِ دَوْماً مُبَاحَهْ

وَبِطُولِ المَدَى تُرِيكِ اللَّيَالِي صَادِقَ الحُبِّ وَالوَلاَ وَسَجَاحَهْ[10]

إنَّ ذا عَصْرُ ظُلْمَةٍ غَيْرَ أَنِّي مِنْ وَرَاءِ الظَّلاَمِ شِمْتُ صَبَاحَهْ[11]

ضَيَّعَ الدَّهْرُ مَجْدَ شَعْبِي وَلكِنْ سَتَرُدُّ الحَيَاةُ يَوماً وِشَاحَهْ

---

(١) عرانا: غشينا.

(٢) الجماح والجُموح بمعنى التمرّد: جمح الفرسُ: اعتزّ فارسه وغلبه.

(٣) العَسْف: الظلم. الصُّداح: رفع الصوت بغناء.

(٤) توخّى: تعمّد.

(٥) الردى: الهلاك.

(٦) الرزايا: جمع الرزيّة: المصيبة.

(٧) اللُّج: معظم الماء.

(٨) القراح: يعني الماء الخالص لا يخالطه ثفل.

(٩) الواحي: بمعنى الوحي أي: الملك.

(١٠) السِّجاح: التِّجاه. والأسجح: الحسن المعتدل.

(١١) شِمت: نظرت.

من أغاني الرّعاة[1]

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم «من الشمال التونسي» مستشفياً، وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة، والجبال الشم المجللة بالسنديان قضى عهداً شعرياً، وادعاً، خالصاً للشعر، والسحر والأحلام. وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال، والأودية والغابات.

[من مجزوء الرّمل]

أقبلَ الصُّبْحُ يُغنِّي ... للحياةِ النّاعِسَهْ
والرُّبى تحلُمُ في ظِلّ ... الغُصونِ المائسَهْ[2]
والصَّبا تُرْقِص أورا ... قَ الزُّهورِ اليابسَهْ[3]
وتَهادَى النُّورُ في تلـ ... ـك الفِجَاجِ الدّامسَهْ[4]

* * *

أقبلَ الصُّبحُ جميلاً، ... يملأ الأفْقَ بَهَاه
فتَمَطّى الزَّهْرُ، والطّيـ ... ـرُ، وأمْواجُ المياهْ
قد أفاقَ العَالم الحـ ... ـيُّ، وَغَنَّى للحياه
فأفِيقي يا خِرافي، ... وَهَلُمِّي يا شِياهْ[5]

* * *

واتبعِيني يا شِياهي، ... بينَ أسرابِ الطُّيورْ
واملإي الوَادي ثُغاءً، ... وَمِراحاً وحُبُورْ[6]
واسمعي هَمْسَ السَّواقي، ... وانشَقي عِطْرَالزُّهُورْ
وانظري الوادي، يُغَشّيـ ... ـه الضَّبابُ المُسْتَنيرْ

* * *

---

(١) نظمها في ١٠ شوال ١٣٥١ هـ / ٦ فيفري - شباط ١٩٣٣ م.

(٢) الربى: جمع الرابية: التلّة. المائسة: المتمايلة.

(٣) الصَّبا: ريح شرقية لينة.

(٤) تهادى: تمايل. الفِجاج: جمع الفَج: الشق بين جبلين.

(٥) الشياه: جمع الشاة.

(٦) الثغاء: صوت الغنم. المراح والحبور: النشاط والسرور.

واقـطُفي من كـلإِ الأرضِ، وَمَـرعـاهـا الجَـديـدْ[1]
واسمعي شبَّابتي تَشْـدُو، بمـعـسـولِ الـنَّـشـيـدْ[2]
نـغَـمٌ يَـصْـعَـدُ مـن قـلـبـي، كـأنـفـاسِ الـوُرودْ
ثُـمَ يَـسْـمُـو طـائـراً كـالـبلبـلِ الشَّـادي الـسَّـعـيـدْ

* * *

إذا جئـنـا إلى الـغَـابِ، وغـطـانـا الـشَّـجَـرْ
فـاقـطُفـي مـا شئـتِ مـن عُـشْـبٍ، وزَهْـرٍ وثَـمَـرْ
أرضَعْتـهُ الشَّمْسُ بـالـضـوءِ، وغَـذَّاهُ الـقَـمَـرْ
وارتَـوَى من قَـطَراتِ الـطَّلِّ، في وَقْـتِ الـسَّـحَـرْ[3]

* * *

وامْـرَحِـي مَـا شِئْـتِ في الـوديـان، أو فـوقَ التِّـلالْ
واربضي في ظـلِّهـا الـوَارِفِ، إنْ خِـفْـتِ الـكَـلالْ[4]
وامْضَغِـي الأعـشـابَ، والأفـكَـارَ في صَـمْـتِ الـظِّلالْ
واسـمـعـي الـرِّيـحَ تُغَـنِّي، في شَـمَاريـخِ الجِـبَـالْ[5]

* * *

إن في الـغـاب أزاهـيـراً، وأعـشـابـاً عِـذابْ
يُنْشِـدُ الـنَّـحْـلُ حَـوالَيْهـا، أهـازيجـاً طِـرابْ[6]
لم تُـدَنِّس عِـطرَهـا الـطَّـاهـرَ أنـفَـاسُ الـذِّئـابْ
لا، ولا طَـافَ بِهَـا الـثَّـعْـلبُ في بعضِ الصِّـحَـابْ!

* * *

وشَـذاً حـلواً، وسِـحْـراً، وسَـلامـاً، وظِـلالْ
ونَـسـيـمـاً سـاحـرَ الخـطـوةِ، مَـوْفُـورَ الـدّلالْ

---

(١) كلأ الأرض: مراعيها وأعشابها.
(٢) الشبّابة: من الآلات الموسيقية، يحملها الرعاة.
(٣) الطل: الندى.
(٤) الكَلال: الإعياء.
(٥) شماريخ الجبال: رؤوس الجبال.
(٦) الأهازيج: الأغاني.

وغُصوناً يَرْقُصُ النُّو ... رُ عليها، والجَمالْ
واخضراراً أبديّاً، ليسَ تَمْحُوه اللّيالْ

* * *

لن تَمَلّي، يا خِرَافي، ... في حمى الغَابِ الظَّليلْ
فزَمانُ الغابِ طفلٌ، ... لاَعِبٌ، عَذْبٌ، جميلْ
وزمانُ النّاس شَيْخٌ، ... عابسُ الوجهِ، ثقيلْ
يتمشّى في مَلالٍ، ... فوقَ هاتيكَ السُّهولْ[1]

* * *

لكِ في الغاباتِ مرعا ... كِ، ومَسْعَاكِ الجميلْ
وليَ الإنْشَادُ، والعَزْفُ ... إلى وقتِ الأصيلْ
فإذا طالتْ ظِلالُ الكَ ... ـلإ الغضّ، الضّئيلْ[2]
فهلمّي نُرْجِعِ المسْعـ ... ـى إلى الحيِّ النّبيلْ

في فجاج الآلام[3]

[من المجتث]

يَا لابتسامَةِ قَلْبٍ ... مَطْلُولَةٍ بِدمُوعِهْ[4]
غَاضَتْ، فَلَمْ تُبْقِ إلاَّ ... الدُّمُوعَ بينَ صُدُوعِهْ[5]
فَظَلّ يَهْتفُ من شَجْـ ... ـوِهِ، وَفَرْطِ وُلُوعِهْ[6]
«وَيْحَ الحياةِ! أمَا تَنْـ ... ـقَضي لَدَيها الرّزايا؟!»[7]
«أما يُكَفْكِفُ هذا الزَّ ... مانُ صَوْبَ البَلايا؟!»[8]

---

(١) مَلال: مَلّ أي ضجر.
(٢) الكلأ: المرعى والعشب. الغض: الطري.
(٣) نظمها في ١٠ شوّال ١٣٤٦هـ/ غرة أفريل ـ نيسان ١٩٢٨ م.
(٤) مطلولة: أصابها الطل أي الندى.
(٥) غاض الماء والدمع: قلّ ونقص. الصدوع: الشقوق.
(٦) الفرط: الزيادة. الشجو: الحزن.
(٧) الرزايا: جمع الرزيّة: المصيبة.
(٨) يكفكف: يدفع ويصرف.

«يـا دهـرُ! رفقـاً! فـإنَّ القُـ ـلوبُ أمْـسَـتْ شَـظَايـا»[1]

* * *

يـا قـلبُ نَهْنِهْ دمـوعَ الأسى، وَلَـوْعـةَ رُوعِـكْ
إنَّ الـدُّهـورَ الـبَـواكـي غَـنِـيَّـةٌ عَـنْ دُمُـوعِـكْ
حَـسْـبُ الحـيـاةِ أسـاهـا فَـاطْـوِ الأسى في ضُـلُوعِـكْ
وَاحْـلُمْ بِفَجْـرِ الليـالي... فَفَجْـرُهَـا في هُـجُـوعِـكْ[2]
وإنْ غَـفَـوْتَ فَـإنَّ الحـيـ ـاةَ لَـيْـسَـتْ تَـرُوعُـكْ
وَسَـوْفَ يمضي شِـتَـاءُ الأسـ ـى، وَيَـأْتي رَبِـيـعُـكْ

* * *

بـيـنَ الـقُـبـورِ فَـتَـاةٌ جـارَ الـزَّمـانُ عـلـيْـهـا
فـافْـتَـكَّ منهـا بِـعُـنْـفٍ كَـفُّ الـرَّدى أَبَـوَيْـهـا[3]
تَـقُـول والـلَّـيـل سَـاجٍ والـقـبرُ مصـغٍ إلـيـهـا:[4]
«يـا لـيـتـني متُّ مـن قَـبْـ ـلِ أنْ تَـسُـوءَ حَـيَـاتي!»
«ويَـنْـضُـبَ الـدَّمْـع من لـوْ عـتي، ومِـنْ حَسَراتي!»
«مَـنْ لي بِـحُـفْـرةِ قَـبْـ ـرٍ تَـضـمُّـني وَشَـكَـاتي!»[5]
في الحـيِّ صـبٌّ يـعـاني في الـصَّـدْرِ داءً دَفِـيـنـاً[6]
وفي الـفُـؤادِ جـوًى كـا مِـنـاً وَجِـسًّـا مَـكِـيـنـاً[7]
حَـتَّى دهـتْـه الـلَّـيـالي وجـرَّعَـتْـه مَـنُـونَـهْ
فَـشَـيَّـعَ المـيْـتَ جمـعٌ مِـنْ حـيِّـيـهِ، يَـنْـدُبُـونَـهْ
حـتَّى إذا مـا أرادوا رصْـفَ الصَّـفَـائِـحِ دونَـهْ[8]
نَـاحَـتْ عَـلـيـهِ فـتـاةٌ: «ويـلي، لِمَـنْ تـتركـونَـهْ!»

---

(١) الشظايا: جمع الشظيّة: كل فِلقة من شيء.
(٢) المجوع: النوم.
(٣) الردى: الهلاك. قوله: افتكّ منها، أي انتهز منها فرصة.
(٤) ساجي: هادىء ساكن.
(٥) الشكاة: الشكوى.
(٦) الصب: المتشوق. الداء: المرض.
(٧) الجوى: الهوى الباطن.
(٨) الصفائح: حجارة توضع على قبر الميت.

كـانَ الـصـبـيُّ يَـصِـيـدُ الـفَـراشَ بـينَ الـزُّهـورِ
فَـدَاسَ زَهـراً نـديًّـا ألـقـى بـه في الـغَـديـرِ
فَـأخْـرَجُـوه، ولـكِـنْ بـعـد الـقـضـاءِ الأخـيرِ. . .
فـخـرَّت الأمُّ حـولَ الـصَّـبـيِّ، تـصـرخُ: «ويـلي،
فـقـلتُ ـ والـقـلبُ دَامٍ والـنَّـاسُ يـبـكـون حـولي ـ:
«مـا أسـخـفَ الـعيشَ تَـقْـضِي عـليـهِ زلَّـةُ نَـعْـلِ!»

* * *

شـيـخٌ، شَـآهُ دَهْـرُ الأسى، وَحِـيـدٌ شَـتِـيـتُ[1]
بـينَ الخـرائـبِ يُمْسي عـلى الـطَّوى، ويَـبِـيـتُ[2]
في ظُـلْـمَـةِ الـلَّيـل فـاضَـتْ عـلى الـوجـود حـيـاتُـهْ
وطـرفُـهُ يَـرْمُـقُ الـنَّـجْـمَ مِـلؤُهُ عَـبَـراتُـهْ
ومـا حـوالـيـهِ إلاّ الخـرابُ يُـشـجِـي صُـمـاتُـهْ
فـما بـكـاهُ فَـتَـاهُ ولا بـكـتْـهُ فـتـاتُـهْ
يـا زهـرةً سَـامَـهـا الـعَـابِـرون خَـسْـفـاً وهُـونـا[3]
لـو كنتِ شـوكـاً عَضـوضـاً مـا داسَـكِ الـعَـابِـرُونـا
لأنهم يجـهـلونَ الـوَحْـيَ الـذي تُـضْـمـريـنـا
هُـمْ يَـسْـخَـرُون بِهَمْسِ الـزُّهـورِ، وَهْـوَ بـديـعُ!
ويُـنـصِـتـونَ لِـصَـوْتِ الأشـواكِ، وَهْـوَ مُـريـعُ!
فـلا تُـبـالي بـقـومٍ الحـقُّ فِـيـهِـمْ صَرِيـعُ
ربَّـاه! كَـمْ مِـنْ فـتـاةٍ تـشـكـو الحـيـاة وتـبـكي،
ومُـعْـدَمٍ، بـوَّأتْـهُ الـدُّهـورُ مَـقْـعَـدَ ضَـنْـكِ[4]
وَيَـائسٍ مَـاتَ في لُـبِّـهِ المَـرَامُ الـوَحِـيـدُ[5]
وتـائـهٍ، ضـاع بـين الـقِـفَـارِ، وَهُـوَ فـريـدُ
حـتَّى طَـوتْـهُ مِـنَ الـعَـاصِـفَـاتِ ريـحٌ شَرُودُ

---

(١) شآه: سبقه.
(٢) الطوى: الجوع.
(٣) سامه: أذله: الهون: الذل.
(٤) بوّأته: أنزلته. الضّنك: الضيق من كل شيء.
(٥) المرام: الهدف.

ربَّاه! رُحماك إنَّ الزَّمانَ فَضٌّ شَديدُ[1]

* * *

يا طَائِرَ الشِّعْرِ! رَوِّحْ على الحياةِ الكئيبَهْ
وامْسَحْ بريشِكَ دمْعَ الـ ـقُلوبِ فَهْيَ غريبَهْ
وَعَزِّهَا عَنْ أَسَاهـ ـا فقَدْ دَهَتْها المُصيبَهْ
وأَنْتَ روحٌ جميلٌ، بينَ الهِضابِ الجديبَهْ
فانفخْ بها مِنْ لهيبَ السَّـ ـماءِ رُوحاً خَضيبَهْ[2]
وابعَثْ بسحرِكَ في قلـ ـبِها ضِرَامَ الشَّبِيبَهْ[3]

جدول الحبّ[4]

بين الأمس واليوم

[من مجزوء الكامل]

بالأمسِ قَدْ كانتْ حَيَا تي كالسَّماءِ الباسِمَهْ
واليومَ، قد أمْسَتْ كأعْـ ـماقِ الكُهُوفِ الواجِمَهْ[5]
قَدْ كَانَ لي مَا بَيْنَ أحـ ـلامي الجَميلةِ جَدْوَلُ
يَجْري بِهِ ماءُ المَحَبَّـ ـةِ طَاهِراً يَتَسَلْسَلُ
تَسْعَى بِهِ الأمْوَاجُ با سِمَةً كأحْلامِ الصِّبَا
بَيْضَاءَ، نَاصِعَةً ضحو كاً مِثْلَ أزهارِ الرُّبى[6]
مَيَّاسَةً كَعَرائِسِ الـ ـفِرْدَوْسِ بينَ حُقولِهِ[7]

---

(١) فضّ، أي انه يفرّق.
(٢) خضيبة أي مخضوبة: مصطبغة.
(٣) الضِّرام: الاشتعال، أو ما اشتعل من الحطب.
(٤) نظمها في ٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ/ ٣٠ أوت ـ اغسطس آب ١٩٢٧ م.
(٥) الواجمة: العابسة.
(٦) الربى: جمع الرابية: التلّة.
(٧) ميّاسة: ميّالة، تختال في مشيتها. الفردوس: البستان يجمع كل ما يكون في البساتين.

تَـتْـلو أنـاشـيـدَ المُـنَى في مَـدِّهِ وَقُـفُـولِـهِ[١]

* * *

هُـوَ جـدولُ الحُـبِّ الـذي قَـدْ كَـانَ في قلبي الخَضِـلْ[٢]
بَمَـراشـفِ الأحْـلامِ مُـنْـطلقـاً، يَسِـيرُ عـلى مهَـلْ[٣]
يَـتْـلُو عـلى سَـمَـعِـي أغـاريـدَ الحـيـاةِ الـطَّاهِـرهْ
ويُـثِـيرُ في قـلبـي أنـاشِـيـدَ الخُـلُودِ الـسَّـاحِـرهْ
تَـقِـفُ الـعَـذَارى الخَـالِـدَاتُ... عَـرَائسُ الشِّعرِ البَديعْ
في صَـفْـتَـيْـه، مُـرَدِّداً تِ نَـغَـمَـةَ الحُـلْمِ الـوَدِيـعْ
يَـلْمُـسْـنَ من قـيـثـارةِ الأحْـلامِ أوتـارَ الـغَـزَلْ[٤]
فَـتَـفِـيضُ ألحـانُ الـصَّـبَـابَـةِ عَـذْبَـةً، مِثْـلَ الأمَـلْ[٥]
وَتَـطِيرُ بـالـبَـسَـمَـاتِ والأنْـغَـامِ أجـنـحـةُ الـصَّـدَى
في ذَلِـكَ الأفُـقِ الجَـمِـيـلِ، وَذَلِـكَ الـنَّـسَـمِ الـرُّخَـا[٦]
وَهُـنـاكَ حَـيْـثُ تُـعـانِقُ البَسَـمـاتُ أنْـغَـامَ الغَـزَلْ
يَـتَـمَايَـل الحُلُمُ الجـمـيـلُ... كَبَسْـمَـةِ القَـلْبِ الثَّمِـلْ[٧]

* * *

هُـوَ جـدولٌ، قـد فـجَّـرتْ يـنـبـوعَـهُ في مـهـجَـتِي[٨]
أجْـفَـانُ فَـاتِـنَـة أرَتْـنِـيـهـا الحـيـاةُ لِشَـقْـوَتي
أجْـفَـانُ فَـاتِـنَـةٍ تـراءَتْ لي عـلى فَـجْـرِ الشَّـبـابْ
كَـعَـرُوسـةٍ مِـنْ غَـانـيـاتِ الشِّعْـرِ، في شَفَقِ السَّحابْ
ثُـمَّ اختَـفَـتْ خَـلْفَ الـسَّـماءِ، وَراءَ هَـاتِـيـكَ الـغُـيُـومْ
حَـيْـثُ الـعَـذَارى الخَـالِـداتُ، يَمِسْنَ مَا بَـيْنَ النُّجُـومْ[٩]

---

(١) القُفول: العودة والرجوع.
(٢) الخضِل: النّدِي.
(٣) المراشف: جمع المِرشف: ما يمتص به الماء.
(٤) القيثارة: من الآلات الموسيقية، واستعملها مجازاً.
(٥) الصّبابة: رقّة الشوق.
(٦) الرُّخا: اللين.
(٧) الثمِل: السكران.
(٨) المهجة: الروح، أو الدم، أو دم القلب.
(٩) يمسن: يتمايلن، ويتخايلن.

ثُـمَّ اخـتَـفَـتْ اوّاهِ! طـا ... ثـرةً بـأجْـنِـحَـةِ المَـنُـونْ[1]
نَـحْـوَ الـسَّـماءِ، وَهَـا أنـا ... في الأرض تمثـالُ الشجُـونْ[2]
قَـدْ كـانَ ذَلِـكَ كُـلُّهُ ... بـالأمس ! بـالأمس البَعِـيـدْ
والأمْسُ قَـدْ جَـرَفَـتْـهُ مـقـ ... ـهـوراً يـدُ الله المـوتِ العَتِيـدُ
قَـدْ كـانَ ذلـك تَحْـتَ ظِـ ... ـلِّ الأمس ، والمـاضي الجَمِيـلْ
قَـدْ كـان ذلـك في شُـعَـ ... ـاعِ البَـذْرِ مِنْ قَبْـلِ الأفـولْ[3]
والـيـومَ إذْ زالـتْ ظِـلالُ ... الأمس عَـنْ زَهْـري البَـدِيـعْ
وَتَجَـلْبَـبَ الـزُّهـرُ الجَـمـيـ ... ـلُ بـظُلْمَةِ اللَّيـل المُريـعْ[4]
ذَبُـلَتْ مَـرَاشِـفُـهُ، فـأصـبـ ... ـحَ ذاويـاً نِـضْـوَ الْكُـلُومْ[5]
وَهَـوَى لأنَّ الـلَّيْـلَ أسْـ ... ـمَعَهُ أناشيدَ الـوُجُومْ . . .[6]

* * *

بـالأمسِ قَـدْ كـانـتْ حيـا ... تِي كـالـسَّـماءِ الـبَـاسِـمَـةْ
والـيـومَ قـد أمسَـتْ كـأعـ ... ـماقِ الـكهُـوفِ الـوَاجِمَـةْ
إذْ أصَـبَـحَ الـنَّـبْـعُ الجَـمِـيـ ... ـعُ يَـسِـيـرُ في وادي الألمْ
مُـتَـعَـثِّـراً بـينَ الـصُّـخـورِ، ... يَـغُـور في تِـلْـكَ الظُّلَمْ
جَـفَّـتْ بـه أمْـواجُ ذَيَّـ ... ـاكَ الـغـرامِ الأفـلِ
فَـتَـدفَّـقَـتْ فـيـه الـدُّمُـو ... عُ بصَـوبِـهَـا المُتَـهَـاطِـلِ[7]
قَـدْ حَـجَّـبَـتْـهُ غُـيـومُ أحـ ... ـزانِ الـوُجُـودِ الـقَـاتِمَـةْ
قـد أخْـرَسَـتْـهُ مَـرارةُ الـقـ ... ـلْبِ الـتَّـعِـيسِ الـظَّالمـةْ
جَمـدتْ عـلى شَـفَـتَـيْـهِ أنـ ... ـغَـامُ الـصَّـبَـابَـةِ والهـوى
وَقَـضَـتْ أغَـانِي الحُـبِّ، ... في أعـمـاقِـهِ لمَّـا هـوى
وَعَـدَتْ بـه الأمـواجُ، ... جَـامـدةَ المـلامِـحِ ، قـاتِمَـةْ

---

(١) المنون: الموت.
(٢) الشجون: الأحزان.
(٣) الأفول: الغياب.
(٤) تجلبب: لبس الجلباب: ثوب واسع تلبسه المرأة، وأراد أنه تغطّى بالظلام. المريع: المخيف.
(٥) مراشفه: جمع مِرشف: ما يمتص به الماء. الذاوي: الذابل. نضو: ضعيف. كلوم: جمع كَلْم: جرح.
(٦) الوجوم: العُبوس.
(٧) الصَّوب: المطر.

قـد أسكـتـتـهـا لـوعـةُ | الـرُّوح الحـزيـنِ الـوَاجمـهْ
غـاضَـتْ أمَـانِيـهـا، وَغـا | ر بهـا الجَمـالُ الـسَّـاحـرُ[1]
فـاصَـابهـا ـ لَهَـفاً عـلـيـ | ـهِ ـ الإكْـتِئَـابُ الـكَـافـرُ
في ضـفَّـتـيـه عـرائسُ الأ | شْـعـارِ تـنـصُـبُ مـأتمـاً
يُـهْـرُقْـنَ فـيـه الـدَّمْـعَ، | حتّى يَلْطُمَ الـدَّمعُ الـدَّمـا[2]
فَيَسِيـلُ ذاك المـدْمَـعُ الـدَّ | امـي لـقَـلْـبِ الجـدولِ
حـيـثُ المَـرَارةُ، والأسى، | بـيـن الـزُّهـورِ الـذُّبَّـلِ
وَيَـنُـحْـنَ حتّى يُـفْـعِـمَ الأ | فـاقَ صَـوتُ الإنْـتِحَـابْ[3]
فـتـسـيرُ أصداءُ الـنَّـيَـاحـ | ـةِ نحـو أطبـاقِ الـضَّبَـابْ
وهـنـاك مـا بـين الـضَّـبـا | بِ الأقْتَمِ السَّـاجي الكئيبْ[4]
تَهْـتَزُّ الآمِـي، وتخـ | ـتَلِجُ الكـآبـةُ، بـالنَّحيبْ

السَّاحرة[5]

[من الخفيف]

راعـهـا مـنـهُ صَـمـتُـه ووجُـومُـه | وشَجـاهـا شُحُـوبُـه وسُـهـومُـهْ[6]
فـأمَـرَّتْ كـفَّـا عـلى شَعْـره الـعـا | ري بـرفـقٍ، كـأنَّها سَـتُـنِـيمُـهْ
وأطـلَّتْ بـوجـهـهـا الـبـاسـمِ الحلْـ | ـوِ عـلى خـدِّه وقـالـتْ تَـلُومُـهْ:
«أيُّهـا الـطَّائـرُ الـكـئـيـبُ تَـغـرَّدْ | إنَّ شَـدْوَ الـطُّـيـورِ حلوٌ رَخِيمُـهْ»[7]
«وأجِـبْـني فـدتْـكَ نـفـسيَ ـ مـاذا؟ | أمُـصَـابٌ؟ أمْ ذاك أمـرٌ تـرومُـهْ؟»[8]
«بـل هـو الـفـنُّ واكـتـئـابُـه، والـفـنـ | ـانُ جـمٌّ أحـزانُـهُ وَهُمُـومُـهْ»[9]

---

(١) غاضت: نقصت.
(٢) يهرق الدمع: يذرفه. والأصل: هَرَاقَ الماء يُهرِيقُه، ويُهْرِيقُه.
(٣) يفعم: يملأ. الانتحاب: البكاء الشديد.
(٤) الأقتم: القاتم المائل إلى السواد. الساجي: الساكن. كئيب: حزين.
(٥) نظمها في ١٥ ربيع الأول ١٣٥١ هـ/ ١٩ جويلية ـ تموز ١٩٣٢ م.
(٦) الوجوم: العبوس. شجاها: أحزنها. والسُّهوم: العبوس.
(٧) الرخيم: اللين السهل.
(٨) ترومه: تطلبه.
(٩) جَمّ: كثير.

«أبداً يحملُ الوجودَ بما فيـ   ـه كأنْ ليسَ للوجودِ زعيمَهْ:»[1]
«خلِّ عبءَ الحياة عنكَ، وَهيّا   بمحيًا، كالصُّبحِ، طَلْقٍ أديمُهْ»[2]
«فَكثيرٌ عليكَ أن تحملَ الدنـ   ـيا وتمشي بِوقْرِها لا تَريمُهْ»[3]
«والوجودُ العظيمُ أُقْعِدَ في الما   ضي وما أنتَ رَبُّهُ فَتُقيمُهْ»
«وامشِ في روضةِ الشَّبابِ طَروباً   فحواليكَ وَرْدُهُ وَكُرومُهْ»
«واتلُ للحُبِّ والحياةِ أغانيـ   ـكَ وَخلِّ الشَّقاءَ تدمَى كُلُومُهْ»[4]
«واحتضنّي، فإنّني لكَ، حتّى   يتوارى هذا الدُّجَى ونجومُهْ»[5]
«وَدَعِ الحُبَّ يُنشِدُ الشِّعرَ للَّيـ   ـلِ، فَكَمْ يُسكِرُ الظَّلامَ رَنيمُهْ..»
«واقطفِ الوردَ من خدودي، وَجيدي   وَنهودي..، وافْعَلْ بِهِ ما تَرومُهْ»
«إن للْبيتِ لهوَهُ، النّاعمَ الحلوَ   ولِلْكونِ حربُه وَهُمومُهْ»
«وارتشفْ مِنْ فَمي الأناشيدَ سَكْرَى،   فالهوى ساحرُ الدّلالِ، وَسيمُهْ»[6]
«وانسَ فِيَّ الحياةَ..، فالعمرُ قفرٌ،   مرعبٌ إنْ ذَوَى وجفَّ نَعيمُهْ»[7]
«وارْمِ للَّيلِ، والضَّبابِ بعيداً   فَنَّكَ العَابسَ، الكثيرَ وُجومُهْ»
«فالهوى، والشَّباب والمرحُ المعـ   ـسولُ تشدو أفنانُه وَنَسيمُهْ»[8]
«هي فنُّ الحياة، يا شاعريَ الفنّا   نَ بلْ لُبُّ فنِّها وَصَميمُهْ»[9]
«تلك يا فيلسوفُ، فلسفةُ الكوْ   نَ، وَوَحْيُ الوجودِ هذا قَديمُهْ»
«وَهي انجيليَ الجَميلُ، فصدِّقْـ   ـه وإلّا..، فلِلغرامِ جَحيمُهْ..»
فرماها بنظرةٍ، غَشِيَتْها   سَكْرةُ الحبِّ، والأسى وغيومُهْ
وتلاها بِبَسْمَةٍ، رَشَفَتْها   منهُ سَكْرانةُ الشَّبابِ، رؤومُهْ[10]
والتقتْ عندها الشِّفاهُ..، وغنَّتْ   قُبَلٌ، أَجْفَلَتْ لديها همومُهْ

---

(١) زعيم: كفيل.
(٢) الأديم من الصبح: أوله.
(٣) الوقر: العبء والحمل الثقيل.
(٤) كُلومه: جروحه وواحده: كَلْم.
(٥) الدجى: الظلام.
(٦) الرشف والارتشاف: الامتصاص.
(٧) ذوى: ذبل.
(٨) الأفنان: الأغصان.
(٩) اللب: القلب، والعقل.
(١٠) أم رؤوم وشاة رؤوم: عطوف.

مَـا تـريـدُ الهُـمـومُ من عـالمٍ، ضـا ... ءَتْ مَسَرّاتُـه، وغـنَّـتْ نـجـومُـهْ؟

* * *

لـيـلةٌ أسـبـلَ الـغـرامُ عـلـيـهـا ... سِـحْـرَهُ النَّـاعـمَ الـطَّرِيـرَ نعيمُـهْ[1]
وتَـفَـقَّ في ظـلِّـهـا الـفَـرَحُ الـلاَّ ... هي فَجَفَّ الأسى وَخَـرَّ هَـشِـيمُـهْ[2]
أغْـرَقَ الـفـيـلـسـوفُ فـلـسـفـةَ الأحـ ... ـزان في بحـرهـا . . ، فَمَنْ ذا يـلومُـهْ

* * *

إنَّ في المـرأةِ الجـمـيـلةِ سِـحْـراً ... عبقـريّـاً، يُـذكِي الأسى، ويُـنيمُـهْ

أبناء الشَّيطان[3]

[من الخفيف]

أيُّ نـاسٍ هـذا الـورى؟ مـا أرى ... إلاَّ بـرايـا، شـقـيَّـةً، مجـنـونَـهْ[4]
جـبَّـلَتْـهـا الحـيـاةُ في ثـورة الـيـأ ... سِ مِـنَ الشَّرِّ، كـيْ تُجنَّ جُـنُـونَـهْ
فـأقـامـتْ لـه المـعـابـدَ، في الـكـو ... نِ، وَصَلَّتْ لـه وشـادَتْ حُـصُـونَـهْ

* * *

كـم فـتـاةٍ جـمـيـلةٍ، مـدحـوهـا ... وتـغـنَّـوْا بهـا لـكَـي يُـسْـقِـطُوهـا
فـإذا صـانـتِ الـفَـضـيـلةَ عـابـو ... هـا، وإن بـاعـتِ الخَنـا عـبـدوهـا[5]
أصـبـح الحـسـنُ لـعـنـةً تهـبطُ الأر ... ضَ، لِـيَـغْـوى أبـنـاؤهـا ونـورهـا
وشـقـي. طـافَ المـديـنـةَ. يـسـتـجـ ... ـدي لِـيَـحْـيَـا، فـخـيَّـبـوه احـتـقـاراً
أيـقـظـوا فـيـه نَـزْعَـةَ الشَّرِّ، فـانـقضَّ ... عـلى الـنَّـاسِ فـاتـكـاً جـبَّـاراً
يـمـلأ الـرُّعبَ في الـقـلوب، ويُـذكي ... ـ حيثـما حَـلَّ ـ في الجـوانـح نـاراً[6]

* * *

---

(١) أسبل: أرخى. السحر الطرير: أول طلوعه.
(٢) الهشيم: النبت اليابس المتكسِّر.
(٣) نظمها في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٩٣١ م.
(٤) الورى: الخلق. البرايا: المخلوقات.
(٥) الخنا: الفحش.
(٦) الجوانح: الجوانب، والأضلاع تحت الترائب، واحدة: جانحة.

ونبيٍّ قد جاء لِلنَّاسِ بالحقِّ، فكالوا له الشَّتائمَ كَيْلا
وتنادَوْا به: «إلى النَّارِ! فالنَّا رُ بِرُوحِ الخبيثِ أَحْرى وأولى»
ثمّ ألقوْه في اللهيب، وَظَلُّوا يملأون الوُجودَ رُعباً وهوْلا

* * *

وَشُعوبٍ ضعيفةٍ، تتلظَّى في جحيمِ الآلامِ عاماً فعاما
والقويُّ الظَّلومُ يَعْصِرُ من آلامها السُّودِ لَذةً وَمُداما[1]
يتحساهُ ضاحكاً.. لا يراها خُلِقت في الوجود إلا طعاما!

* * *

وفتاة حسبتها معبد الحبِّ. فألفيتَ قلبَها ماخُورا![2]
ونبيلٍ وجدتهُ في ضياء الفجْـ ـرِ قلباً مُدَنَّساً شرِّيرا[3]
وزعيمٍ أُحلّه النَّاسُ حتّى ظَنَّ في نفسه إلهاً صغيرا!

* * *

وخبيثٍ، يعيشُ كالفأس. هدّا ماً، لِيُعْلي بين الخَرَابِ بناءَهْ
وقميءٍ، يُطاوِلُ الجبلَ العا لي، فللّه ما أشدَّ غَباءَهْ![4]
ودنيءٍ، تاريخُهُ في سجلِّ الشرِّ إفكٌ، وَقِحَةٌ وَدَناءَهْ[5]

* * *

كان ظنّي أنَّ النُّفوسَ كبارٌ فوجدتُ النُّفوسَ شيئاً حقيرا
لوَّثتهُ الحياةُ ثمَّ استمرتْ تبذُرُ العالم العريضَ شُرورا
فاحصدوا الشَّوكَ.. يا بنيها وضجّوا واملأوا الأرضَ والسَّماءَ حُبورا

---

(١) المدام: الخمرة.
(٢) الماخور: بيت الرِّيبة.
(٣) مدنَّس: ملدوم.
(٤) القميء: الذليل.
(٥) الإفك: الكذب.

في ظلّ وادي الموت[1]

[من الخفيف]

نـحـنُ نمشي، وحـولَـنـا هـاتـه الأكـ ... ـوانُ تمشي... لـكِـنْ لأيّـةِ غـايـهْ؟
نحنُ نـشـدو مـع العَصَـافـير للشّمْـ ... ـس، وهـذا الـرَّبـيـعُ ينفُـخُ نَـايَـهْ
نـحـنُ نَـتْـلو روايـةَ الـكـونِ لـلمـو ... تِ ولـكـنْ مـاذا خِـتَـامُ الـرِّوايـهْ
هـكـذا قـلتُ لـلريـاحِ فـقَـالـتْ: ... «سَلْ ضميرَ الوُجـودِ: كيف البدايـهْ؟»
وتـغشّى الـضّـبـابُ نـفسي، فـصـاحـتْ ... في مَـلالٍ، مُـرٍّ: «إلى أيـنَ أمشي؟»[2]
قلتُ: «سيري مـع الحيـاة..» فقـالتْ: ... «مـا جنينـا، تُـرى، من السَّـيْرِ أمس؟»
فَـتَـهـافَـتُّ كـالهـشـيـمِ - عـلى الأر ... ضِ ونـاديتُ: أينَ يـا قـلبُ رفشي؟[3]
هـاتِـهِ، عـلّني أخُطُّ ضريحـي ... «في سكـونِ الـدُّجى وأدفُـنُ نـفسي»[4]
هـاتِـهِ فـالـظّلام حـولي كـثـيـفٌ ... وضـبـابُ الأسى مُـنـيـخٌ عـلـيّـا
وكـؤوسُ الـغـرامِ أتـرعَـهَـا الـفـجْـ ... ـرُ، ولـكـنْ تحـطَّمَـتْ في يَـدَيّـا[5]
والـشّـبـابُ الـغـريـر ولّى إلى المـا ... ضي وخـلّى الـنَّحيـبَ في شَـفَـتَـيّـا[6]
هـاتـه، يـا فـؤادُ إنّـا غـريـبـاً ... نِ، نَصُـوغُ الحيـاةَ فنّـا شَجِيّـا...[7]

***

قـد رقـصْـنـا مـع الحـيـاةِ طـويـلاً ... وشـدوْنـا مـع الـشّـبـابِ سـنيـنـاً
وعـدَوْنـا مـع الـلّيـالي حُـفـاةً ... «في شِعـابِ الحيـاةِ حتّى دَمينـا...[8]
وأكـلْنـا الـتّرابَ حـتّى مَـلِلنـا ... «وَشَـربْـنَـا الـدُّمـوعَ، حتّى رَوِينـا
وَنـثَرْنـا الأحْـلامَ والحـبَّ والآلا ... مَ والـيـأسَ، والأسى، حيـثُ شِيـنـا

***

---

(١) نظمها في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ/ ٥ أفريل - نيسان ١٩٣٢ م.
(٢) الملال: الملل والضجر.
(٣) الهشيم: النبات اليابس. الرفش: المجرفة.
(٤) الدجى: الظلام.
(٥) أترعها، أي: ملأها.
(٦) النحيب: شدة البكاء.
(٧) الشجي: الحزين.
(٨) الشّعاب الحياة يعني: مصاعبها. والواحد الشعب: الطريق في الجبل.

ثم مـاذا؟ هـذا أنـا صرتُ في الـدُّنـ ـيـا بعيـداً عـن لهـوِهـا وغِنَـاهـا
في ظـلامِ الـفَـنَـاءِ، أدفُـنُ أيَّـا مي، ولا أستـطيـعُ حـتَّى بكـاهـا؟
وزهـورُ الحـيـاة تهـوي، بِـصَـمْـتٍ «محـزنٍ، مُضجِـرٍ، عـلى قـدمـيَّـا،
جَفَّ سِحْـرُ الحيـاةِ، يـا قلبيَ البـا كي، «فهيَّا، نُجَرِّبِ الموتَ...، هيَّا...!

الزنبقة الذّاوية[1]

[من المتقارب]

أَزَنْـبَـقَـةَ الـسـفْـحِ؟ مَـا لي أراكِ تُـعَـانِـقُـكِ الـلَّوْعَـةُ الـقَـاسِـيـهْ
أفي قَـلْـبـكِ الـغضِّ صـوتُ الـلهيـب، يـرتِّـل أنـشُـودَةَ الهـاويـهْ؟[2]
أأسْـمَـعَـكِ الـلَّيـلُ نَـدْبَ الـقُـلوبِ أأرْشَـفَـكِ الـفَـجْـرُ كـأسَ الأسَى[3]
أصَبَّ علـيـكِ شُـعَـاعُ الـغـروبِ نـجـيـعَ الحـيـاةِ، وَدَمْـعَ المـسـا
أأوقَـفَـكِ الـدَّهْـرُ حـيـث يُـفـجَّـ ـرُ نَـوْحُ الحياةِ صُـدُوعَ الصُّـدورْ؟[4]
ويـنـبـثـقُ الـلَّيـلُ طيـفـاً، كئيـبـاً رهـيـبـاً، ويخـفـقُ حُـزْنُ الـدهـورْ؟
إذا أضْـجَـرَتْـكِ أغـاني الـظَّلامِ فَـقَـدْ عَـذَّبَتْـني أغـاني الـوُجـومْ[5]
وإنْ هَـجَـرَتْـكِ بنـاتُ الـغـيـومِ، فـقـد عَـانَـقَـتْني بنـاتُ الجَحـيـمْ[6]
وإنْ سَـكَـبَ الـدَّرُّ في مِـسْـمَـعَـيْـكِ نَـحِـيـبَ الـدُّجـى، وأنـينَ الأمـلْ
فَـقَـدْ أجَّـجَ الـدَّهْـرُ في مـهـجـتي شُـواظـاً مِـنَ الحـزَنِ المُشْـتَـعِـلْ[7]
وإنْ أرشَـفَـتْـكِ شِـفَـاهُ الحـيـاةِ رُضـابَ الأسى، وَرَحِـيـقَ الألمْ[8]
فـإنّي تجـرَّعْـتُ مـن كـفِّـهـا كُـؤوسـاً، مـؤجَّـجـةً، تَـضْـطَـرِمْ[9]

* * *

(١) نظمها في ٩ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ/ ١٥ نوفمبر ـ تشرين الأول ١٩٢٦ م، ويبدو أن الشاعر قد حذف منها أربعة أبيات، كانت قد نشرت قبل طبع الديوان، وأثبتها في نهاية القصيدة.
(٢) الغض: الطري.
(٣) أرشفه: جعله يمتص.
(٤) الصدوع: الشقوق. وصدوع الصدور يعني: همومها.
(٥) الوجوم: العبوس.
(٦) بنات الغيوم، يعني الأمطار، وبنات الجحيم، يعني العذاب.
(٧) المهجة: القلب، دم القلب، الدم.
(٨) الرضاب: الريق. الرحيق: الخمرة.
(٩) مؤججة: ملتهبة. تضطرم: تشتعل.

أصِيخي! فَما بَينَ أعشارِ قلبي
يرفُّ صَدى نَوْحِكِ الخافتِ[1]
مُعيداً على مُهجتي بحَفيفِ
جَناحَيْهِ صَوْتَ الأسى المائتِ[2]
وَقد أترعَ اللَّيلُ بالحُبِّ كَأسي
وَشَعْشَعها بِلَهيبِ الحياةْ[3]
وَجَرَّعني مِنْ ثُمالاتِه
مرارةَ حُزْنٍ، تُذيبُ الصَّفاةْ[4]
إليَّ! فَقدْ وَحَّدَتْ بيننا
قَساوةُ هذا الزَّمانِ الظَّلُومْ
فقد فَجَّرتْ في هذي الكُلومَ
كما فجَرتْ فيكِ تلكَ الكُلومْ[5]

* * *

وإنْ جَرَفَتْني أكفُّ المنونِ
إلى اللَّحْدِ، سَحَقَتكِ الخطوبْ[6]
فَحُزْني وَحُزْنُكِ لا يَبْرَحانِ
أليفينِ رَغْمَ الزَّمانِ العصيبْ
وتحت رواقِ الظَّلامِ الكئيبِ
إذا شَمَلَ الكونَ روحُ السَّحَر[7]
سيُسْمَعُ صوتٌ، كَلَحْنٍ شجيٍّ
تطايَرَ مِنْ خَفَقاتِ الوَتَرْ
يُرَدِّدُهُ حُزْنُنا في سكونٍ
فعَلى قَبْرِنا، الصَّامتِ المطمئنْ
فَنَرقُدُ تَحتَ التُّرابِ الأصمِّ
جميعاً على نَغَمَاتِ الحَزَنْ
فَيصدحُ عند سكونِ الدُّجى
إذا نسيتنا غَذارى السَّحَرْه
صدى يتهادى، كنغمٍ شجيٍّ
تطايَرَ من خفقاتِ الوتَرْ
يرنِّحه شجُونا المستكينُ لدى
القبرِ، تحتَ ظِلالِ المسا
فتهجعُ تحت الثرى الهاجع
جميعاً، على نغماتِ الأسى

صفحة من كتاب الدُّموع[8]

[من المتدارك]

غَنَّاهُ الأمسُ، وأطْرَبَهُ
وَشَجاهُ اليومُ، فَما غَدُهُ؟

---

(١) أصاخ: استمع. أعشار القلب: قطعه وعشوره، وقلب أعشار أي مكسّر على عشر قطع.
(٢) المهجة: الروح، والدم، ودم القلب.
(٣) أترع: ملأ.
(٤) شعشع: فرّق.
(٥) الكلوم: جمع الكَلْم: الجرح.
(٦) المنون: الموت. اللحد: القبر. الخطوب: جمع الخطْب: المصيبة.
(٧) الرواق: مقدّم البيت. رواق الظلام: يعني أوله.
(٨) نظمها في ١٠ محرم ١٣٤٩ هـ/ ٧ جوان ـ تموز ١٩٣٠ م.

قَدْ كان لـه قلبٌ، كـالـطِّفْلِ، يـدُ الأحـلام تُهَـدْهِـدُهُ[1]
مُـذْ كـان لـه مَلَكٌ في الكـون جَمِيـلُ الطلْعَـة، يَعْـبُـدُهُ
في جَـوْفِ اللَّيْـلِ، يُنَـاجِـيـهِ وَأَمَامَ الـفَـجْـرِ، يُمَـجِّـدُهُ
وعـلى الهـضبـات، يـغـنِّـيـه آيـاتِ الحُـبِّ، ويُـنـشِـدُهُ
لـولاه لمـا عـذُبَـتْ في الـكـون مَـصَـادِرُهُ وَمَـوارِدُهُ
وَلمَـا فَـاضَـتْ بـالـشِّـعْـرِ الحـيِّ مَـشَـاعِـرُه وَقَـصَـائـدُهُ
تمْشي في الـغـابِ فـتَـتْـبَـعـه أفْـراحِ الحُـبِّ، وَتَـنْـشُـدُهُ
ويـرى الأفـاق فـيُـبْـصِرُهـا زُمـراً في الـنُّـورِ، تُـراصِـدُهُ[2]
ويـرى الأطـيـارَ، فَـيَحْـسَـبُـهـا أحـلامَ الحُـبِّ تُـغـرِّدُهُ
ويـرى الأزهـارَ، فَـيَحْـسَـبُـهـا بَـسَـمـاتِ الحُـبِّ تُـوادِدُهُ[3]
فَـيَخَـالُ الـكـونَ يـنـاجِـيـهِ! وَجَمالَ الـعَـالَمِ يُـسْـعِـدُهُ!
وَنُـجـومَ اللَّيْـلِ تُـضَـاحِـكُـهُ! وَنَـسِـيـمَ الـغَـابِ يُـطَارِدُهُ!
وَيخَـالُ الـوَرْدَ يـداعِـبُـهُ فـرحـاً، فتعـابثـه يَـدُهُ!...
ويـرى الـيُـنْـبـوعَ، ونَـظْرَتَـهُ، وَنَـسِـيـمُ الـصُّـبْـحِ يُجَـعِّـدُهُ
وخـريـرُ المـاءِ لَـهُ نَـغَـمٌ نَـسَـمَـاتُ الـغـابِ تُـرَدِّدُه
ويـرى الأعـشـابَ وَقَـدْ سَمَقَتْ بَـيْنَ الأشْـجَـارِ تُـشَـاهِـدُهُ[4]
ونِـطَاقُ الـطِّـفـلِ تُـنَـمِّـقُـهـا فَـيَـجُـلُّ «الحُـبَّ» وَيحْـمـدُهُ

* * *

يـا لَـلأيَّـامِ! فَـكَـمْ سَـرَّتْ قـلْبـاً في النَّـاسِ لِتُـكْـمِـدَهُ[5]
هيَ مِثْـلُ العَـاهِـرِ، عَـاشِقُـهـا تسـقـيـه الخـمـرَ... وَتَـطْرُدُهُ!
يُـعْـطِـيـكَ الـيـومُ حـلاوتهـا كـالشُّـهْـدِ، لَـيَسْـلُبَـهـا غَـدُهُ!
بـالأمسِ يَـعَـانِقُـهـا فَـرحـاً ويـضـاجـعُـهـا، فـتُـوَسِّـدُهُ[6]
والـيـومَ، يُـسـايِـرُهـا شَـبَـحـاً أضـنـاهُ الحـزنُ، وَنَـكَّـدَهُ[7]

---

(١) تهدهده: تحرّكه.
(٢) تراصده: تراقبه.
(٣) توادده: تودُّه وتلاطفه.
(٤) سمقت: ارتفعت.
(٥) تكمده: تحزنه.
(٦) يتوسّد: يتخذ الوسادة: المتكأ.
(٧) النّكد: خشونة العيش.

يـتـلو في الـغـابِ مَـراثِـيَـه وَجُـذُوعُ الـسَّـرْوِ تُـسَـانِـدهُ
وَيُمـاشي الـنَّـاسَ، ومـا أحَـدٌ مِـنْـهُـمْ يَـشْـجِـيـهِ تَـفَـرُّدُهُ
في لـيـلِ الـوَحْـشَـةِ مسْراهُ وَبِـكَـهْـفِ الـوَحْـدَةِ مـرقَـدُهُ
أصـواتُ الأمسِ تُـعَـذِّبُـهُ وخـيـالُ المـوتِ يُـهَـدِّدُهُ

* * *

بـالأمسِ لَـهُ شـفَـقٌ في الـكـونِ يضيءُ الأفْـقَ تـورُّدُهُ
والـيـومَ، لَـقَـدْ غـشَّـاهُ الـلَّـيـلُ فـما في الـعـالمِ يُـسـعـدهُ
غـنَّـاه الأمسُ وَأَطْـرَبَـهُ وَشَـجَـاهُ الـيَـوْمُ، فَـما غَـدُهُ؟

إلى الله[1]

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهي أطواره أزمات نفسية ثائرة، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة، وتتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال، فيشعر المرء كأنما انبتَّ ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه، وكأنما الحياة فن من العبث المرعب المملّ الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء. ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر. تكدر صفاءه، وتحيل جماله إلى شناعة، وأنغامه إلى عويل، وانسجامه إلى فوضى، ثم تقر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية، وألحانه المتزنة، وجماله الساحر الأبدي. وتحت تأثير هذه الحالة النفسية الجامحة نظمت القصيد التالي، ونفسي سكرى بأحزانها الدامية وآلمها المتشحة باللهيب.

[من الخفيف]

يَـا إلـهَ الـوُجـودِ! هـذي جِـرَاحٌ في فؤادي، تَشْكُـو إليـك الـدَّواهي[2]
هَـذِهِ زفـرةٌ يُـصَـعِّـدهـا الهـمُّ إلى مَـسْـمَـعِ الـفَـضَـاءِ الـسَّـاهـي
هَـذهِ مُـهْـجَـةُ الـشَّـقـاءِ تُـنَـاجيـكَ فَـهَـلْ أنْـتَ سَـامِـعٌ يـا إلهـي؟[3]
أنـتَ أنـزلْـتَـنـي إلى ظُـلْـمَـةِ الأرضِ وَقَـدْ كـنـتُ في صـبـاحٍ زَاهِ

---

(١) نظمها في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ/ ٢٩ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٢٩ م.
(٢) الدواهي: جمع الداهية: المصيبة.
(٣) المهجة: الروح، الدم، أو دم القلب.

كالشُّعاع الجَميلِ، أسْبَحُ في الأُفْقِ ... وأُصْغِي إلى خَريرِ المياهِ
وأغنِّي بينَ اليَنابيعِ للفجرِ ... وأشدو كالبلبلِ التيَّاهِ
أنتَ أوصلتَني إلى سُبُلِ الدُّنْيا ... وهذه كثيرةُ الإشْتِباهِ
ثُمَّ خلَّفْتَني وحيداً، فريداً ... بين داعٍ من الرِّياحِ ونَاهِ
أنتَ أوقفتَني على لُجَّةِ الحُزنِ ... وَجرَّعتَني مَرارَةَ «آه»![1]
أنتَ أنشأتَني غريباً بنفسي ... بين قومي، في نَشْوَتي وانتباهي
أنتَ كرَّهْتَني الحياةَ ومَا فيها ... وحبَّبْتَني جُمودَ السَّاهي
أنتَ جبَّلْتَ بين جنْبيَّ قلباً ... سَرْمَديَّ الشُّعورِ والإنتباهِ[2]
أنتَ عذَّبتَني بِدِقَّة حِسِّي ... وتعقَّبْتَني بكُلِّ الدَّواهي
بالأسى، بالسَّقام، بالهمِّ، بالوحشة، ... وباليأسِ، بالشَّقا المتناهي
بالمنايا تَغْتال أشْهى أمانيَّ ... وتُذوِي محاجري، وَشِفاهي[3]
فإذا مَنْ أُحِبُّ حَفْنةُ تُرْبٍ ... تافهٍ، مِنْ تَرائبٍ وَجِبَاهِ[4]
وإذا فتنةُ الحياة وَسِحْرُ الكونِ ... ضَرْبٌ من الغَمام الزَّاهي
يتلاشى فوق الخِضَمِّ ويبقى الـ ... ـيمُّ كالعهدِ مُزْبِدَ الأمواه...[5]
يا إله الوجود! ما لَكَ لا ترثي ... لِحُزْنِي المعذَّبِ الأوَّاه؟
قد تأوَّهتُ في سكون اللَّيالي ... ثُمَّ أطبقتُ في الصَّباحِ شِفاهي
وَتَغزَّلتُ بالحياةِ، وبالحـ ... ـبِّ، وغنَّيتُ كالسَّعيدِ اللاَّهي
وَزَرَعتُ الأحلامَ في قلبيَ الدَّا ... مي، وحوَّطْتُها بكلِّ انتباهي
ثُمَّ لما حَصَدْتُ لَمْ أجنِ إلا الـ ... ـشَّوكَ، ما تُرى فعلتُ؟ إلهي!

***

يَا رِياحَ الوجودِ! سيري بعنفٍ ... وتغنِّي بصَوْتِكِ الأوَّاهِ[6]
وانفحيني مِنْ رُوحِكِ الفَخْمِ ما يُبْـ ... ـلغُ صَوْتي آذانَ هذا الإلهِ
فَهْوَ يُصغي إلى القويِّ، ولا يُصـ ... ـغي لصَوتٍ بين العواصفِ واهِ[7]

---

(١) لجة الحزن: معظمه.
(٢) السَّرمدي: الأبدي، الدائم.
(٣) المنايا: جمع المنيّة: الموت. تغتال: تُهلك. تذوي: تذبل.
(٤) الحفنة: ملء الكف. والحفرة.
(٥) أمواه: جمع مياه. الخِضَمّ: البحر.
(٦) الأوّاه: الذي يكثر الدعاء.
(٧) الواهي: الضعيف. وفي البيت تشكيك بالعدل الإلهي، فليحذر!

وانـثُري الـوَرْدَ لـلثُّلوجِ بَـدَاداً ... واصـعـقـي كـلَّ بُـلبـلٍ تَـيَّـاه[1]
فـالـوجـودُ الـشـقـيُّ غـيرُ جـديـرٍ ... بـالأغـاني، وبـالجـمال الـزَّاهـي
واسحقي الكـائـنـاتِ كـوْنـاً بِكَـوْنٍ، ... قـبـل أن تـنـتـهـي أذلَّ تَـنَـاهِ
فـالإلـهُ الـعـظيـمُ لم يخـلُقِ الـدّنـيـا ... سـوى لـلفـنـاءِ تحـتَ الـدّواهـي

* * *

يـا ضمـيرَ الـوجـود! يـا عـالمَ الأروا ... ح! يـا أيُّهـا الـفـضـاءُ الـسَّـاهـي!
يـا خـضَـمَّ الحـيـاةِ، يَـزْخَـرُ في الآ ... فـاق في الـتُّـرْبِ، في قـرارِ الميـاه!
خـبِّروني، هـل لـلورى مـن إلـهٍ، ... راحـمٍ - مِـثْـلُ زَعْـمِـهِـمْ - أوّاهِ
يخْـلُقُ الـنَّـاسَ بـاسـماً، ويـواسـيـ ... ـهـم، ويـرنـو لهـم بـعـطفٍ إلهـي
ويـرى في وجـودهِـمْ رُوحَـهُ الـسَّـ ... ـامـي، وآيـات فـنِّـهِ المتـنـاهـي
إنـني لم أجـدْهُ في هـاتـه الـدُّنـ ... ـيـا، فَهَـلْ خَلْفَ أفْقِهـا من إلـهٍ؟!
مـا الـذي قَـد أتيتَ يـا قـلبيَ البـا ... كـي؟! ومـاذا قـد قُلْتِـهِ يـا شـفـاهي
يـا إلهِـي! قـد أنْـطَقَ الهـمُّ قـلبـي ... بـالـذي كـان. . ، فـاغتفـر يـا إلهي!
قَـدَمُ الـيـأسِ والـكـآبـةِ داسـتْ ... قـلبيَ المتْـعَبَ، الغـريـبَ، الـواهـي
فـتـشـظَّى، وتـلك بـعضُ شَـظَايَـا ... هُ. . ، فَـسَـامِـحْ قُنُـوطَـه المتنـاهـي[2]
فَـهُـوَ يـا ربِّ مَـعْـبَـدُ الحـقِّ، ... والإيمـانِ والـنـورِ والـنَّـقـاءِ الإلهـي
وَهُـوَ نـايُ الجـمـالِ، والحـبِّ، والأحْـ ... ـلامِ، لـكنْ قـد حَـطَّمَـتْـهُ الـدَّواهي

قالت الأيّام[3]

[من السَّريع]

يَـا أيُّهـا الـسَّـادِرُ في غَـيِّـهِ ... يـا وَاقـفـاً فَـوْقَ حُـطَامِ الجِبَـاهْ:[4]
مـهْـلاً! فـفـي أنَّـاتِ مـن دُسْـتَـهُـمْ ... صـوتٌ رهيبٌ سَـوفَ يَـدْوِي صَـدَاهْ. . .
لا تـأمـنـنَّ الـدَّهْـرَ، إمَّـا غَـفَـا ... في كـهفِـهِ الـدَّاجي، وطـالـتْ رُؤاه[5]
فـإنْ قَضَى الـيـومُ ومـا قَـبْـلَهُ ... فـفـي الـغـدِ الحيُّ صَـبَـاحُ الحَيـاهْ

(١) بداد: متفرق.
(٢) تشظّى: تقطع. القنوط: اليأس.
(٣) نظمها في ١٥ رجب ١٣٤٦ هـ/ ٨ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٨ م.
(٤) السادر: الحائر.
(٥) الكهف الداجي: الكهف المظلم.

يـا أيُّهـا الجـبّـارُ! لا تـزدري فـالحـقُّ جـبّـارٌ، طـويـلُ الأنـاهْ[1]
يَـغْـفـى، وفي أجْـفَـانِـه يـقْـظَةٌ تـرنـو إلى الفَجْـرِ الـذي لا تَـرَاهْ...[2]

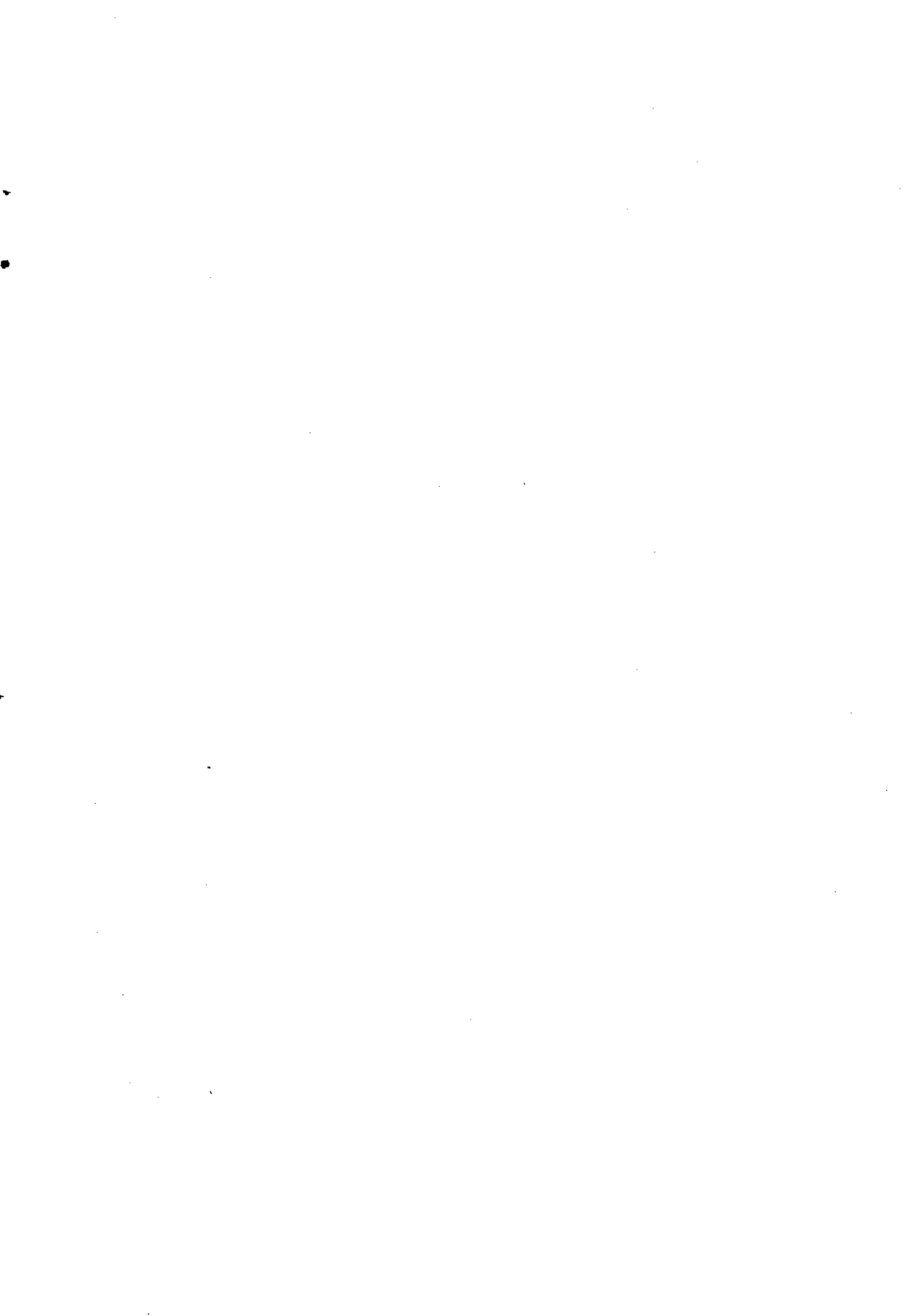
سِرُّ النّهوض[3]

[من البسيط]

لا يَنْهَضُ الشّعبُ إلاّ حينَ يَـدْفَـعُـهُ عَـزْمُ الحيـاةِ، إذا مـا استيقـظتْ فيـهِ
والحَـب يخـتـرقُ الـغَـبْراءَ، مُـنْـدفـعـاً إلى الـسَّـماءِ، إذا هـبَّـتْ تـنـاديـهِ[4]
والقيـدُ يـألفُـهُ الأمـواتُ، مـا لَبِثـوا أمّـا الحـيـاةُ فـيُـبْـليـهـا وتـبْـليـهِ

---

(١) تزدري: تحتقر. الأناة: الحلم.
(٢) ترنو: تديم النظر بسكون طَرْف.
(٣) نظمها في ١ رجب ١٣٥٠ هـ/ ١٢ نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٣١ م.
(٤) الغبراء: يعني الأرض.



فهرس

قافية السين

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النّون

قافية الهاء